وقابلت شيطانا
د. رانيا أحمد
رواية

الطبعة الأولى

www.lotusfreepub.com

وقابلت شيطانا

رواية

د. رانيا أحمد

وقابلت شيطاناً

د. رانيا أحمد

رواية

رقم الإيداع
2019MO5855

الترقيم الدولي ISBN
978-9920-668-44-6

الترخيص
مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي - نسب المصنف ٤.٠ - دولي

الغلاف والإخراج الفني:
دار لوتس للنشر الحر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر

إصدار: نوفمبر ٢٠١٩

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

منشورات دار لوتس للنشر الحر

القاهرة الكبرى:

• ١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل - قرب محطة مترو فيصل

• ١٨ ميدان المساحة - الدقي

هاتف:
01091985809 - 01211313730

الإسكندرية:

• ٦ شارع بن دينار - محرم بك - امبروزو

هاتف: 01068638377

المغرب: الحار البيضاء

• ٢٧٠ زنقة ١٦ - حي البركة - مولاي رشيد

هاتف: 0664391261

مشروع النشر الحر

أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

للتواصل مع الدار والمشروع:

هاتف / واتس آب:

+2 01091985809

+2 01211313730

الموقع البلكتروني

www.lotusfreepub.com

البريد البلكتروني

Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك

FB/lotusfreepub

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كل من أهداني إحساسا
وكل من أهداني حياة بعد موت شيئا بداخلي
أهدي كتابي إلى عائلتي وكل من ساندني
إلى كل من أعطاني حبا.. وكل من أهداني ألما
وأعلموا أن لي قلما لن يكف عن كتابه ما أهدى إليه

مقدمة

لا أعلم، مللت سنوات عديدة و أنا لا أعلم..

ولدت كمسلمة نسبة إلى أبي وأمي في إحدى مدن مصر، كبرت كفتاة جميلة تحمل من الأحلام ما لا تستطيع وطنيتي أن تحققه. وجدت إحدى أحلامي على مدرجات سنة ثالثة، عندما وجدته هو، الشاب المصري الأخف ظلا في الدفعة.. (محمد الشطي)، تصادمت معه ألف مرة، عارضته ألفين ثم تزوجته لنطفئ أعداد لامتناهية من الآلاف..

أكملت الثالثة والعشرون وأمسكت بيديه وقد كبرت بطني، الآن يتحرك داخلي كائن ما سيحمل منه جزءا كبيرا، قلبا وجينات ودما يمتلئ بالحب ونحن نتجه لمطار القاهرة نحو تلك الرحلة المقلعة إلى أحلامي حيثما سأجد بيتا ما وأجلس خلف النافذة الزجاجية ارتشف قهوتي وأؤلف كتابا بهدوء، إنها ألمانيا.. عالما ما خلف أسوار عقلي المنكمش الانطوائي، خلف قدراتي التي حجزت لأعوام خلفها بعادات وتقاليد وعلما لم يشبع شغفي!

أنا حرة، أنا عربيه مسلمة تتذوق للمرة الأولى معنى أن تصبح حرا، الحرية في بلادنا طموح.. طموح يقتل من ينظر إليه بعين الجوع. أنا حرة بل أنا أعيش كحرة! يالها من مذاق مرهق الحلاوة تلك الكلمة!

عشت حتى أتت هي، أتت هي لتصبح تلك القطعة الصغيرة التي تسير على قدمين، أنت هي لتصبح طفلتي العشق الذي توقفت أمامه موهبتي فلم تستطع أن تدون كتبا تصف تلك الطاقة التي تفعلها بي..

أصبحنا تلك الأسرة المثالية وربطتنا مكالمات طويله ب أبي الحبيب فكنت أطلب منه أن يصف كل شيء، أن يحكي لي قصص ذلك وتلك، ضحكت

كثيرا.. حلمت كثيرا.. (حتى حدث ما حدث)..

وبعدها..

(تغير كل شيء)

رحلنا اثنان فأصبحنا ثلاث وعدت إلى الوطن ذاك اليوم واحدة!

عدت شيء من أشياء كثيرة..

شيئا ظن أن كل ذلك الألم وعتبة ذلك الوطن من جديد هي النهاية لبداية لم تكتمل..

شيئا لم يكن ذكيا بما يكفي ليعلم أن العودة تلك المرة ستنعطف بي إلى ذلك الاتجاه!

أنه ذاك المتعطف الذي يخبروك عنه سرا ويختبئون منه ف أحاديثهم الخافتة، يخبروني للتو أنني قابلت شيطان!

و أنا أظن أنني قابلت تاريخا كامل خلف تلك المقابلة الغير مرحب بها، تاريخا قد يبعث إليك كوابيسي تلك بعينها وجسدها..

إن كنت ترغب في ذلك النوع من الكوابيس..

إن كنت ترغب في ذلك المذاق الحاد من الألم وذلك المذاق المر من الخوف،

إن كنت على أتم استعداد لأصطحبك في عودتي تلك وتقابله..

فأنت مرحب بك..

أعطني يدك يا عزيزي لنبدأ

• • •

الفصل الأول
(لقاء ماوراني)

بعد مرور خمسة شهور

تقدمت نحو تلك الطائرة ترتدي معطفها الثقيل، إحدى قدماها لا تسير بشكل سليم، تتكأ بإحدى نصفيها على رجلا عجوز طال العمر شعيراته بنزعته الرمادية، عيناها غير مفتوحة بالكامل تكاد تغلق بين وميض وآخر وتحددت بذلك السواد الذي يحضر بعد أيام شاقه ونوما طال انتظاره، كسرا يقتل وكسرا يضعك في تلك النقطة بين الأموات والحياة.. أنت الآن متحد بين العالمين، قواك وأعضائك تسحب خيطا للحياة بينما يضع الموت بصماته فوق جفناك وصوتك وكوابيسك فتصبح دمية إنسانية بغاية الهشاشة.. حياة تتمسك بك وموتا يرفض أن يلفظك بعيدا عمن تحب!

صعدوا تلك الطائرة ليجلس بجوارها الأب ثم سألها بحنان

- مرتاحه كدة؟

أومأت برأسها المتعب قليلا بالموافقة ثم أرجعت رأسها للخلف بينما تحاصرها الاثنتان ذلك الكوب الورقي من قهوتها، تدرك تماما أنها ستعود إلى وطنها اليوم ولكن لن تعود كما خرجت، يؤلمها كثيرا أن تعود إليه شخصا آخر.. شخصا لم يعد كارها بعض الظروف بوطن يحبه.. بل بات كارها كل شيء، فقد كل شيء.. مات به كل شيء.

***

بعد مرور أسبوع:

(الثامنة صباحا بتوقيت القاهرة)

تناولت كوب قهوتها بجانب تلك الطاولة وهي تكتب الأسطر المتبقية من كتابها،

تنحنح والدها فالتفتت إليه بشبح ابتسامة

- صباح الخير

- صباح النور

نمتي كويس؟

- لو النوم ساعة كل يوم يعتبر سليم فممكن نعتبره كويس

جلس والدها بحزن بالقرب منها وتناول يدها بحنان

- لحد امتى يابنتي؟ انتي مالكيش أي ذنب.. عدي اللي فات عشان تعرفي تعيشي، انا فرحان انك رجعتي تكتبي دة ف حد ذاته تقدم ليكي

تناول الكتاب من يدها ثم بدأ بالقراءة للسطور الأولى لتقتضب حاجباه وتبدأ علامات الغضب بالظهور على وجهه ثم ألقى به في وجهها بغضب لتقابله هي بأسلوب لامبالاة

- ايه ده؟

- أسئلة

- اسمعي يا بنتي.. أنا أتقبلك ف بيتي كبنتي اللي ربيتها وعلمتها الصلى والصوم الست المحترمة اللي هتربي عيالها على اللي ربيتها عليه وعاذرك ف كل حاجة مربتي بيها عارف إن حملك تقيل، ممكن أتحمل إني أشوفك مبتتكلميش إني الاقيكي بقيتي عنيفة على كل اللي بيحبوكي إني أشوفك مبتصليش زي الأول و أقول ربنا يهديها.. هترجع، لكن الملحدة اللي دخلت بيتي وبتنزع بكل قوتها بركة ربنا منه لا فلو اللي وصلتي ليه من قعدتك هناك هودة فروحي مكان ما جيتي

- ملحدة بأرانك ولا بالمنطق يا بابا؟ ايه تفسيرك لكلمة ملحدة؟

أكملت بسخرية:

أنتم هنا بالنسبالكم تؤمنوا بأي شيء وكل شيء لمجرد أن دينك بيقول كدة، ويوم ما اسأل أسئلة أو أي حد يشغل مخه ويطلب دليل يبقى بالنسبالكم ملحد وكافرو ابن سته وستين شتيمة مش كدة؟

- الأسئلة لما توصل لتطاول على ربنا يبقى مش أسئلة.. يبقى انتي ضعيفه لدرجة

إن شيطانك يسيطر على مخك ويلغي إيمانك، إحنا يا بنتي مش بنؤمن عشان إحنا ضعاف ولا مالناش رأي.. إحنا بنؤمن لأنها فطرة الإنسان لأن الإيمان هو القوة اللي ربنا بيدهالنا على ابتلاءه، الطريق اللي بقيت بشوفك ماشيه فيه مالوش رجوع لو مخدتيش بالك إنتي رايحه فين فيه، بقالي فترة بلاقي كتب غريبة بتقريها وبتكتبيها.. بكرة هتندمي بس اسأل ربنا اللي فوقك انه يفوقك على ندمك ومتستمريش ف غشاوتك دي

نظرت إليه بحده ونهضت من ذلك الكرسي تتأرجح بين ساقها التي تسير ببعض العرج

دخلت غرفتها لتغلق بابها بين نبضاتها التي تعلو وتخبو بألم متكرر لا يزول، غرقت بين وسادتها على سريرها المتواضع وعيناها التي بقيت مفتوحة لترى منها ذلك الضوء بعينه، ذلك الضوء الذي يلمع بعين كل شخص يتألم، ذلك الضوء الذي يصاحب التعساء دائماً، الذي يعيش لسنوات دون أن يرحل! ويختفي برحيل من يحملوه..

وجدت ذاتها تحلق بالذكريات، تسافر للأمس وتتشبث بكل عنفوانه ومشاعره وسلبيته.. تاهت للحظات بين ليلتها..

مرت بما حدث ذلك اليوم، تلك الليلة التي غيرت حياتها كليا.

تلك الليلة التي عادت بها محملة ببعض الهدايا استعدادا للعودة إلى مصر، دخلت ذلك المنزل لتضع الأكياس جانبا، أخذت تبحث عن ابنتها الصغيرة وزوجها لعلهم يختبئون في ركن ما ليفاجئوها، ولكنها تسمرت بذلك المكان تماما عندما رأت ثلاث رجال يقفون بأسلحة بينما يقوم أحدهم بكتم فم زوجها، أشار أحدهم إليها بالدخول إلى الغرفة دون أن تنطق، ابتلعت ريقها بخوف لتدخل فأشار إليها أن تجلس بكرسي ما، أخذت عيناها تتجول برعب بين زوجها الراكد بين قبضتهم وبين ذلك الرجل الذي يحدثها بلغته

قالت له بين صدمتها وخوفها

- ماذا تريدون منا؟

ابتسم الرجل بسخرية ليتوغل بعينها ويزيد فزعها جنونا

- نريد أن نتسلى قليلا

- أي نوع من التسلية هذا!

- انه نوع التسلية المفضل لدينا، تخيلي كم من الممتع أن تضع تلك السكين خلف رأس مسلم إرهابي يسكن في إحدى شوارعك؟

- أتقتلوننا لأننا مسلمون؟

كان الفزع والصدمة يسيطران على عقل سارة تلك اللحظة وهي تبحث في وجدان من يقف أمامها عن أي بذرة صالحة للرحمة ولكن ملامح الرجل ونبرته كانت تزداد سخرية واحتقاريمتزج بابتسامة صفراء لعينة

- لقد أخبرتك.. انه شيء ممتع

لم يكن هؤلاء القتلة يدركون أن طفلتها تختبئ بتلك الخزانة تختلس النظر إلى ظهر ذلك الرجل الذي يضع سكينا على رقبة والدها، كانت ساره تبحث عن ابنتها بعينيها، لم تستطع أن تسأل عنها أملا أن تستطع ابنتها الهروب، ولكن القدر لم يقبل بتلك المعجزة حتى في عين سارة، نظر إليها أحدهم بخبث واستدار مبتسما ابتسامة صفراء للآخر، وضع الرجل تلك السكين على رقبة محمد تحت مشاهدة سارة لتنساب الشلالات من الدماء المتلألئة، وضع الآخر يده فوق فمها مانعا صراخها أن يخرج بين عيناها المتوسعتان ونبضات قلبها التي أصبحت تقفز فوق كل المعدلات الطبيعية، كانت عينا محمد تفقد بريقها.. تتدرج بين الانغلاق أو بين الموت، أغلقت بين شلالات الدماء التي لازالت تنهمر من جسده ليتركه الرجل ساقطا على الأرض جثة بين صدمتها، بين تلك النيران التي نشبت بداخلها! بين حبا ذبح على تمتمات ضحكات مختلة، تناول الآخر السكين ليضعها مبتسما على رقبتها.. اقترب بين وجهها الغارق بالدموع بسخريته وبذاءته ليسقط ذرة إيمانها الأخيرة

- (الآن أين ربك يا عزيزتي؟)

أغمضت عيناها بين دموعها.. للحظات ظنت أن ذلك السكين سيكون سكين الرحمة الذي سيصل رو ابط أرواح المحبين، ذلك القطع الصغير بعنقها سيحرر

روحها للأبد إلى زوجها الحبيب فقط.. قليل من الألم ثم راحة أبدية.. أبدية كثيرا!

ولكن..

تلك السكين توقفت قبل أن تمر فوق رقبتها عندما توارى ذلك الصراخ.. صراخ ابنتها! كم تمنت سارة لو أن ما حدث انتهى بمقتلها، كانت تتمنى أن تسقط جثة بجانب محمد.. أن تصبح هي قضيه يكذبها ويصدقها البعض. تمنت أن تصبح نهايتها بكل بساطه حسب القصة التي وضعوها.. أن تنجلي خيوط النور تلك ويخمد كل شيء قبل أن يتأجج.. تمنت وتمنت! ولم تدرك أن أسوأ سيناريو هو ما سيحدث!

نظر احدهم نحو تلك الخزانة ثم توجه إليها ليفتحها بين صراخ ساره التي شاهدته يمسك بالفتاة بقسوة، رن الهاتف زارعا تشتتا لانتباههم فاستغلت انشغالهم وقامت بافتراس تلك اليد القذرة التي تكبت حركتها واستدارت لتحمل صغيرتها وتركض بها فلحقوها بتلك الرصاصات المتتابعة، أصابت احدهم ساقها ولكنها استمرت بالزحف نحو تلك الغرفة لتغلق الباب ثم جلست بتلك الزاوية حاملة طفلتها وهي تستمع نغمات سيارات الشرطة.. فقدت الوعي.. فقدته إلي أمد لا علم لها به لتستيقظ بعد ذلك بوهلة طويلة!

استيقظت.. لتستمع أصوات الشرطيين وهم يبحثون بالمنزل، فتحت عيناها شينا فشينا بين حلقها الملتصق، حاولت أن تخرج كلماتها بفم ثقيل إلى أن خرجت بصعوبة شديدة وبحة عميقة الألم

- مي.. قومي حبيبتي.. خلاص

مي..

مي؟

وضعت يدها فوقها.. هزت جسدها الصغير بضع مرات.. استمرت بمحاولة إيقاظها.. ألقتها على إحدى جانبيها لتجد دماءها التي أصبحت تغطيها كليا وعينان طفلتها النائمة بكامل الفرولية البرينة، نامت طفلتها بعمق.. ولكنها نامت موتا بين رصاصة غادرة! رصاصة لم تكن رصاصة رحمة.. بل كانت رصاصة قتلت كل شيء.. حتى سارة ذاتها!

استعادت سارة وعيها بين تلك الدموع التي تتساقط من عيناها، دفنت رأسها بين تلك الوساند وكتمت شهقاتها ثم غرقت محاولة النوم بعقل متيقظ وقلبا حرق حيًا..

تلك الأم التي فقدت أمومتها وقلبها معا لم يعد بها متسع ليستقبل ذلك العالم الضيق الموحش بعد الآن..

أنا أتألم.. أنا أفقد.. عاقبني أنني مسلمة!

((الآن أين ربك ياعزيزتي!))

***

مرت أسابيع لم تجد بها سوى غرفتها وشاشة الحاسب الآلي، أصبحت تلك الشبكات الإلكترونية هي صديقتها التي تعبر بها الساعات والوقت وتستنزف بصرها وقدرتها، كانت تجد بهم الدواء المناسب الذي يرهقها حتى تسقط نوما دون أن يسفكها التفكير والذكريات اللعينة، رأت ف عالم الإنترنت ذلك المخبأ التي لا تبنيه جدران ولا تخرج إليك منه المصائب، جل ما يأتي منه هو بعض الرسالات التافهة.. بلوك مرضي.. تعليق خاطئ.. طلبات المتطفلين

الإنترنت هو ذلك العالم الضائع في منتصف عوالمنا المتكدسة أكثر من اللازم.. عوالمنا التي امتلأت بالمادية والسخط حتى اختنقت حلوقنا! الإنترنت هو الجزيرة الطائرة في تلك الدائرة المنتصفة لكرتنا الأرضية، تلك الدائرة التي تسير في مسارتها الخاصة التي تتخلص فيها من ذنوبك وأعباءك وتضع على الخطوة الأولى منها ماديتك..

تلك الليلة حصلت سارة على عرض رائع، أخبرتها صديقتها منذ الدراسة والمهتمة بأمور ما وراء الطبيعة بشكل غريب أن هناك اجتماعا يتم لأعضاء جروب يهتم بدراسة الماور انيات، يتضمن الاجتماع كمية كبيرة من المهتمين بعلم الميتافيزيقا أو الماور انيات ليسردون قصص ويناقشون أخرى تتناول بين التكذيب والتصديق، كانت (آيه) تدرك تماما عدم تصديق ساره لتلك الأمور.. بل وتدرك تكذيبها لكل ما ستراه منذ اللحظة الأولى ولكن تلك الأمنية التي أصبحت تراودها وتراود كل من

يدرك ما مرت به سارة حول محاولة صرف انتباهها عن السلبيات المتبقية من ذلك الحادث هو ما دفعها لإخبارها بذلك

وجدت ساره بذلك العرض مجرد مغامرة صغيرة تستطيع أن تكتب عنها في كتاب ما، فقرة من الهزل ستتطرق إليها بشكل ساخر، ربما تلك هي المرة الأولى التي ستشاهد فيها مناقشات عربية جريحة تتناول الأساطير، لطالما أيقنت أن الإيمان بتلك الخرافات موطنه العرب، تلك الجاهلية التي استحوذت منات السنين على بلاد العرب هي من صنعت أكاذيب تعلق بها البشر ليعلقوا بها ما أصابهم من جهل.. من موت وفقر وظلم وعدم قدرتهم على نسب تلك الأحداث إلى ما اقترفوه خلق الحيّز الملائم للوهم!

وهم الهروب من أخطائهم وفشلهم الخاص لا غير.

***

دخلت سارة مع صديقتها إلى فيلا كبيرة ثم توجهوا نحو الحديقة، كانت الكراسي مصفوفة بشكل حلقة نصف دائرية تضم عددا كبيرا من شباب وفتيات في مقتبل العمر تتراوح أعمارهم من ال١٨ إلى أوائل الثلاثينيات ويتقدمهم بكرسي شابا في أواخر العشرينيات يجلس بغرور شديد وهو يتناول سيجارته ببطء، لم تشاهد سارة منه سوى الظهر فقط ولكن جلسته أوحت لها بكم الكبر الذي يمتاز به ذلك الشاب، أما الجهة المقابلة فيقف فيها من يبدأ بالمناقشة أو سرد قصته ثم ينهيها بتقبل أسئلة الجالسين والرد عليها.

بدأت المناقشة بقيام احد الشباب الجالسين برو اية قصبته مع الجن.. وهي قصه لم ترق ساره أبدا لما احتوته من المبالغة المفرطة، شخصا ما يقف أمام جمهور مفتوح الفم ينتظر أمرا ما يجذب انتباهه ليخبرهم انه رأى قطة سوداء تقف بجانب باب شقته التي يمكن أن يصل إليها ألف قطة بشكل طبيعي فما الغريب بشدة ليجعل قطه مشردة جنيا! ثم يصمت قليلا ليكمل عن تلك اللعنة التي أصابت عائلته فأصبح كلا منهم لا يطيق معيشة الآخر! ولا تعلم هي ما وجه الغرابة في عائله ما فقدت قدرتها على التفاهم! ليكمل الشاب عن مشاهدة رجلا مقطوع الرأس

بغرفته.. وذلك الظل الذي يصحبه! ولماذا لا يظهر الجني في مكان عام ويكتفي أن يقوم بقطع رأسه في غرفة الرجل؟أم تلك الغرفة تمتلك ذكريات مفضلة لذلك الجني ليمارس هوايته المفضلة بقطع رأسه وإعادتها نيولوك!

كانت تدور برأس ساره الالاف الأفكار الساخرة ولكنها كبحتها إلى حين ما، عاد الشاب إلى مكانه لتقف تلك الفتاة الصغيرة التي يبدو عليها أنها لم تتجاوز العشرين من عمرها لتروي قصه أخرى تثير سخط ساره ليتبعها شاب آخر ثم آخر، كانت تنتابها ضحكات استهزاء مع كل قصه خرقاء تتبادر لذهنها حتى أتى ذلك الشاب الذي وقف ليحكي قصته مع الجن الذي يستعير ملابسه.. كيف تختفي ملابسه وكيف يجد بعضها موضوعا بعناية على سريره كأن هناك من اختار له ما يلبسه ذلك اليوم، لم تسمع ساره تلك القصة حتى انفجرت ضحكا على هذا العته الذي اصبح يكبر ويتزايد..

فردت بسخرية ممزوجة من الضحك لا إراديا

- دة عفريت كاجول بقى.. هاتلي واحد زبه الله يرضيك يا ابني!

لم تكمل جملتها حتى استدار إليها كل الجالسين بنظرة غضب بينما هم الشاب بالرد عليها ولكن الشاب المتكبر الجالس على ذلك الكرسي متقدما الصفوف أشار إليه بالجلوس فاتجه الآخر بصمت وعاد مجلسه ليتبادل ذلك الشاب مكانه بالوقوف وقف ذلك الشاب لتظهر ملامحه أخيرا لساره، كان شابا وسيما.. يمتلك حاجبان حادان وعينان أكثر حدة، طويلا ذو شعر بنيا داكنا ولحية خفيفة على وجه الزبنة كباقي الشباب، يبدو عليه انه لم يتجاوز الثلاثين كما يبدو عليه الأناقة أيضا وضع الشاب هاتفه الجوال بإحدى جيوبه وعيناه تتجه بحدة نحو سارة، رفع إحدى يديه ليحك ذقنه بابتسامة خبيثه

- ها.. حضرتك كنتي بتقولي ايه؟

- أنا شخصيا مقولتش بس نفسي من أول ما قعدت القعدة الحلوة دي أتكلم بس قولت أكمل هبل لحد ما أشوف آخرتها

- هبل ايه بالظبط؟ معلش اصلي مش شايف أي هبل في الجلسة بتاعتنا فممكن

توضيح

نظرت إليه بمزيد من التحدي والسخرية وأشارت بأصابعها بشكل دائري بمعنى (هذا)

- البيل ده I mean I got it، عايشين جو الأمريكان والساسبنس والبارت بتاع أيام الفزع وهكذا بس (ضيقت عيناها باستنكار) مش شايفين أنكم مزودينها شوية؟

- امم.. معنى كلامك انك مش مصدقه اللي بنناقشه هنا؟

نظرت إليه قليلا ثم ضحكت بسخرية

- يجد؟ واحد بيحكي عن جن بيحضرله لبسه والتاني عن واحد ماشي براسه ف أيده، وبنت صغيرة روح! بذمتك البيل دة يصدقه مين غير المجانين يا جهلا

If u really believe in this so its your problem

- وليه متقوليش المتفتحين العقل مثلا؟ حد بلغ حضرتك قبل كدة إن علم ما وراء الطبيعة بقى مادة بتدرس في بعض الجامعات الأوروبية؟ أو مثلا حد قالك إن في نظريات للعلم أثبتت التدخل الغير طبيعي في الحياة، اعتقد إن لو في حد هنا بيتكلم عن جهل فهو انتي مش أي حد من اللي سردوا قصتهم

ضحكت ساره لتستفزياسر تماما

- حضرتك قابلت جن قبل كدة؟

كل اللي هنا مروا بتجارب لو حابة تكملي سماعها هتسمعي قصتي معاهم

- امم.. أفهم من كدة انك قابلته؟

- دة على أساس انه واحد صاحبي عشان أقابله! بس عشان أريحك بدماغك دي ايوة

- تمام..تمام

بما انك شوفته بقى ممكن توصفلي شكل الجن؟

- والله على ما اعتقد انك لو عايشة ف الدنيا كنتي هتعرفي إن الجن من أيام سيدنا سليمان وهما بيتشكلوا في شكل مخلوقات تانيه منها البشر.. يعني مش ضروري إني عشان شوفته أبقى شوفته ف هيئته الحقيقية مثلا

- ولما حضرتك مشوفتوش ف هيئته الحقيقية عرفت منين المعلومة البديعة انه دة جن! ما يمكن قطة فعلا.. ما يمكن حرامي.. ما يمكن حد غلس بيغلس عليك وعارف انك بتخاف

ضحك ياسر بسخرية ثم أكمل

- أنتي بجد مؤمنه بكلامك دة؟ لما يبقى واحد قاعد ف بيته اللي ف الدور السابع وكل البيبان والشبابيك مقفولة وفجأة يلاقي قطة معاه جوا الشقة وعينها بتطلع ألوان وأشكال من النظرات دي تبقى قطة عادية؟!

وسيادتك لما الأستاذ اللي كان هنا يشوف ناس ماشية ف البيت وهو لواحده ويلاقي حد قاعد جنب سريره؟ دة حرامي.. دة على أساس إن الحرامي داخل يلطف ويستظرف!

- أهو مبدأك دة نفسه بيثبت صحة كلامي، انتم عايزين تثبتوا الفكرة نفسها من قبل أي مؤثرات عشان كدة ممكن الخوف والفكرة اللي زارعينها جواكم تُخلق من الوهم حقيقه بالنسبالكم، ف مصر يقولك اللي يخاف م العفريت يطلعله وف علم النفس لو حطيت أي فكرة حتى لو مش موجودة وشغلت بيها تفكيرك هتلاقيها ادامك بتتكسي لحم ودم.. دة تكوين بشري يا أخ

- ويا ترى من ضمن التكوين البشري إنك تسمع أصوات متعرفش مصدرها والأصوات دي تقولك حاجات انت متعرفهاش؟

توقفت سارة لتعلن خروجها:

- منا بقولك.. علم النفس شرح كم الهلاوس اللي ممكن يعدي الإنسان بيه لو صنع فكرة وركز عليها.. انت ممكن تقابل هتلر نفسه لو حبيت بس حط في دماغك انه هيدخلك من الشباك هتلاقيه، أستئذنك مكانش صدقني في دماغي أضايق حد بس دة حصل.. يلا يا (آيه)

هموا بالخروج ولكن أوقفها صوته المرتفع

- ساره؟

التفتت بصدمة من سماع اسمها، كيف علم اسمها وتلك هي المرة الأولى التي

يتقابلان خلالها.. ولكنها اكتفت بعلامة الدهشة وبررت علمه بربما أن (آيه)قد أخبرته عنها من قبل فكلاهما في نفس المجموعة ولعله أحد أصدقائها

نظرت إليه كما نظر الباقين بدهشة فاكمل بابتسامة صفراء

- لمسه مكانها بيوجعك؟ في أماكن.

صمت قليلا ثم أكمل

- ف القلب بتوجع اكتر من اللازم

أشار لقلبه ثم اخفض إصبعيه نحو إحدى ركبتيه وأشار إليها بابتسامة خبيثة

- وبتسيب ذكرى.. حتى لو كانت (طلقة رصاص)

أدركت ساره انه يتحدث عن ابنتها التي قتلت، تلك الأماكن التي تسقط من القلب لا يعود بعدها قلبا حيًا كما كان، يصبح بعدها القلب مضخة للدم تعطي بعض الوقت على أمل أن يتوقف يوما ما فينعم ما تبقى فيه من إشارات حسية بالراحة، صدمت ساره لمعرفته كل ذلك، حتى أن كانت (آيه) صديقتها قد سردت له قصتها فهي لا تعلم قصة تلك الرصاصة! الجميع يعتقد أن سبب ذلك العرج الخفيف الذي أصيبت به نتيجة لسقوطها خلال الحادث مع وزنها الضئيل فأحدث ذلك الخلل! لم يعلم أحد عن تلك الرصاصة التي نزعت لتترك ندبة حمقاء على جسدها تذكرها بما مضى طيلة العمر، كيف علم بذلك! كيف؟

ظلت ساره تنظر إليه بدهشة تتخللها نظرات الحزن، استدارت لتركض هاربة كل شيء بين ساقها التي لا تساعدها كثيرا، لحقت بها (آيه) التي نادت اسمها لآلاف المرات محاولة أن تلفت انتباهها ولكن ذلك العالم الذي غرقت فيه ساره سرقها إلى حالة من اللاوعي.

أكان ذلك لقاء بعده منطق وجدران الحقيقة أم كذبا تكور بجهل العرب وشياطين الماضي!

***

بعد مرور يومين:

دخل أباها غرفتها ليجدها تجمع أغراضها وتضعهم في حقيبتها، توقف أمام الباب

ثم طرف بعينيه بضيق، توقف أمامها مباشرة بشيء من العتب

- بردوا مصره؟

التفتت إليه بابتسامة رقيقة

- معلش يا بابا.. أنا أعصابي تعبانه محتاجة اقعد مع نفسي شوية

- وتفتكري ماليش حق عليكي كأب اني ابقى مطمن عليكي، يابنتي أنا جنبك هنا وقلقان عليكي أومال لما تسيبيني و انتي ف الحالة دي أطمن عليكي ازاي وبعدين هتروحي فين هو انتي ليكي مكان غير هنا!

- بيت محمد يا بابا.. انا استئذنت أهله كلمتهم وعرفت انهم مش هيرجعوا من الكويت دلوقتي شكلهم مش عايزين يرجعوا م الأساس، ومامته قالتلي اروح اقعد في البيت ع الأقل يتفتح شوية

- يا بنتي دة بيت مقفول بقاله كتير دة تلاقيه مليان تراب هتعيشي فيه ازاي!

ربتت على كتف أبيها بحنان

- مهما بعتو ناس ونضفوه متقلقش

- وهتقعدي لوحدك ف البيت دة كله!

- دة كله ايه بس يا بابا دي فيلا صغيرة مهواش منتجع، متقلقش يا بابا صدقني كل حاجة هتبقى كويسة المهم متخافش

تجول الأب في عيناها بحب ثم أحاط ذراعيها

- انا مش خايف يا ساره عارفة ليه؟ عشان عارف ان برغم كل حاجة انا مخلف بت جدعة.. و اثق فيكي وو اثق انك هتعرفي تخرجي من كل اللي انتي فيه قريب

ابتسمت برقة وطبعت قبلة حنونة على يد ابيها ثم طرفت بعينيها بهدوء وهي تتأمل عيناه الحنونة

- ربنا يخليك ليا يا بابا

***

ترجلت من سيارة الأجرة نحو تلك الفيلا الصغيرة، مكونة من طابقين وحديقة صغيرة اهلك نباتاتها الجفاف والإهمال ولكنها تشبه المنازل الأمريكية نوعا ما، دخلت إلى

الفيلا لتضع حقيبتها جانبا وأخذت تتفحص قطع الأثاث بإعجاب شديد، الطابق الأول مكون من غرفة المعيشة ومطبخ أميركي وذلك هو الدرج المؤدي للطابق الثاني الذي يحوي ثلاث غرف نوم إحداهما كان لمحمد زوجها بالإضافة إلى غرفة صغيرة لمكتب يضم بعض كتب والده القديمة وتلك المجلدات المرتبة بمسحة من تراب السنين فوق أعناقها لقضايا منتهية خاضها يوم العم سعيد الشطي والد زوجها الحبيب، دخلت إحدى الغرف لترى تلك الصور المعلقة لمحمد كم كان صغيرا في تلك الملابس المضحكة وذلك الشورت الأخضر! ابتسمت بحزن ثم وضعت رأسها على سريره.. تكاد تجزم أنها لا زالت تشتم بقايا عطره، تكورت كالجنين المتعطش لبعض الحنان.. سقطت دمعة من عينها لتترك دائرة مائية على الفراش، أغمضت عيناها لتنام للمرة الأولى بعمق منذ ذلك الحادث..

محمد.. لا زلت هنا.. أتر اقصك مي يا حبيبي؟

أتلعبان الغميضة حولي الآن؟

أنت ملتصق بتلك القطع القطنية حولي يا حبيبي.. ملتصق بر ائحتك ونثرك وقصائدك ودعاباتك..

اشعربك.. ولا تعلم كم يؤلمني انك هنا ولا استطيع لمسك..

بعد مرور بعض الوقت:

الساعة السابعة والنصف مساء:

تشعر بصداع شديد.. استيقظت مع عدم قدرتها على فتح جفونها من شدة الصداع ووضعت يدها على رأسها تتحس ذلك الرأس الذي قارب على الانفجار، نهضت لتفتح عيناها شيئا فشيئا مع علامات الضيق الحزينة..

تناولت هاتفها الجوال لتجد أن البطارية قد نفذت.. يا إلهي من المؤكد أن أباها منامتها الناعمة

قلق عليها كثيرا، توجهت نحو حقيبتها لتقوم بشحن بطاريته النافذة ولترتدي

وضعت كتبها بتلك الرفوف الصغيرة بغرفة محمد مزيحة بعض التراب بكفها الرقيق ثم ترجلت بهدوء للطابق السفلي لتجلس على الأريكة تكتب صفحاتها

النهائية من كتابها بين ذلك الهدوء وكوب القهوة المعد بثلاث قوالب من السكر وقطع البسكويت المغموسة في الشكولاته بعناية. وجدت بين ذلك العالم الجديد ضالتها ومنفاها لتخرج ذلك الكتاب للنور- لتبحث عن اسأله منطقيه تندب حظها العاثر أنها خرجت من عقل امرأة في عالم ثالث يقف سقف حريته عند معتقداته وأديانه، عالم دثر كل الحقوق وهو يتحدث عن دين وضعها بالمقدمة! تناقضات أوقدت حقدا بها نحو موطنها التي عادت إليه لتكتب.. تكتب فقط لا لتشفى من عنصرية ذاقت رمقها الأخير بتلك البلاد الباردة..

توقف القلم فجأة مع صوت ذلك الارتطام فنظرت ببعض التوتر باحثة يميناً ويسارا عن مصدر الصوت، أغلقت الدفتر ونهضت تتجول بين الغرف، صعدت إلى غرفتها لتجد باب الخزانة مفتوحا بينما تسقط منه بعض الثياب القديمة لزوجها فاقتربت باندهاش وتعجب ورفعت تلك الملابس عن الأرض ثم أعادت غلق الخزانة مرة أخرى. هل أصابك يوما ذلك الإحساس؟ أن تمر رياح باردة خلالك تماما وانت تضيع هائما إلى شيء ما ضاربا بك اليأس والدهشة كل جدرانك وحواسك.. أن تشعر أن خطأ حدث سهوا أو عمدا ولكنه فقط حدث.. هو ذلك تماما.. هي ساره الآن..

توقفت قليلا « ببعض التعجب ولكنها عادت للأسفل كما كانت صارفة عقلها أو محاولة لذلك لا غير، طرفت بعينيها لتتحرك أناملها ببعض التجمد نحو قلبها، عصره مرت هنا فانكمشت أناملها فوق صدرها الأيسر ببعض الألم ثم نفسا عميق لتجلس بهدوء فقط.

***

الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل:

ضاقت ملامحها بين عيناها المنغلقة على سريرها الدافئ، محاولة النوم أصبحت تنجلي مع ذلك الصوت المرتفع للبيانو، أي بيانو هذا الذي يخرج الآن في مدينه تسمع فيها خروشات القطط ليلا! نهضت بتأفف من ذلك المتعجرف الذي يعزف ليلا على إزعاج الناس، ترجلت من السرير لتنزل لأسفل شيئا فشيئا ولكن الصوت

انتهى تدريجيا عند آخر خطوات الدرج، جلست على الأريكة وتناولت مسكن الصداع ليعود الصوت مرة أخرى ولكن خلال الممر الجانبي للدرج (من ذلك الركن المقابل)، هنا عقدت حاجباها بصدمة ليسقط ذلك الكوب من يدها بلا إرادة! أدركت أن ذلك الصوت لا يصدر سوى من داخل المنزل سبقا وإصرارا مزج بالترصد والتأكيد، أمسكت حقيبتها لتخرج هاتفها وصاعقها الكهربائي للدفاع عن النفس وسارت بحذر نحو مصدر الصوت، أضاءت تلك اللمبه الخافتة لتشاهد شخصا ما يجلس على بيانو قديم مغطى بأقمشة متسخة، الغريب لم يكن فقط في وجود شخصا ظهر فجأة في منزلها الانطوائي.. ولا انه يعزف البيانو ليلا صاخبا بلا اكتراث! بل إن الفزع بعينه أن تدرك أن ذلك البيانو مغطى بالكامل من الأساس وذلك الشخص يسقط ذراعيه بجانبه كالميت.. فكيف يعزف البيانو إذا؟!

ارتفع صوتها بالتهديد مشهرة جهاز الصاعق

- انت مين؟ وليه دخلت هنا.. أنا هتصل بالبوليس..

تناولت هاتفها لتضع الأرقام الأولى للشرطة ليوقفها صوت تمتمات ضحكاته المفزعة، لم تسمع ساره في حياتها ضحكات كتلك.. بالرغم من عدم رؤيتها لوجهه إلا أن صوت ضحكاته يبعث لك منذ اللحظة الأولى بالخبث والفزع، تلك الارتجافة التي أصابتها مثل من يسمع عواء يخرج من جسد بنر لم يمسسه بشر منذ دهر! ابتلعت ريقها لتضغط زر الاتصال ورفعت رأسها لتجد ذلك الشخص يقف أمامها مباشرة.. وقعت سارة للتو بعينيها أمام شيء لا يوصف من فظاعة شكله، ذلك الشخص لم يكن سوى الشاب الذي قابلته في تلك المناقشة ولكن عيناه متسعة بشكل مخيف وضحكته تتسع بين فتحة فم تتصل من أذنه اليمنى للأخرى..

لم تستطع ساره أن تتحدث، كانت دقات الفزع بقلبها تربط لسانها عن الكلام لتقف مفتوحة الفم متسعة العينان تكاد تفقد توازنها حتى استطاعت تلك الصرخة أن تصعد من داخلها وتخرج، أطلقت صرخة مرتعبة كادت أن تخرج روحها من شدتها لتلتقط حقيبتها وتركض نحو الباب الخارجي ثم خلال البوابة الرئيسية..

جلست على الرصيف المجاور حافية القدمين ترتدي منامتها.. نظرت إلى الفيلا

برعب ثم تجولت بنظرها نحو المدينة الهادئة! ذلك الظلام الذي يغطي مدينة (الشيخ زايد) والصمت المرتب الذي لا يشعر به أحد بالآخر لا ونيس فيه لمنقذ..

تمالكت نفسها وضغطت زر الاتصال

- بابا.. انا خايفة..في حرامي ف البيت

الأب بصوت مرتفع مختلط برعب

- انتي فين دلوقتي؟

- أنا خا..يفة.. تعا..لى.. قدام البيت

أغلقت السماعة وخفضت رأسها لتستيقظ على ضوء سيارات متعددة تقف أمامها.. موسيقى أثارت الذكريات لأصوات تعرفها جيدا مرت بها بالأمس وتروي عيناها التي تكتشف الأضواء بتشوش الآن، نهضت لتجد أباها أمامها فارتمت بحضنه الدافئ تنعم بصدر خجول من الأبوة وهي تشاهد رجال شرطة يقتحمون المنزل، خرج الضابط من الفيلا التي اقتحمها منذ دقائق مناديا رجالة بالخروج بحزم ثم توجه لسارة

- مدام سارة كل الشبابيك مقفولة من جوة مفيش أي مدخل للبيت غير الباب انتي كنتي سايبه الباب مفتوح؟

تعجبت سارة من السؤال الغبي الذي طرحه الضابط

- واحدة قاعدة لوحدها تفتكر حضرتك هتسيب باب بيتها مفتوح؟

- طيب وتفتكري حضرتك الحرامي لو دخل هيدخل منين لو كل شبابيك البيت ومداخله مقفولة من جوة؟! وإذا اقتنعنا انه دخل تقدري تقوليلي خرج ازاي؟

- خرج من الباب اللي خرجت منه انا جربت والباب أكيد انفتح ور ايا

- على كدة بقى حضرتك شوفتيه وهو بيهرب

- لا مشوفتوش طبعا

نظر الضابط إلى ابيها بغضب ثم أردف

- عم جلال لو الحرامي خرج من الباب ومدام ساره قاعدة بالظبط جنب البوابة برة وبتجزم إنها مشافتهوش وهو خارج والحرامي عشان يعرف يخرج برة الفيلا مفيش

أي مخرج ادامه إلا البوابة تقدر تقولي حضرتك هرب ازاي؟ دة غير إن مفيش أي آثار اقتحام ولا حتى في سرقة ولا اعتداء!

- حضرتك عايز تقول إني بيتهيألي صح؟

- أنا مقولتش كدة.. أولا وأخيرا حضرتك قاعدة لوحدك في مكان هادي وبيمر علينا حاجات من دي كتير، الخوف بيوسوس للناس باللي مش موجود

- وأنا مش طالبة حضرتك تصدقني بس أنا مبيتهياليش ولا بوسوس من فراغ.. وأنا بحملك مسؤولية أي حاجة ممكن تحصلي

انصرفت ساره بغضب لتدخل المنزل بينما ير اقب والدها خطواتها بألم

نظر الضابط إلى الأب جلال بتفهم وأردف قائلا

- حج جلال انت عارف إني بحبك وبحترمك اد ايه، أنا مش هعمل محضر بالكلام دة بس احسن إن حضرتك تقعد معاها ومتسبوهاش لوحدها.. وانا مقدر ظروفها بس انت عارف

إحنا مشاغلنا كتير ومش فاضيين للكلام دة.

أومأ الأب برأسه اتفاقا بنظرة حزن على وضع ابنته ثم ربت على كتف الضابط بتفهم ليومئ الضابط برأسه هو الآخر تفهما ويستأذن للانصراف بهدوء، انصرف الضابط ليدخل الأب المنزل بخطوات متعثرة وقلب واهن

دخل ليجدها تجلس على تلك الأريكة بهدوء فربت على كتفها بحنان وجلس بجوارها

- مالك يا حبيبتي، مش قولتلك بلاش..

لم يكمل الأب كلمته حتى قاطعته ساره بحدة

- بابا تقدر تمشي لو عايز

طرف الأب بعينيه بهدوء وهو يضع كفه على شعرها ويمسح عليه بحنان وهدوء

- إحنا الاتنين هنمشي بس الصبح

قبل جبينها واحتضنها بين علامات التعجب التي سكنت عقلها مما حدث تلك الليلة.. ولكن ذلك الدفء الذي اجتاحها بين ضلعيه اخمد كل شيء.. اخمد كل الضجيج إلى حين آخر..

***

في مكان ما.. في حديقة زارتها سارة من قبل، انعكست الشمس على تلك العينان العسلية الحادة بينما يرتشف صاحبها رشفة عميقة وهو يتأمل الصورة الفوتوغرافية بين يده، تلك الفتاة غريبة.. شيء غريب بعينيها وعميق، تلك الملامح الهادئة بلا زينة وعينان عسليتان لهما سحرا غريب بعيدا عن الجمال ذاته.. يعرف ياسر تلك النظرة.. نظرة المسؤولية، أن يصبح للإنسان ظهر من المشقة يظهر بمسحة من التحدي والقوة في بؤبؤيه هكذا تلك مسؤولية.. ولكن شيئا ما خلفها صاخا بكل قوته، خذلانا أم حزن لا يعلم.. أهو رجلا؟ أهو أملا لم تعثره الجميلة أم راحلا ترك دنياها!

ابتسم ياسر باستهزاء وقرب فنجانه وهو يرتشف الرشفة الأخرى ولازال معلقا بعينيه نحو الصورة

- يمكن جن يا حلوة..

قرب الصورة أكثر لعيناه ليكمل بحيرة

- مين عارف..

***

الساعة العاشرة والنصف صباحا:

نهض والدها من تلك الأريكة ثم اتجه نحو غرفتها ليطرق الباب عدة مرات

- تعالى يا بابا أنا صاحية منمتش

دخل الأب ليجلس بجانبها على السرير ثم وضع يده على رأسها ليمسح على شعرها بحنان وهدوء متسائلا بابتسامة قلقة

- بردوا مش هتيجي معايا؟

- معلش يا بابا صدقني أنا هبقى مرتاحة هنا

- مرتاحة فين! دة أول ليلة ليكي وحصل كدة أومال لو قعدتي كمان!

طرفت سارة بعينيها بنعومة ثم أكملت برفق

- سيبني على راحتي يا بابا وصدقني مش هزعجك

زفر الأب بقلة حيلة ثم أكمل بهدوء

- اوعديني انك هترتاحي وترجعي عندي يابنتي.. و أنك لو احتجتيني مش هتسيبي نفسك

- و أنا ماليش غيرك ألجأ ليه أصلا

ابتسم الأب بشدة ليطرق على رأسها بسبابته والوسطى بمزح رقيق

- ليكي ربنا يا حبيبتي.. يا عنيدة

ابتسمت إليه لتطرف برقة.

وقف ياسر مكتف الذراعان متكأ بإحدى جانبيه على تلك الخزانة الصغيرة التي تصطف أسفل نافذة كبيرة بتلك الغرفة وهو يراقب الأنفاس الهادئة لذلك المراهق النائم بعمق، ابتسم ياسر بخفة وهو يراقبه بصمت ليطرف بعينيه ويتحرك بهما متتبعا ذلك الكتاب المفتوح الملقى على كفتيه بجوار السرير ليدرك انه سقط من النائم دون أن يدري بعد أن فرد النوم ذراعيه قهرا وذلك الكتاب المسكين وقع بحظه العاثرين يديه تلك اللحظة، زادت ابتسامة ياسر ليتابع السماعات الملقاة على الأرض وذلك البنطال المتكور في ركنا ما مجانبا لأوراق فارغة لإحدى أنواع البسكويت والشيكولاته وكأن حربا أراقت دماء الحلوى هنا بالأمس!

عاد ياسر بنظرة نحو ركنا ما لتختفي ابتسامته وتلمع عيناه..

عاصفة ما سرت ببرقها ورعدها لتملأ ياسر الذي ابتلع ريقه وعقد حاجباه فورا ليندفع ساحبا ذلك الخيط للستارة الثقيلة كاشفا عن نهارا دخل للتو إلى غرفة لا تصلح للنيام كل ذلك الوقت..

شاهد ياسر النائم يفتح عيناه بثقل ومحاولة إدراك ليمر بجوار سريره بخفوت بكلمة منفردة

- فوق

سار ياسر بخطوات حاسمة نحو باب الغرفة ويده تتحسس الصورة التي بجيبه لتخرجها بعبثية وتتركها للهواء محلقة إلى الأسفل مجتمعة بكل الفوضى بتلك

الغرفة، وكأن ياسر قرر أن ينزعها هنا فقط ليخرج من تلك الغرفة فاقدا نظرته إليها كليا، صورة ياسر ومالك الصغير عندما كان للمراهق قدرة.. عندما كان للمراهق إرادة وسيرا.. خرج ياسر ومشهدا وصورة واحدة لا تفقد مركزها أبدا ذلك الكرسي المتحرك بغرفة الصغير لا ينسى ولا يرحل بسلام.

***

وقفت تتأمل من تلك الشرفة جو الشتاء الذي قارب على الرحيل، تلك القطرات تلملم ذاتها وتودع الشوارع في بدايات شهر مارس، بقي القليل وتختفي تلك الملابس الثقيلة فوق أرفف الخزانة والحقائب الجانبية لتستبدل بالملابس الزهرية الخفيفة وموضة صيف جامحة.

ارتشفت من قهوتها الساخنة بعض الكافيين، أخذت تتنفس بعض الهواء بين هدوء الثامنة صباحا، تطايرت خصلات شعرها برحلة عبر النسمات، لأول مرة منذ ذلك الحادث تشعر بقدر من السلام، كل ما تمر به لن يفهمه أحد.. لن يستوعب تلك الانخراطات أحد، قدراتنا الإنسانية البسيطة أقل من تقدير ما يمر به غيرنا، تلك الكوارث التي تعتصر احدنا أمرا مبهما يضع في أسفل بئرا لمن يحمله دون أن يدري الآخرون مدى عمقه ومدى ظلمته

جلست لتضع ذلك اللاب توب على ساقيها، تجولت بذلك الجروب الذي أخبرتها به (آيه) أصبحت تبحث عن ذلك الشاب الذي قام باستضافتهم، هي لا تدري حتى عن اسمه كل ما تتذكره هو وجهه، تتبعت المنشورات واحدا تلو الآخر، العجيب أنها لم تصادفه في أي منها، تجولت في عدد الأعضاء المهول ربما تكون محظوظة كثيرا فيكون واضعا إحدى صوره الشخصية على حسابه فتسهل عملية البحث، بالفعل ما توقعته كان صحيحا كان يضع صورته كغلاف شخصي ولكن ما اكتشفته هو انه الأدمن وليس أحد أعضاء الجروب..

ظلت تتجول بداخل معلوماته الشخصية، تشاهد كم الغرور الذي ينبع من عينيه في جميع صوره، علمت انه سيكمل الثلاثين من عمره ف ال٢٥ من شهر يونيو القادم بالرغم من مظهره الذي يعطيه اصغر من ذلك بكثير، دراسته الجامعية

غير معلومة باستثناء قناعاته وآراءه في مختلف المجالات التي ظهرت على صفحته.
تبادر إلى ذهنها من ذلك الشاب الذي ناقشته يوما؟ وهل هو من رأته بالفعل أم أن عقلها اصبح ديزنيا إلى مرحلة تصنع بها الخرافات التي هاجمتها يوما!
أغلقت اللاب توب ونهضت لتغلق الباب الزجاجي للشرفة، استلقت على إحدى الأريكات في غرفة الجلوس بهدوء لتنغلق تلك العينان الفيروزيتان بين عقارب الساعة التي سكنت.

***

الساعة الحادية عشر صباحا ولكن..
ذلك الضوء الذي ينبع من النوافذ ليس طبيعيا، ذلك الضوء يمتزج بين الأصفر والأزرق الخافت! تلك الجدران يختلف لونها بل إنها مزخرفة بنقوشات سوداء ضخمة! سارة تقف في الطابق العلوي الذي لا تعلم كيف وصلت إليه حتى وتستدير يميناً ويسارا متعجبة مما ترى، كل خطوة تخطوها يسمع صدى صوتها وكأنها تمشي بكعوب حديدية على سطح زجاجي، الآلاف الأسئلة تقسم رأسها، ما يحدث درب من الجنون فإن كان ذلك حلما مشكلة.. ولكن إن كان ما يحدث حقيقيا فهو عدد لا نهائي من المشكلات!
أخذت تسير بخطوات حذرة بين قدماها الحافيتين، ترجلت من الخطوات الأولى للدرج متجهة للأسفل بينما تسمع ذلك الصوت الجماعي لأشخاص يرددون شيئا ما، ذلك الصوت يعلو ويعلو بالرغم من عدم استطاعتها أن تعي كلمة واحدة مما تقال! استدارت يميناً ويسارا لترى كم الاختلافات العابثة تلك، جدران غرفة الجلوس والأرض والسقيفة طليت تماما بالأسود بينما قطع الأثاث لا زالت كما هي! ولكن!
مهلا؟
هناك شخصا ما ينام على تلك الأريكة! يا الهي!
كل ذلك الجنون مع وجود شخصا يرقد على مقربة سنتيمترات أمرا قد يأتي إليك بالجحيم ذاته إلى مقعدك، اقتربت بخطوات متراجعة، ذلك الخوف يعتريها للمرة

الثانية منذ ذلك الحادث، لم تعتاد الخوف أبدا لم يكن في قواميسها وكتبها سوى بعض الندبات التي تترجم لاحقا في قراراتنا وأحلامنا، كان الخوف يوما هو مجرد مشاعر حسب علم النفس تعود لفترات قديمة عانى فيها الشخص، وأصبح الخوف اليوم ماديا أكثر من اللازم ليقودها نحو الجنون!

توقفت أمام الأريكة تماما لترى صدمتها تسير على قدما وساق، لم يكن من ينام على تلك الأريكة سوى جسدها! إنها هي ساره لحما ودما تنام بسلام في وضعية الجنين بين كتابها الساقط بجانبها وكوب قهوتها الذي لم تشرب سوى نصفه، رفعت رأسها للسقيفة بين تلك الأصوات التي لا زالت تعلو لتجد ظلا اسود قاتم يجلس على السقف فوق جسدها تماما! رجلا ما يشع عتمه يجلس على ذلك السقف الأسود بين ضوء النهار المزرق وجسدها النائم فوق الأريكة والذي تنظر إليه في ذات الوقت! السقيفة تمطر.. تمطر دماء يغلف قوتها وهطولها صوت عواء شديد اسكت كل الأصوات التي حولها، وكأن الكون صمت بشدة ليتوالى ضوء الشمس حضورها قاتما لليل اندثرت فيه الرؤية تماما لتصبح الأم المفتورة ضائعة بصدمة وذهول وفزع في منزل معتم لا ترى فيه ولكنها تسمع وتشعر بقطرات الأمطار الدموية المتساقة فوقها وتلك الحشرجة والعواء اللعين..

رعبا مزقها وكأنه الموت.. رجفة سكنتها لتنتفض بلا صراخ..

شيئا ما خاطئ يحدث! شيئا ما لا تستطيع بحواسها البشرية أن تدركه.. شيء ما يحدث خللا لتلك الدرجة التي أسقطتها فاقدة الوعي.

***

كنت أدرك أنني ملحدة.. كنت اعلم أني على شفا خطوتان لأنغمس بقدماي في ذلك، سمعت يوما أن السماء أسقطت شهبا وحجارة وصبت لعنتها على الكافرين، أفكان ذلك عقابا؟

أكان عقابي أن انتزع من جذوري أمسا وينقطع فروعي في بلد غريب ضمني كغريبة ولفظني كحشرة كسرت أياديها و أقلامها..

لم عوقبت بالأمس و أنا مؤمنة؟ لم أعاقب اليوم و أنا اسأل!

سألوني (أين إلهي) وطعن محمد أمامي و أنا لا أجد رحمة تسقط إلي، ظننت أن رحلة محمد ستكون فردية ولكني هززت طفلتي ألف مرة لأجدها حلقت بيداء وتركت يدي فارغة كما لم أوتي كما لم أعشق كما لم أنجب..

يدي فرغت ولكن قلبي ممتلئ، أأعاقب؟

أتصبغت كفرا إلى ذلك الحد ليعاقبني الإله؟

إله!

إلهي أم إلههم؟ أأنا مؤمنة!

تحدثت تلقائيا عن السماء والإله للتو!

• • •

الفصل الثاني
(زائر حضر هنا)

اقترب بعينين يشوبها الصدمة وهو يتبين الجالس هناك..
ذلك الكرسي ذاته والموضع ذاته بل وهي ذاتها، الحسناء العنيدة.. الفتاة التي احتدت أمامه وسخرت بقناعاته لتهرب بلا تبريرات منطقية، توقف ياسر على مقربة وهو يشاهد ظهرها اليافع وشعرها البني يتطاير إلى منتصف ظهرها الناعم جالسة بهدوء على الكرسي محلقة إلى حيث كان يقف ياسر تلك الليلة وهو يناقشها، ابتلع ياسر ريقه وهو ينظر لظهرها بصدمة وعدم تصديق مرارا وتكرارا

- شوفت..

ازدادت صدمة ياسر من الصوت الذي خرج إليه فجأة وتلك الفتاة التي ظهرت بحديقته للتو بكل برود وهدوء

- إنتي دخلتي هنا ازاي!

رفعت ذراعها جانبا ولازال ينظر إلى ظهرها ليشاهدها تفتح كفها ببطء وتسقط شيئا يشبه الرمال.. ولكنها رمال حمراء ليست بالناعمة..

لمعت لمحة الرعب بعيني ياسر الذي أصابته انقباضة إدراك أن شيئا لا يسر ولا ينفع يحدث الآن

- انتي بتعملي ايه!

- بحر..

أسقطت ذراعها بجوارها ولازالت عينا ياسر تعج بالفزع ليندفع نحوها ولكن قدماه توقفت للمرة الثانية وهو يتابع خصلاتها التي تطول وتتفرع بشكل مستيري لا تصدقه كتب الفانتازيا حتى زحفت إلى الأرض بشكل ساحر

ابتلع ياسر ريقه بارتجاف ليرتفع بعينيه نحو ظهرها وقلبه يخفق بجنون

- إنتي..ايه

ما إن قالها ياسر حتى رفعت يدها بحركة سريعة لتصدر صفقة سريعة مفجعة.
استيقظ بشهقة فزع جالسا بسريره وهو يلتقط أنفاسه من كابوسه المرعب ويتأمل الحياة حوله بكامل طبيعتها، شيئا من النكران مما يحدث طرح بقدرته على الفهم أرضا تلك اللحظة وهو يسترجع تفاصيل الكابوس بمحاولة الاستيعاب..
رائحة الخطأ تسري والألاعيب ما تحضر، ولا يعلم ياسر أحضرت إليه ذلك اليوم امرأة جميلة حمقاء أم أن شيطان ما يتلاعب بقواه جراء ما يعتليه من منصب يزيح الستار عن عالمهم..
التفت بثقل و أنفاس متقطعة مسموعة وهو يترجل من السرير ليعقد حاجباه فزعا..
رفع كفيه إلى ناظريه وهو يشاهد بالفعل..
رمال حمراء منتشرة فوق سريره تتساقط إلى الأرض حتى امتلأت الغرفة بالكامل بها..
ولكن أتعلم ما الجزء المفزع بشدة.. تلك الأقدام الصغيرة التي نقشت آثارها فوقها أمام باب الغرفة.

***

الساعة الثامنة مساء:
نغمات الهاتف تعلو، دقات ذلك الباب كالبركان الذي يفجر فوهة جبله، جفونها تتحرك.. تحاول مقاومة ذلك الثقل الذي يخدر جسدها، عقلها واعي يصدر إليها إشارات «استيقظي.. استيقظي.. استيقظي».. وجسدها يقع تحت تأثير التخدير الوهمي، حركة عيناها تدل على مقاومة شديدة، يداها تتحرك شيئا فشيئا.. فتحت عيناها أخيرا لتلمح بثواني ظلا اسود يعبر بسرعة شديدة، تمالكت أنفاسها وجلست تستجمع ما حدث.. ذلك اللون الأسود أين هو! الرجل ف السقيفة! إنها فارغة! ذلك الضوء الغريب إنني ليلا! يا الهي!
أيقظتها نغمات الجوال الذي يهتز للمرة المئة وعلى الوجه الآخر دقات الباب التي لم تسمعها من قبل! نهضت بخطوات ثقيله متجهة نحو الباب، قامت بفتحة لتجد

أباها يقف وعلامات الفزع على وجهه.. ذلك الاحمرار بعينيه الذي يعطيك الانطباع عن سهر ذلك الرجل الذي تعدى أيام يقفز إليك الآن و انت تحدق إليه هكذا..

صرخ بها أباها بنبرة رعب وكأن العالم كله تجمع في جوفه

- كنتي فين!

نظرت إليه ساره بدون أي علم بما يحدث

نظرات من الصدمة والارتباك وعدم الفهم أفقدتها قدرتها على الحديث والتساؤل..

أمسك بكتفيها لتهتز بين يديه كدمية غائبة عن الوعي والو اقع ليصرخ بها بألم

- قوليلي يا بنتي الله يرضيكي كنتي فين

- بابا اهدى.. أنا.. أنا كنت نايمة

أبوها بصدمة

- نايمة؟

يا بنتي أنا بقالي اربع تيام بكلمك قلبت الدنيا عليكي! تليفونك مبترديش عليه، الانترنت مبتدخليش كلمت اصحابك كنت فاكرانك مش عايزة تكلميني أو مبترديش على تليفونك وخلاص، لقيتهم ميعرفوش حاجة عنك صاحبتك قالتلي هتجيلك.. بعد كدة كلمتني وقالتلي إنها جت ودقت الجرس كتير ومحدش رد! قالت النور كله مقفول كأن محدش جوا من الأساس! أنا اتجننت جيت دلوقتي وكنت شوية وهكسر الباب أو هبلغ البوليس! كل دة وبتقولي نايمة ازاي يابنتي!

صعقت ساره مما يقوله والدها، تراجعت للخلف ليدخل والدها بينما تنظر إليه بصدمتها وفزعها، ركضت نحو هاتفها الجوال لتقرأ تلك الرسائل من أصدقائها الذين يتساءلون عن غيابها وخوفهم من اختفائها المفاجئ

قرأت التاريخ المدون على هاتفها لتجده (٣/١٣) صدمت لقراتها التاريخ! كيف تنام لتجد نفسك في تاريخ آخر! أين ذهبت طيلة ٤ أيام! أمن المعقول أن تكون قد نامت كل ذلك! كيف لم تسمع دقات صديقتها وهاتفها المحمول! كيف لم تشعر بانقطاع الكهرباء! كيف وكيف وكيف! أسئلة لم تجدها ساره في كتبها ولا منطقيتها!

«أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده وهمزات الشياطين وان

يحضرون»
« أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده وهمزات الشياطين وان

يحضرون»
« أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده وهمزات الشياطين وان

يحضرون»
تلك الكلمات كانت تتردد كصدى صوت بأذان سارة وهي نائمة بين جفونها التي تتحرك سريعا.. عيناها ترتفع بثقل و أنفاسها تتضارب في محيط عميق من الرحيل، نهضت بأعجوبة بين شهقة تشعرك إنها عادت من الموت ثم جلست تستجمع أنفاسها على سريرها.. التفتت يميناً ويسارا برعب، خمدت موجات أنفاسها قليلا لتنزع الغطاء ثم ترجلت من سريرها متجهه إلى الغرفة المقابلة، وجدت أباها غارق بالنوم على ذلك الكرسي ولم يمس السرير الموجود قط بينما تركد تلك العوينات على عينيه ولم ينزعها وذلك الكتاب بين يديه يكمن بثبات رحيم.. يبدو انه نام دون أن يدري، رفعت تلك العوينات عن رأسه لتضعها جانبا وحملت غطاء خفيف لتضعه فوقه وخفضت الضوء قليلا ثم ابتسمت بهدوء لتنسحب عن عالمه الهادئ

ترجلت للطابق السفلي لتصنع لها كوبا من القهوة، دقات الساعة تشير إلى الثانية وال٥٠ دقيقه فجرا، الهدوء لا يرحل عن تلك المدينة ليلا أو نهارا بل يبقي هالته داخلها بتتابع فقط، حملت كوبها وجلست على كرسي ذلك المطبخ الأمريكي، استرجعت تلك الليلة من جديد.. اختفاءها الذي جعلها تصمت ولم تنطق بكلمة لأباها.. موقف أباها الذي تقرر برجوعها منزله وعدم سماحه لها ببقائها وحيدة من جديد، كل تلك الأشياء أصبحت تمر كصور ثقيله تلتابها مع كل منها نوبة صداع حادة! أمسكت رأسها وكأنها تخبره أن يكف عن ذلك.. أن يتوقف عن تلك الطاقة التي يفرط بها.. تلك الطاقة التي يتحملها ولا قدر متسع لها، توقف يا رأسي! فأنت لازلت بشريا والبشر لا قدرة لهم على تخطي حدودهم
سمعت صفيرا.. صفيرا ما ياتي من ذلك الركن مجددا! العجيب أن ذلك الركن

الذي يختفي في ساحة متوسطة تصل إليه خلال عبورك ذلك الممر الجانبي للدرج يظل مظلما، تذكر هي إنها أضاءته مرات عديدة وبالرغم من ذلك يستمر بالانطفاء! التفتت لتسمع ذلك الصفير الذي صمت فور التفاتها فأهملت الأمر لتعود مرة أخرى إلى كوبها وهمومها ولكنها عادت لتسمع ذلك الصفير النغمي الغنائي الذي يسير على ألحان وتصحبه دندنة غريبة! تركت ذلك الكوب و اتجهت نحو الصوت.. منذ لحظاتها الأولى ميزت ذلك الظل الأسود الذي يجلس على كرسي تتراص خلفه أبواب زجاجية مغلقة، تلك الأبواب تستطيع الخروج منها للحديقة أيضا، دب بعض الخوف في قلبها ولكنها وضعت يدها على مكبس الضوء وإضاءته بسرعه لتكبر مفاجأتها مرة أخرى

وجدت ذلك الجالس على الكرسي ينظر إليها مباشرة مبتسما ابتسامة صفراء ويحمل كتابا بين يديه، لم يكن ذلك الجالس للمرة الثانية سوى ذلك الشاب (ياسر) الذي رأته في تلك المناقشة! ولكن مهلا.. ذلك الكتاب تعرفه سارة جيدا إنه كتابها الذي لم تكمله أبدا.. كتابها الذي تساءلت فيه أسئلة منطقية فغدى كل من يراه يستغفر ويوبخها على ما احتواه! رآه الجميع إلحادا.. تشكيكا في دين يؤمنون فيه بكل شيء حتى ما لم يروه (في نظر سارة)

نظرت إليه بصدمة فبادرها بابتسامة ساخرة مفزعة

- ايه.. بخوف مش كدة؟ أوعي تقوليلي انك هتعملي زيهم؟

انعقدت حاجباها بصدمة فزع ونبرة تردد بين نبرته التي تزداد خبثا

- زي.. زيهم مين!

- اللي وصفتيهم ف كتابك.. الموهومين.. اللي لو شافوني و اتخضوا زيك كانوا استعاذوا بيه

- انت دخلت هنا ازاي وعايز ايه!

- انا بدخل أي بيت.. وبعيش ف أي بيت.. زيك.. وزيكم.. بقرا كتبكم.. وبسمع ضحككم.. بشوف موتكم.. وبتسلى بحياتكم

- انت مجنون! على فكرة أنا عارفة كل حاجة عنك وعارفة بيتك و أبويا نايم فوق

يعني بصرخة واحدة هفضحك وهفضح أسبابك المعتوهة اللي مخلياك تعمل كل اللي بتعمله

ابتسم بين عيناه اللامعتان لتنطوي ابتسامة صفراء على وجهه

- ابوكي كمان منهم مش كدة؟

عقدت حاجباها بحده وعدم فهم

- أنا مش فاهماك!

- من الموهومين.. اللي لو شافوني هيستعيذوا بيه.. هيذكروه ويلعنوني، بس انتي غيرهم

ابتسم بخبث

- محمد كمان كان منهم.. ومي، ومع ذلك منجاممش.. و انتي مش زيهم بس عيشتي صفعة..

ألف صفعة كسرت امرأة للتو، لا يسمح لأي كائن أن يذكر الألم هكذا.. لا يجرأ أبا كان أن يمس تلك المنطقة المحرمة لسارة! غريب أطل بمنزلها ليذكر الأحباء بالغياب عنفا، غريبا ينتهك ذكرى ويفجر قلبا بات معتصرا يهوي على شعرته الأخيرة بين أول ضربة خفيفة لأوعية الفراق..

لا يسمح.. لا يجرأ أن يمس تلك المنطقة إنسا ولا جنا محتمل..

تلك بقاياي.. تلك بقاياها..

نظرت إليه ساره بين دموعها الساقطة مختلطه بين الحزن وبين الصدمة.. قلب أم وحبيبة مكلوم انفجر عبثيا بين كلمات معتوه أخرق اقتحم منزلها ويجلس أمامها الآن بتعنت مخيف..

- انت.. عايز.. ايه مني..

- أنا مش موجود أصلا.. مش كدة؟

اقتربت سارة بخطوات متثاقلة وعينان تذرف دموعها تجمدا لتقف على بعد مسافة قليلة منه وهي تحدق فيه

- انت عايز ايه؟ بتدور ور ايا ليه؟ بتدخل بيتي ازاي ومين اداك اذن تدخل حياتي

- انا مباخدش إذن

نهض ليقف وهو ينظر إليها بعينين قوية وحاده ليكمل

- آخر واحد حكمني مات.. و أنا زي الموت..

اقترب منها ليقف على بعد ضئيل منها فازدادت أنفاسها سرعة بتلك القشعريرة المريبة التي اجتاحتها

- أنا زي الموت بلف الأرض السابعة وما عليها من بيوت وحياة.. وبشر

- مش فاهمة.. مش فاهماك!

- اسألي اللي حكم..هو الوحيد اللي ملك

أكمل بخبث وهو يبتسم باتساع:

- سليمان ابن داود

اتسعت عيناها بفزع لتنهمر دمعة مستفيضة فوق وجنتها لتشاهد عينا الزائر التي حلقت للجحيم فجأة بكل ذلك البياض الخالص المريب بين ضحكة شقت صدر الكاتبة الملحدة بما تعرف وبما يحدث الآن ذاته، صرخة دوت من تلك الحنجرة التي صمتت أكثر من المحتمل لينصرف زائر لم تدرك كيف أتى ولم تلاحظ أين انصرف بتلك السرعة بين سقوطها في أحضان والدها المفجوع صدمة وألما على ابنته..

رفعت عيناها عن صدر والدها وهي تبحث بفزع ورعب في أرجاء المكان لتنظر إلى وجه والدها الذي ينظر إليها بين دموعه وهي تطرح سؤالا آخر

- راح فين..

مسح الأب على شعرها بخوف بنبرة منكسرة

- هو مين بس يا بنتي.. مالك يا حبيبتي فيكي ايه!

أسقطت ساره عيناها لتغلقها بهدوء وتصمت فوق صدر والدها بسكون

أزائرا من طين حضر أم زائرا من سموم عبث هنا منذ القليل إذا؟!

***

- سليم.. يا سليم

توقف ياسر حاملا مشروبه الغازي المفضل أمام غرفته وهو يجذب مقبض بابها

ليغلقه بينما يبحث بحاجبين منعقدان عن سليم (الخادم) ليوبخه على كل تلك الفوضى التي يرتفع صوتها..

استدار ليرتشف من مشروبه وهو يسير بخطوات ثابته نحو غرفة (مالك) ليفتح الباب بحذر ولكن قلبه استقر عندما شاهد مالك يغط بنومه العميق ببراءة لا تمت لتلك الأصوات الضاجة بخيط، طرف بعينه و ابتسم بخفة ليغلق الباب بهدوء

- مبيحسش ولا بيسمع يا ما شاء الله! نايم ف البطيخة ذات نفسها مش ميتها بس!

تعالت أصوات الضجيج والارتطامات مرة أخرى من الطابق السفلي ليعقد حاجباه بضيق وغضب تلك المرة ويعتصر مشروبه بين يديه وهو ينطلق بحده مترجلا الدرج نحو الطابق السفلي وهو على شفا توبيخ سليم الغبي الذي استيقظ في الثالثة صباحا ليصم أذنيه ويشق نومه الهادئ بعبث أحمق، توقف ياسر لتذوب علامات الحدة عن وجهه بمنتصف الدرج وتعتصر أنفاسه الحيرة وهو يتجول بعينيه بصمت بين أرجاء الطابق مشاهدا مشهده الخالي من سليم وغيره، كل ما في الأمر هو ذلك الباب الزجاجي المفتوح الذي تحضر منه رياح خفيفة باردة تملأ الهواء لا أكثر..

طرف بعينه ليكمل سقوطه ثم انطلق ليضع مشروبه على الطاولة ليغلق الباب الزجاجي ويقف خلفه لبرهه متجولا بعينيه نحو المنظر الهادئ بالخارج ومياه المسبح الراكدة..

زفر بحيرة ليستدير نحو مشروبه ولكنه توقف بعدم استيعاب لاختفائه!

دب شيئا ما إلى أنفاس ياسر الجريء الذي لا يخشى الكثير، إحساس المرء بوجود خطأ ما يكاد يراقص قلبه تلك اللحظة فعض شفتاه ولازالت عيناه مقيدة إلى مكان مشروبه المختفي بحيرة وعدم فهم، انزاحت عيناه نحو تلك الخزانة الصغيرة بجوار الجدار البعيد لتصيبه الدهشة ذاتها، ذلك المشروب يركد بسلام بجوار الصورة التي تجمعه هو ومالك! أي هراء هذا وأي سيناريو يدور!

ياسر الذي سار بصدمته نحو المشروب المتحرك ظلت أحجيات ما يدور تلك اللحظة تصفعه هنا وهناك، مالذي يحدث؟ كيف أتى إلى هنا!

توقف ياسر ينظر للمشروب المجاور لصورة عائلية قديمة تحمل من الفقدان لأمس غادر الكثير، امتدت يده بحذر لتحيط بالمشروب ويرفعه بين حاجبان منعقدان وهو ينظر إليه بريبة، زفر بحيرة أخرى ليبتلع ريقه بين عدم استيعابه ثم ارتفع به نحو فمه لاستدراج بعض السكريات نحو عقلا مفرط التفكير يصاب بالخمول

ارتشف ياسر بهدوء ليدوي صوت الارتطام السريع المرتفع فقفز قلب ياسر الذي استدار بعينين متوسعتان ليشاهد الباب الزجاجي الذي فتح و انفرج قادما بالهواء البارد من جديد

كل ما فات يهوي إلى الهاوية ولكن ما يحدث الآن قطعا أمرا لا يمت للو اقع أو الطبيعية بشيء، ما يحدث أمرا مخيف مقصود وياسر بدون إرادة أسير الخوف المقصود ذاك.

انطلق مسرعا نحو الباب الزجاجي ليتفقده ويدرك أنه مفتوح بالفعل بينما شعر بتلك الغصة في حلقة، لوهلة توسعت عيناه وهو يشعر بالاختناق.. كرة حوصرت بحنجرته وبلعومه تقضي على مجرى تنفسه وهو يصدر تنهيدات الموت الأخيرة ويعتصر حلقه وعنقه بيديه راكعا بموت لا يشعر به أحد بينما يسقط مشروبه إلى الأرض ناثرا ذلك الشيء المقزز خارج فوهته، وقعت عينا ياسر بين ارتجافتها وموته وثقل ما يحدث كله على الحبل الصغير المهترئ المعقود منتصفه ببضع شعيرات سوداء، ارتجافه الموت تعتصره وهو ينظر إلى ذلك الشيء محاولا إخراج ما يمتلئ به بلعومه بين شهقات الاستغاثة بلا فائدة..

عيناه تنغلق والعرق ينساب عن جبينه بين اختناقه وعدم إجداء كل الطرق لإنقاذه، ياسر يموت الآن ولا يدرك كيف ولم..

- ياسر بيه.. ياسر بيه، مالك يا ياسر بيه

كان ذلك صوت سليم الذي اندفع بفزع نحو ياسر ولا يفهم ما يحدث محاولا إسعافه وهو يشاهد عينا ياسر التي تشارف على الانغلاق على صورته لينصرف جالبا كوب ماء منطلقا نحو الباب بمحاولة إنقاذ سيده، ولكن الباب الذي انغلق فجأة أمام عبور سليم افقده قدرا من الماء الذي تبعثر لينتزع سليم الباب بكل قوة

ويعبر بإرادة نحو ياسر، كانت تلك المياه البعث الأخير للحياة الذي لفظ بعده ياسر تلك القطعة المكورة من الشعر، قطعة شعر امتلأت بلعومه جعلت ياسر وسليم ينظران بفزع نحو بعضهم البعض وكلا منهم يبحث عن كلمة تجنيهم حوارا وحقيقة قد تفزع بقية حياتهم سلفا، ابتلع ياسر ريقه بفزع ليستدير نحو مشروبه الساقط ولكن الفراغ يغطي ذلك المكان تماما..

تسائل ياسر بداخله..(أين ذهب مشروب عبث به شيطان!)

- ياسر بيه..

نظر إليه ياسر وهو يبتلع ريقه ولازالت نبضاته تتصاعد وعيناه تمتلئ بدهشة ما حدث منذ قليل ليكمل سليم

- البيت ده بقى مش كويس، أنا مش عايز احكي..

أسقط ياسر عيناه بصمت نحو مكان المشروب المنزلق الذي اختفى بحيرة وصمت ليرفع عيناه من جديد نحو سليم بخفوت

- روح نام انت دلوقتي يا سليم

نهض سليم بصمت وهو يخفي ارتعاده لينصرف بهدوء بينما بقي ياسر بمكانه هائما في أفكاره شاردا إلى ذلك المكان بذاته..

لتمر بذكراه تلك الرؤية التي شاهدها منذ أيام.. تلك الفتاة الشيطانة!

أذلك يتعلق بها؟

***

تقدمت من تلك البوابة مرتدية معطفها الأسود الثقيل مشاهدة تلك القطرات المنذرة بسقوط الأمطار بعد القليل تنزلق فوق رأسها تلو الأخرى تكاد تسمع صوت ارتطامها كالحطام، طلبت من الحارس أن يخبر صاحب المنزل أن هناك زائر ما، أخبرته أن الأمر ضروريا كثيرا فانصرف الحارس موافقا، توقفت أمام تلك البوابة تتطلع لذلك القصر الكبير، كم هو محظوظ ذلك الشاب.. شابا في مقتبل العمر وسيما إلى حد كبير يقطن قصرا متسعا كهذا! بعض الناس حباهم الله الكثير من النعم ولكنهم يفقدون القدرة على استيعابها لكثرتها.. فيصابون بمرض عدم

الرضا! عدم الرضا بأي شيء وكل شيء، عدم الرضا بكل المعطيات حتى وان كانت كثيرة..عدم الرضا لأن الكثير لم يعد ممتع ولا يوجد به جديد بل ظل أمرا معتاد كأن تستيقظ صباحا فتجد ذلك السرير لازال بموضعه وتلك الرو اية التي تحب قراءتها لم تتحرك، يظل ذلك السرير موطن راحتك ولكنه بات عاديا لأنك لم تستيقظ يوما بدونه! وظلت تلك الرو اية عادية لأنك تقرأها مئات المرات دون أن تتغير أو تضيف قطعة جديدة لذاتها! إن أردت أن تختبر قوة اتصالك بشيء ما وأهمية آخر فانتزعه و ابتعد.. فراق ما اعتدته سيريك مدى فاعليته بعالمك.. مدى مكانته وحقيقة ما يحمله عن كاهلك بالفعل.

فتح الحارس تلك البو ابة مبتسما ثم أشار لها بالدخول فعبرت سارة تلك الحديقة الكبيرة وتأملت حوض السباحة الكبير بالجانب من تلك الحديقة، بدت الحديقة أكثر اتساعا من قبل! ربما عدم تركيزها ذلك اليوم لم يعطها الوقت الكافي لتدرس الشكل المحيط بالمكان رغم روعته..

دخلت إلى الفيلا لتجلس في غرفة الجلوس على إحدى الأريكات، كانت الفيلا داخليا تعج بالكثير من التحف القيمة بينما اتساعها يعطيك إحساسا ما بأنك تجلس بإحدى المتاحف الأوروبية، تلمع تلك العمدان الفضية على جدرانها البيضاء وتخطفك تلك اللوحات الطويلة التي لا تعبر عن شكلا واضحا بذلك اللون البنفسجي الداكن!

سمعت صوت خطوات ما تترجل سقوطا فوق ذلك الدرج الدائري، كانت خطوات مرتبة.. بطيئة نوعا ما ترن كأجراس الكوارث التي كانت تدق في أوروبا بالماضي!

توقف ذلك الصوت لتراه قادما من مسافته و اقتضب حاجبا القادم عندما رآها ولكنه تقدم ليجلس أمامها مباشرة ثم وضع ساقا فوق الأخرى بغرور ليختصر كل بدايات الحديث في كلمته المتكبرة

- خير؟

- أنا اللي كلمتك النهاردة ع الفيس

نظر إليها ببعض السخرية ليكمل

- طب استغفر الله العظيم، اممم خير؟

- إنت عارف أنا هنا ليه وبا ربت نبطل إستعباط

- إستعباط ايه يا ستي أنا عايز افهم إنتي عايزة مني ايه! ولحد دلوقتي أنا محترم نفسي عشان راجل و إنتي بنت

اندفعت سارة بغضب

- أومال مين اللي بيجي كل يوم عندي.. مين اللي كرهني في حياتي اكتر ما أنا كارهاها.. مين اللي كل يوم بيدخلني في مصيبة.. مين اللي بيدخل بيتي اكتر من مرة ويقول كلام مفهموش.. أنا مش فاهمة انت هدفك ايه! عايز تجنني؟!

- لا و انتي بسم الله ما شاء الله عاقله اوي!

- إنت عايز ايه قولي وخليني اخلص

- يا ستي أنا لا أعرفك ولا عارف أصلا في ايه.. وكلامك اني بجيلك والحوار العجيب دة واضح إنها أوهام ف دماغك انتي!

- انت كداب

- لا اله إلا الله.. طب أنا كداب انتي عايزة ايه دلوقتي؟

انفجرت سارة بالبكاء فنظر إليها ببعض الضيق من قسوته، ربما تكون فتاة مجنونة ولكنها تبقى كبقية الفتيات! جنونهن أمر يمكن جمحه ولكن دموعهن سلاحا رائع لإسقاط هيبة أعتى الرجال! تبقى الأنثى هي الأقوى تمتلك أسلحة يهابها الرجال أنفسهم، نقاط الضعف التي تدركها الأنثى جيدا بالرجل أغلبها تتمحور حولها وخاصة الأذكياء منهن!

صمت قليلا ثم ابتسم نصف ابتسامة

- خلاص يا ستي متعيطيش، بالرغم إني أصلا مش فاهم حاجة ولا عارف انتي داخلة عاملة زي الشيته كدة ليه بس معلش، الأول نشرب حاجة وبعدين تفهميني اعتبريني عبيط وبستهبل بس براحة

أدار رأسه نحو العامل

- سليم.. هات ٢ عصير برتقان الله يخليك

ثم أكمل برقة

- إهدي الأول ممكن؟

أومأت برأسها مو افقة

وضع الكأسين أمامهم فالتفت ياسر إليها بجدية

- ها.. ممكن تشرحيلي واحدة واحدة؟

نظرت إليه بحده فأكمل ياسر وهو يرفع حاجبيه ببلاهة من نظرتها

- متبصليش كدة بس.. احكي وبعدين نتكلم

- اوك

بدأت سارة بسرد كل ما مرت به، كل تلك الضوضاء التي سكنت روحها منذ ظهوره.. بين ملامحه الباردة التي لا تعطي أي انطباعات عن شيء، كان يجلس وعيناه باتجاهها دون أن يظهر عليه أي تغيير! يكتفي بسماع كلماتها التي تؤلمها دون أن يستجيب لأي اثر حتى أنهت حديثها بخفوت

- دة اللي حصل من وقت ما شوفتك هنا لحد انهاردة، أنا لا عارفه أنام ولا أعيش ولا ارجع اشتغل..

تناول ياسر إحدى سجائره من تلك العلبة أمامه وأعاد العلبة مرة أخرى ببرود، أشعلها في صمت ثم نظر إليها دون أن يتكلم وهو يرفع حاجبه بثبات وتفكير عميق مما اغضب سارة

-أنا متعبتش نفسي وجيت وقولت كل اللي قولته عشان تقعد هادي كدة وتخنقني بدخان سجايرك! أقولك أنا ماشية وسيبالك البلد كلها عشان ترتاح خالص

أمسكت بحقيبتها باندفاع بينما تقف وتهم بالخروج ولكنها فوجئت بيده التي تمسكها من ذراعها بشدة وتمنعها، استدارت تحاول أن تنزع يديه القويتين دون جدوى فأكملت بغضب شديد

- شيل ايدك خليني امشي انت واضح انك فعلا مجنون و أنا أجن منك إني جيتلك بنفسي

نزع ياسر يديه وهو يرفع حاجبه

- شيلناها، بس اقعدي وبلاش عصبيه انتي وجهتيلي اتهام و أنا من حقي أدافع صح؟
- بقالك ربع ساعه متنح ف وشي و أنا بتكلم منطقتش بحرف دلوقتي عايز تتكلم!
- ف البلاد المتحضرة يا باشا الناس بتفكر قبل ما تتكلم و أنا راجل متحضر بحب
افكر كتير وبعدين أتكلم ثانيا انتي جيتيلي مش بس عشان معتقدة إني السبب.. أنا
متاكد إن جزء منك عارف تماما إني ماليش أي علاقة بكل دة بس عارف كمان إني
ممكن اقدر أساعدك
- أنا عمري ما اطلب مساعدة من أمثالك خصوصا اللي لا عندهم حرمة بيت ولا
حرمة وجع
- امم، يا شيخة شوفي سبحان الله مهما كانت البنت المصرية دي قمر ويبان عليها
كيوته وجربنة لدرجة إنها تدخل فيلا لواحد غريب ومتخافش.. بس تفضل نكدية!
قوليلي الصفة دي بتتوارثوها ازاي!؟
ابتسمت رغما عنها فضحك بخفة ليكمل بهدوء
- ممكن تقعدي بس يا ربت تسيبني أتكلم بدون ما تعترضي، مش كل حاجة ف
الدنيا تتاخد بتسرع، متبقيش عاملة زي المدفع كدة
ابتسم بخفة ليكمل: يا مصرية
نظرت إليه بصمت فأشار لها برأسه أن تجلس فجلست بهدوء ليجلس هو الآخر
فاكملت بنبرة شك
- مش ملاحظ إن كل دة بدأ بعد الموقف اللي حصل بيني وبينك هنا؟
- يمكن بس عن نفسي فأنا متضايقتش من كلامك.. لكن الواضح إن في حد تاني
أتضايق
- حد تاني! تقصد مين بالظبط؟
- حد انتي افترضتي عدم وجوده وقولتي عليه كدب وواضح انه معجبوش الكلام
ابتسمت سارة بسخرية على ما يقوله
- بجد!؟ انت عايز تقولي إن اللي دخل شقتي دة جن من بتاعكم؟
نظر إليها بحدة واستهزاء

- لا أبدا مستحيل يكون جن طبعا، لكن عادي جدا بالنسبالك انه يكون أنا و أكون خرمت الباب المقفول ودخلت مثلا واحتمال أكون طيرت قبل ما الشرطة تدخل البيت لا وكمان بقفلك ع السقف.. دبانه انا شكلي جاية من جنوب الصومال!

- انت إنسان قليل الأدب

- بس بقى وفوقي، أنا و انتي عارفين إن لو فعلا اللي شوفتيه دة بجد فدة معناه حاجة من الإتنين إما انك مجنونة وكل اللي شوفتيني فيه دة بسبب انك حطيتيني ف دماغك وركزتي عليا فبدأتي ترسمي أوهام وتصدقيها ودي فكرتك و انتي اللي قولتيها ف المناقشة للعلم، يا إما إن اللي شوفتيه دة شيء فائق للطبيعة اللي أنا و انتي نعرفها ومعتقدش إني ماشي ادامك بجناحين ولا شفاف عشان اقدر اعمل اللي بتقوليه دة،

في الأمرين دي مشكلتك عايزة تسيبها لحد ما تكبر انتي حرة إنما لو عايزة مساعدة فعلا فأنا معاكي بس بشرط انك تفتحي دة شوية (اشار لرأسها) لأن في حاجات كتير لو معرفش يستوعبها هتقعي ف مشكلة أكبر

همت (سارة) بالكلام ولكن قاطعها دخول شاب مراهق يجلس على كرسي متحرك، كان الشاب جميلا رقيق الملامح يشبه ياسر كثيرا مع الفارق الذي تصنعه السنوات، اللهم هو ذلك الشعر الأسود الداكن الذي يختلف عن شعر ياسر البني.

دخل ذلك الشاب بابتسامة نضرة ناظرا الى سارة مباشرة ثم أعاد النظر الى ياسر ليغمز بعينه اليمنى إلى ياسر

- ايه يا عم الشيخ انا أقول بردوا الراجل مصحانيش واسأل سليم يقولي مشغول، بقى كدة؟

ارتبكت سارة وظهر الارتباك أيضا على ياسر الذي شعر بالحرج من كلام أخيه نظر إليه ياسر منبها إياه بنظرة صارمة

- يا ابني مش قولتلك ١٠٠ مرة متطلعش من السرير غير لما أجي انا أساعدك ماليش دعوة بأي حد تاني يقومك افرض اتخبطت!

أمال المراهق رأسه بخفة بمعنى بالمرة القادمة فنظر ياسر إلى سارة بحرج

- معلش انا آسف جدا أعرفك.. دة مالك اخويا الصغير.. دمه يلطش زي ما انتي شايفه يحب ينكت بدم أهله العسل دة متزعليش

- حصل خير

- أنا آسف ثواني بس هطلعه فوق واشوف الأدوية واجيلك

نظرت إليه بحزن على حال الشاب الصغير بصوت خافت

- أكيد طبعا اتفضل

نظر إليها مالك بخبث بينما يدير ياسر العربة به ليكمل

- منورة

ابتسمت على خفة ظله، ربما يشبه ياسر كثيرا ولكنه يذكرها نوعا ما ب(محمد). تذكرت خفة ظله المعتادة التي كانت تثير ضحك الأساتذة أنفسهم! تلك المقالب التي كان يعدها لأصدقائه، تلك المرة التي قابل فيها أباها بهدف خطبتها فكاد أبوها أن يلقيه خارجا لشدة حماقته! ابتسمت وهي تتذكره، تتذكر كل تلك السعادة التي حظيت بها، ثم تتذكر مشاهدته وهو يذبح أمامها وكل ذلك الألم الذي يشتعل داخلها، سقطت دمعة ما بين الابتسامة الحزينة التي رسمت على وجهها. أزاحت تلك الابتسامة عندما لمحت ياسر القادم من بعيد، اقترب بابتسامة وكأنها رسمت على وجهه بشكل غريب ليجلس أمامها ولكن تلك المرة كانت ملامحه تبدو أكثر غرابة!

- معلش اتأخرت عليكي

الغريب والذي أثار دهشتها أن ملامحه لم تكن تتغير مع كلماته! عادة ملامح الإنسان تتغير مع التحدث ولكن ياسر كانت ملامحة متجمدة بتلك الابتسامة الصفراء رغم حديثه الذي لا يواكبها أبدا! نظرت إليه بتركيز شديد لم تستطع أن تبعد ناظرها عن محاولة الفهم لتلك النظرة ليصرف انتباهها الصوت الذي أتى من خلفها، تقدم ياسر من خلفها ليقف أمامها فجأة

- معلش.. اتأخرت عليكي؟

صعقت سارة.. نظرت إليه بخوف ثم أعادت النظر للمكان الذي كان يجلس فيه

منذ قليل لتجده فارغا، أعادت سارة النظر الى ياسر الواقف أمامها برعب بين حاجياه اللذان اقتضبا تعجبا من نظراتها ثم جلس في ذلك المكان الذي كان يجلس فيه شبيه منذ قليل

- مالك يا آنسه سارة؟ في حاجة!

- أنا مش آنسه.. أنا مدام وأم

نظر ياسر بنصف ابتسامة مبديا تعجبه من مظهرها الذي يبدو أصغر بكثير من ذلك

- غريبة.. ميبانش عليكي!

توقفت سارة لتنهي المحادثة

- على أي حال مبقتش..الإتنين راحوا..عن إذنك

دوت تلك الكلمات برأس ياسر للحظات، أصابه الأسف دون أن يدري ما حدث لها ولكن تلك الكلمات أخرجت شيئا ما بداخله بينما أشياء أخرى تخبره انه مكلف لمساعدتها، توقف هو الآخر ليودعها

- أنا آسف أنا مش همنعك تمشي بس يا ريت بعد إذنك تسيبي رقمك

- مفيش داعي

- معلش أعتقد مش هتخسري حاجة، ع الأقل نعرف ايه اللي بيحصل صدقيني أنا مش سبب ف كل اللي بيحصلك

نظرت إليه بفزع وضياع

- عارفة

توغل ياسر بعينيه بداخل تلك العينان التي تتسع لكل ذلك، كيف تتسع تلك العينان الجميلة لكل تلك الأشياء! كيف تحمل تلك الدموع وتستبقي كل ذلك الألم بينما تطوي في إحدى أركانها تلك الشجاعة والتحدي وتلك القوة! كيف تنساب تلك الزرقة الدافئة بين عينان يحاوطها ذلك السواد الموجع، كيف تنتهي بذلك الكم من الرعب الذي يشع خلالهما أيضا

لم يبعد ياسر ناظره عنها بينما اخرج ذلك الجوال من جيبه دون أن ينطق كلمة،

أومأ ياسر برأسه ممتد اليد بذلك الهاتف إليها فالتقطته بصمت بين أناملها وهي
تضع تلك الأرقام ثم أعادت إليه الهاتف

- اسمي سارة

ابتسم ياسر فالتفتت لتهم بالرحيل لتوقفها كلمته

- مدام سارة..

التفتت لتنظر إليه بترقب فأكمل

- أنا مصدقك، ومش بس عشان اللي حكيتهولي ولا عشان جيتي هنا بنفسك

ابتلع ريقه ليكمل ببعض التردد

- عشان أنا كمان طالني جزء.. حتة من اللعبة اللي بدأت معاكي

- تقصد إيه!

- أنا كمان بتحصل معايا حاجات مش فاهمها من أول ما ظهرتي..

ابتسم ببعض المرح بخفوت

- بس أوعدك مش هتهمك فيها والبسهالك زي ما ناس عملت

أكمل: حتى لو مش فاهم..

لمعت عيناها بحيرة وضياع وهي تستجمع حديثه وتتجول بعينيه للحظات ليختصر
ياسر حيرتها تلك ويغلق باب فضولها الذي قد يزيد كاهلها أكثر

- أشوفك على خير

طرفت بخفة وهي لازالت معلقة إلى عينيه لتلتفت بصمت وتنسحب..

انسحبت بهدوء لا يشعربه سوى من رحلت عنه ليخمد المنطق والأسئلة والجحيم
ذاته تلك اللحظة بينما

توقف ياسر يسترجع حديثهم منذ اللحظة الأولى، تكمن المشكلة أن ياسر ذاته يشعر
أن هناك أمرا غير طبيعيا يرتبط بها وليس هي من تستشعر ذلك فقط!

طرف بعينه ليتحسس عنقه بحيرة، تنفس الهواء بعمق وهو يتذكر كتلة كبيرة من
الشعر انتصفت بلعومه بالأمس فشقطت منطقيته وهدوء نفسه المعتاد.

***

غرفة مكتب ياسر

الساعة الثامنة مساء:

تناول القلم ليكتب مجددا، ارتشف من سيجارته بعض النيكوتين واخرج ذلك الدخان محملا بأشكال أسطورية تحت تلك الإضاءة الخفيفة للأباجورة الراكدة بجواره، تنفس بعمق سيجارته ليطلق زفيره وأدخنته بين حاجبان منعقدان ثم بدأ يكتب:

وبالرغم من كل المحاولات لاكتشاف ما حدث لتلك الجزيرة إلا إنها جميعا باءت بالفشل، ظهرت تلك الجزيرة فجأة واختفت كما ظهرت وكأنها تلاشت للاشيء في ذلك المحيط المظلم، حدودها الطائرة والتي لم يتسنى الوقت لاكتشاف محتوياتها الغريبة وثرواتها التي سعى إليها كل من خرج فلم يعد ظلت اكتشاف ثري لؤلؤة تلمع أمام المستكشفين ولكن! أقصى مخاوفهم أيضا.

تلك الرحلة التي انطلقت من العام ١٩٧١ إلى تلك الجزيرة بثلاث علماء وشباب من العباقرة لم يعد منها احد، بعثة كاملة ذهبت بلاشيء.. بلا تفسيرا منطقي للاختفاء.. وكأنهم ذابوا في تلك الجزيرة التي كانت ولم تعد! جزيرة ضلها التاريخ وضلت المنطق..

اختفت الجزيرة تلقائيا بعد أربعة أشهر فقط لتصيب العلماء والمستكشفين بتلك الفجيعة التي اهتزلها الوسط الجغرافي والعلمي، جزيرة اختفت بلا اثرف المحيط بشكل مفاجئ بالرغم من دراسة كل الأسباب الكونية الممكنة التي قد تودي لاختفاء جزيرة كتلك إلا إنها جميعا لم تكن! لم يثبت أي من الافتراضات العلمية دليلا لاختفاء تلك الجزيرة بعينها! لم يعثر عليها في قاع المحيط ولم تتجول بقاياها في مياهه إن افترضنا نظرية الانفجار!

وبالرغم من اختفاء الجزيرة فعليا إلا إنها لازالت حية على مؤشرات البحث.. فأي جنون وجحيم أتى بها وأخفاها لتحيا هكذا عزيزي القارئ!

لم يكمل (ياسر) كتابته حتى طرق ذلك الباب لتمتد تلك الرأس الصغيرة بضحكتها المعتادة:

- ياااا مساء العسل

ابتسم ياسر تلقائيا على بلاهة أخيه والقى بالقلم

- يا مساء العسلية، عايز تعمل ايه النهاردة يا عريف عصرك؟

دفع مالك الباب بيديه وتقدم بذلك الكرسي المتحرك بالريموت كنترول ليخرج ياسر عن مكتبه ويتجه ليقف أمامه مكتف الذراعان مستند الظهر إلى المكتب فنظر إليه مالك ببلاهة

- والله مش عارف حاسس بالملل والأفلام الهبلة اللي جايبهالي دي! جايبلي فيلم انيميشن انت شايفني بتوكة يا عم الحج!

ضحك ياسر حتى ظهرت ضحكته باتساع

-الله يخربيتك.. اومال عايزني احطلك ايه؟

- بقولك صحيح هي الموزة دي مين؟

اقتضب حاجبا ياسر ليتجه نحو الكرسي ويجلس بنبرة حادة

- عيب ياض وخليك ف نفسك

-امم عيب ياض وخليك ف حالك اه، طب دي اجابة بالنسبة لكلمة موزة ولا بالنسبة ل دي مين؟

- بالنسبة للإتنين يا أظرف أخواتك

- طب خلاص هتكلم بأدب اهو.. بجد والله مين البنت دي؟ مش الأشكال اللي تعرفها يعني عشان كدة بسأل

- دة على أساس انك شوفت اللي اعرفهم أصلا!

طوى مالك فمه ببلاهة ومزح

- وهو انت بتخليني أشوف حد غيروش اهلك ووش سليم!كتكوا القرف وهي دي خلق الواحد يصطبح ويتمسى بأمها ويبقى عدل!

ضحك ياسر بشدة لترتعد ضحاته عاليا

- الله يهديك بس..

هدأت ضحكة ياسر لينظر إلى مالك بابتسامة مترددة ويكمل:

- بقولك ايه ماما كانت عايزة تشوفك من قبل ما نرجع من السفر وانا بقولها انك

محتاج ترتاح شوية ايه رأ..

لم يكمل ياسر كلمته حتى قاطعه مالك بملامح اقتضبت فجأة

- قولها مشغول

نظر إليه ياسر بحزن ليطرف بعينه ويبتلع ريقه ثم رفع ساقه ليضعها فوق الأخرى على سطح المكتب مر اقبا وجه مالك التي تجمدت ملامحه بهدوء

- على راحتك، أنا مش مغصب عليك.. بس عايزك تقلب الموضوع حبة كدة

انتبه ياسر لمالك الذي يصرف انتباهه ويبدو عليه علامات الانزعاج وهو يفضي ما بداخله بتدوير تلك الكرة الصغيرة لمجسم كرة أرضيه على المكتب بأصابعه، أراد ياسر أن يخرجه من تلك الحالة فأكمل محاولا تخفيف ذلك الثقل الذي استكان وجهه مبتسما

- اسمها سارة

التفت إليه مالك عاقدا حاجباه بعدم فهم

- هي مين؟

- البنت.. الموزة ياجزمة

ضحك مالك بخفة ليكمل ياسر

- بس باين عليها محترمة.. هي مجنونة شويتين تلاته اربعة بس شكلها بنت ناس، بس عارف.. حاسس ان في حاجة غريبة!

- غريبة ازاي يعني؟!

- لا استنى نشرب حاجة و أقولك بس نطلع برة احسن

توقف ياسر ليفتح ذلك الباب ويخرج ليلحق به مالك الى غرفة الجلوس ليكملوا حديثهم، وبلا إرادة أدرك ياسر أنه وقع في شيء ما منها.. شيئ لن يدركه مالك حتى ولن يستوعبه هو.

***

كان الله دوما بقلبي.. كان الله دوما منتهاي

أنا التي كتبت عن كل شيء وصمتت طويلا

لا وطن حمل موهبتي ولا دينا احتفظ لي بالأحبة!
حتى الجان عادوا إلي من الأساطير التي لا اعتنقها ولا ارتشفها مع مشروب الصباح المرتجف..
أنا التي بلاشيء عدت إلى اللاشيء لأحارب عقول تؤمن بلاشيء وتتم مهاجمتي من (اللاشيء!)
أحجية بلا ظهر احتاج لحلها بمفردي..
أنا العقل..
أنا الواقع..
وما انتم سوى حثالة من الأقاويل وإرث الأجداد!
صدقني يا أبي..
قمت بتربيتي إلى زمن لا علم لك به.. ودينا طعنته في صدري ووجداني وشهادة ميلادي ولم يدافع عني
صدقني.. لا شيء هناك خلف ذلك الكيان الكونى الأزرق العظيم
لا أحد يستمع..

تلك الأنفاس الحارة تلفح على وجهها بالرغم من ذلك البخار البارد الذي يخرج من مجرى تنفسها إلا أن الجو الحاريحمل هواء مثقل بالسخونة! تشعر بجسدها يزن الأطنان وأن قدرتها على التحرك ضئيلة، ذلك الهدوء المريب الذي لا تسمع فيه سوى فحيح البحريجعلك تشعر منذ الوهلة الأولى أن هناك وحشا عملاقا يمتلك رأس أفعى سينقض عليك من حيث لا تحتسب! تلك الرمال الحمراء العجيبة التي تشعر بشدة حرارتها وكأن هناك بركانا سيخرج في ايه لحظة جاذبا جسدها إلى لقاع منسحبا إلى البحر ليصبحوا متحدان دون رمال تصورا رقيقا لمدى بشاعة ا سيحدث حتى!
فت تتأمل تلك الرمال الحمراء التي تنتشر حول كامل جسدها وتلتصق بذراعيها لك البحر الذي لا ترى خلفه قمرا أو شمسا. كل ما في الأمر هو ذلك الضوء الذي

يأتي كوميض عابر من إحدى المصابيح ولا يبدو لها كأنه قمرا أبدا، تصرخ تلك الأصوات في جماعية رهيبة بلغة تشبه تلك اللغات التي يصنعوها كتاب الفانتازيا لترفرق معه نبضات قلبها فزعا بينما يتغلغل المشهد ذلك البحر الذي لا أمواج فيه ويشبه إلى حد كبير البحيرة الكبيرة، لا تدري حتى الآن ماهو لونه الحقيقي! أهو الأحمر القاتم أم الأسود الأقتم!

كانت تقف بذهول.. شدة الحرارة لا يمكن احتمالها، تكاد تلك الأنفاس تفقد بين الحرارة التي تحرقها، نظرت نحو الجهة المقابلة لتشاهد تلك البيوت العمرانية العتيقة المتعامدة بشكل غريب بعضها فوق البعض حيث تتعامد بعشوائية غير مستوية الصفوف فوق ما يشبه الجبل الأسود فتكاد لا تميز معالمه فذلك الضوء الصغير اقل من أن يصف التفاصيل! مهلا؟ هناك رجال ما يصنعون ذلك القارب الصغير في هرجلة وحالتهم يرثى لها

اقتربت لهم بتعجب ثم سألتهم عن ذلك المكان ولكن لم يصلها أي رد! كانت عيناهم متصلبة.. لا يبدو عليهم أي استجابة بل يبدو وكأنهم لا يروها حتى!

ظلت تتكلم.. تسأل.. تصرخ دون جواب! بينما يستمرون فقط بصنع ذلك القارب مما يشبه الخشب إن كان خشبا بين وجودها اللاوجودي، حمل الثلاثة رجال ذلك القارب نحو البحر ثم انزلقوا فيه ليسيروا داخله ومر ذلك القارب خلال المياه، كانوا في حالة من التجمد وكأنهم لا يدركون ما يحدث حولهم! ولكن ذلك القارب توقف فجأة لتبتلعه المياه على مسافة قريبة ثم تلاشى في ثوان أمام عينيها المتوسعتان وكأنه لم يكن وكأنهم لم يكونوا ثم ظهروا فجأة من جديد.. نفس الرجال ونفس القارب ونفس المكان! يفعلون ما كانوا يفعلون من قبل.. يضمون تلك الأخشاب بنفس الهرجلة.. بنفس الملامح المتجمدة.. كل شيء يدور من جديد.. يتكرر بتناغم مريب مفزع!

شاهدت سارة ما يحدث بين صدمتها ودهشتها، ما يحدث خارج قوانين الطبيعة وخارج قوانين عقلها الادمي الصغير،أين هي! ماذا يحدث؟ من هؤلاء؟ ما تلك

البيوت وما هذا العالم! أين توجد هذه.. هذه.. إنها جزيرة! نعم إنها جزيرة.. ولكن أي الجزر تلك التي تمتلك مياها حمراء ورمال دمانية وبيوت أتت من حضارة لم تذكرها كل الكتب التي قرأتها!

لم تلتفت سارة بين كل تلك الأسئلة وعقلها المسلوب إلا حتى تجد ذلك الطفل الصغير الذي ينحني عاريا فوق الرمال بتركيز شديد وهو يسير بأصابعه الصغيرة ببطء ويبدو وكأنه يكتب شيئا ما. لم تكن ملامحه واضحة لم يكن ما يكتبه واضح هو الآخر..

اقتربت ببطء وقلبها يتقافز بخوف من الطفل المريب لتتصلب قدماها بين أول ارتفاعه لرأسه

توقفت سارة بكامل غثيانها وصرختها التي شقت صدرها تستوعب وجه الطفل الخالي تماما من اية ملامح بينما ينظر إليها بثبات وأصابعه لازالت تركد بسلام فوق الحرف الأخير من كتابته

بدا الطفل وكأنه يتفحص وجهها وملامح ارتعادها بهدوء وبرود واستمتاع..

بدا وكأنه خلق من الطين بلا روح تنفس فيه البشرية..

بدا اعظم الكوابيس والعنها بين شعيراته التي أخذت تتطاير واحدة تلو الأخرى وتسقط عن رأسه ببطء ثقيل فتستقر في فجوات الكلمات المحفورة فوق الرمال.

سارة لم تدرك حقيقة ما يحدث ولم تحتمل..

فقط ابتسامة انشقت بوجه الطفل من اللاشيء ليظهر شبه فم بوجهه ثم انتكاسة رأس نحو كتابته جعلت سارة تسقط برأسها هي الأخرى لتقرأ ما فاتها

« أطرقي الباب أولا »

كانت تلك العبارة هي ما كتبت على الرمال الحمراء الممتلئة بشعيرات الطفل الشبح الذي تلاشى بينما تعلقت عينا سارة المتوسعة بتلك العبارة بغياب وشرود.

في تلك الأثناء:

رفعت عيناها بفزع.. تكاد لا تصدق ما يحدث.. إنها لازالت نائمة في سريرها! ذلك

كابوس! نعم انه كابوس.. عقلها الباطن متعب جدا إلى ذلك الحد الذي يصنع كوابيسا حقيقية! كان حقيقيا جدا حقيقيا إلى درجة لا تصدق، لازالت حتى الآن تشعر بملمس الرمل الساخن بل وتحترق بشرتها وكأنها تلتصق به! تتذكر الكائن.. الرمال.. البيوت

هؤلاء المكررون المفزوعون! يا إلهي..كم هو ساخط ذلك العالم الجحيمي الذي نامت لتستيقظ فيه على كل ما أخل العقل البشري يوما، أما عن ذلك الطفل فهو الكابوس بعينه..

الكابوس بكل تعريفه و أبجديته، كابوسا لا ينطق ولا يتطور هو فقط بكل تكوينه يتجسد بمعناه وهيئته وسيرته الغير عطرة

طرفت بعينيها ثم نهضت في وضعية الجلوس، نهضت لتجد أصوات ناعمة تزاح من فوق صدرها وتسقط بجانبها على ذلك السرير لتشبه تماما صوت الخرز الصغير عندما يتزلق فوق قماش، لم تكن تلك الأصوات سوى لرمال حمراء وجدتها تستقر فوق صدرها لتنزاح عند نهوضها! تفحصت بفزع يديها بشكل يدل على حالتها العصبية التي تكاد تفقد رشدها لتجد إن جميع جسدها مكسو برمال حمراء دقيقه، وهنا صدمتها صفعتها للمرة الثانية! هل كانت تحلم بالفعل!؟ لا.. الآن فقط تجلت حقيقة أخرى أكثر درامية أمام سارة المسكينة

إن كان ما رأته يجب أن يكون حلما.. فتأكدت إنها لم تفعل إذا.

***

انسدح بسريره بين عالمه الفيسبوكي، فتح تلك الرسالة التي وصلته منها منذ يوم وقابلها ب بلوك عظيم وضحك بخفة مسترجعا ذلك، طرف بعينيه متذكرا إياها.. يا إلهي كم تمتلك عينان جميلتان.. لم يرى بحياته امرأة تقع أنوثتها بعينيها، ولم يرى عينان تمتلك كل ذلك الحزن ولا زال الجمال يسكنها، ربما الحزن هو الجار القاسي للجمال.. ربما لتكون جميلا لابد لك أن تدفع ثمنا باهظا من الحزن ربما.. التقط ذلك الهاتف ليضغط بضعة أزرار منتظرا رد قصير بارد يكتفي به ولكن سارة التي فاجأته بجملتها زادت فزعه وصدمته ولم تخفف حدة الشوق إليها

- عابزة أشوفك

كانت تلك كلمة سارة التي خرجت إليه مع أول انفتاح لخط المكالمة بلا أية مقدمات حتى، عقد حاجبيه قلقا وهو يشعر أن هناك مشكلة حقيقه بحياة تلك الفتاة جزء منه يخبره أن هناك رابطا ما وضع كلا منهم بطريق الاخر، شيء ما يجمعهم ويفرقهم أيضا، شيئا ما ولكن ترى ماهو؟

أعاده من ذلك صوت تنفسها المتعب ليرد بخشونة بلا أسئلة

- أكيد.. هستناكي الساعة ٥

- أشوف حضرتك برة البيت الساعة ٦ في بينوس ودلوقتي تصبح على خير

لم يمتلك ياسر وقتا ليعترض أو يناقش لذلك قابلها بتمني ليلة سعيدة لها وأغلق الهاتف، زفر ببعض الضيق من حدتها، كبريائها نازي صريح وهو لا يقبل ولا يحب ذلك النوع من الكبرياء..

كبرياء جريح عنيد لا تدرك إن كنت تتعلق به أم ترغب بركله!

***

جلست هي بين صفحات رواية أثير عبد الله النشمي، تتفقد وريقاتها فينتابها الحزن بذلك العمق الذي تغتالك به أثير بكلماتها التي تطعنك في صميمك.. ويغتالها بعض الكآبة لتلك السلبية التي أصبحت عنصرا مهما ليقدموا به المرأة العربية أيضا وكأن المرأة العربية خلقت لتصبح سلبية فقط! وكأن كل النماذج الناجحة ليسوا نساء وليسوا عربيات!

تنظر إلى الكتاب تارة وتتفقد الساعة التي أصبحت عقاربها ثقيله لا تسير كما عاهدتها! الساعة الآن الواحدة ليلا وبالرغم من ذلك لن تجرؤ سارة على النوم حتى تنتزع ذلك الظلام الذي اصبح يخيم فيها، ومن قال أن هناك نوما سيحل أصلا وقد باتت منذ مدة ممزقة الساعة البيولوجية.. تنام في الأوقات التي يملأها العالم حياة وتحيا في الأوقات التي يملأها العالم هدوء بين أحلامهم السعيدة أو التعيسة! أيا ما يكن فقد أصبح النوم الآن محرما حتى يصبح آمنا.. تدخله فتخرج منه كما دخلت.. بلا دخلاء.. بلا الآلام.. بلا رمال، تذكرت تلك المقابلة التي تورطت بها غدا، ذلك

الشاب المتكبر.. هل ما فعلته صحيحا أم إنها أضافت مشكلة جديدة الى صفحتها التي أصبحت لا تضم سوى المشكلات

حقا لا تدري ولكنها ستكتشف ذلك لاحقا لاشك

***

في زمن آخر:

- مات سليمان.. مات سليمان..

رفع مالك رأسه عن الوسادة وهو يفتح عينيه باتساع ويلتقط أنفاسه بصعوبة، تصلب جسده في وضع الجلوس ونبضات قلبه تتسارع وهو يتجول بعينيه بين أرجاء الغرفة بتشوش لعين، ضجيج ما يشبه الصفير بدأ باقتحام عقله وخلاياه ليغلق عينيه بقوة وهو يضغط على رأسه الذي كاد أن يتهشم

مالك بصوت مرتفع: سليم

تصبب عرقا وهو يقاوم ذلك الضجيج القاسي والنبضات الكهربائية التي تضرب رأسه ليعاود نداء سليم الذي لم يستمع إلى النداء الأول

- سليم

تلك المرة فتح باب الغرفة ليستمع مالك صوت الأقدام التي تقترب من سريره وكأن قرعا طبوليا يدوي منتصفا صوت التصفير الكهربائي ذاك، لم يكن مالك يمتلك القدرة على فتح عينيه أو مقاومة يدا سليم التي امتدت لتجذب جسده بحيوية ومرونة ليشعر باستقراره في ذلك الكرسي المتحرك بسلاسة ثم دفعة إلى الأمام..

خرجت كلمة مالك بتعب شديد

- سليم اعملي شاي راسي هتنفجر..

فتح عيناه ليغلقها ويعاود فتحها عدة مرات أملا على تجاوز تلك النوبة العاتية من صداع نصفي بغيض لم يعتده ولكن الرؤية كانت مشوشة بشدة لم تساعده على التمييز لما حوله، شعر بسليم وهو يضعه على أولى عتبات الغرفة غالقا الباب خلفهم

- مالك وقفت ليه؟ نزلني تحت، هو ياسر فين؟

ولكن سليم لم يكن يترك أية إجابات إلى مالك الذي وجد ذاته وحيدا بين رؤيا مشوشة و أنفاس سليم التي رحلت ليدرك أن سليم تركه في ذلك المكان وذهب بصمت مرتب غريب!

- سليم؟ انت يا حيوان سايبني هنا ليه! سليم؟

أخذ يلتفت برأسه متجولا بعينيه المشوشة يمينا ويسارا باحثا عن ظل سليم أو طرق من ياسر ليسأل.. ليستوعب أيا مما يجري ولكن رؤية مشوشة عابثة صنعت من حوله اختلاطا وظلالا كثيرة بلا ملامح وشبه وميض عابر، أغلق عيناه مرات عديدة ليفتحها معاودا الكره ليأخذ نفسا عميقا ويحرك عجلاته بيديه بعمى مؤقت وشلل دائم تلك المرة، أخذ يسير بلا رؤية ولا وجهه وهو ينادي أصوات الغائبين ويشعر بتلك الوحدة والحاجة المفرطة..

استمر بالسير بتلك العجلات البغضية بين عينان مشوشتين بأقل الاستدلالات الممكنة لأماكن الأشياء ومسافات الغرف ليتحسس ذلك الباب الخشبي بيدان خفيفتان ويبتسم بانتصار.. وصل أخيرا إلى باب النجاة.. باب غرفة ياسر الذي لم يسمع نداءه المائة..

حرك مقبض الباب وهو يرتب كلماته وسباباته المتعددة لخذلان ياسر وغباء سليم، انتقام حرفي لا يملك غيره مالك سيطلقه بوجه كليهما بعد أن يحتضن الأمان في وجود أخيه الأكبر أولا، ضم حاجباه ليعقدهما استعدادا وأخذ نفسه العميق وهو يبدأ بلعن ذلك الصداع قبل كل شيء، شهيق.. زفير.. حاجبان منعقدان.. ثم بدأ امتدت بثقة لتدير ذلك المقبض بقوة وغضب لينفرج الباب

- ياسريا..

- مات سليمان

تلك الأثناء:

طرف بعينيه وهو ينظر داخل مذكرته الصغيرة بتركيز، حمل كوب القهوة ولازالت عيناه تتفحص كليا بتلك العبارات ليرتشف بضع رشفات متتالية ثم يضع كوبه بلبات، اغلق المذكرة ليستند بظهره إلى الخلف ويضع ساق فوق الأخرى ليخرج

سيجارة ويشعلها بتفكير عميق وشرود، نظر إلى شاشة الحاسب الآلي أمامه وهو يخرج دخانه الممتلئ بالنيكوتين ببطء ويتأمل الكلمات المتراصفة بحجم صغير أسفل العنوان العريض المخيف بحد ذاته

«الظهور الشيطاني»

طرف ياسر بعينه وهو يقرأ الكلمات بأفق متسع محاولا إيصال خيوطه بما يحدث للأرملة الحسناء مستشعرا بخيبة أمل وعدم استيعاب، بضع كلمات كتبت في مقالات مختلفة تصف الظهور الشيطاني وكيفيته لا تسع ولو قدرا صغيرا من شغف وكثرة الأسئلة المتزاحمة بعقل ياسر! لم تشبعه الكلمات ولم ترو عطشه ليدرك ويستوعب جيدا أو يحل اللغز أو بعضه..

زفر ليلتقط نفسا آخر ويحرك بيده الأخرى مؤشر البحث واضعا كلمات مختلفة كان محور بحثه تلك المرة «اقتران الشيطان بالإنسان في مختلف الأديان»، حرك مؤشر البحث ليجيبه بوفرة تلك المرة، مقالات عديدة احتوت أوصاف وعلامات اقتران الجن بالبشر منذ مئات السنين بل وكيف يحدث ذلك، أطفأ سيجارته ليراقب الكلمات بحماس ليعاين كل مقال ويأخذ منه ما يؤخذ ثم الآخر فالآخر حتى امتلأت جعبته بما يستطيع الوصول إليه في ذلك البحث، المس الشيطاني.. الاقتران.. القرين.. السحر، كلها أمور تطرق إليها ياسر دون وضع أحدهم بأولوية عن الآخر. لم يكن ياسر يدرك عن ماذا يبحث على وجه الدقة ولكن كل ما يعرفه أن ذلك يجب عليه! استند بظهره مرة أخرى وهو يلتقط أنفاسه بتعب واستسلام تلك المرة ليطرف بعينه ويشعر بتلك البرودة التي ملأت المكان، رفع ذراعه ليشاهد تلك الشعيرات التي ترتفع قليلا على ذراعه لتقف فاقتضب حاجباه بعدم فهم وذهول ليرفع وجهه مع ذلك الظل الذي عبر سريعا أمامه ولكنه لم يجد شيئا! ابتلع ريقه بخوف لتتجول عيناه بتحفز بين أرجاء الغرفة أمامه منتظرا ضيفا بحث عنه منذ قليل وتوقع قدومه إليه، توقف ياسر وهو لازال يتجول بعينيه بترقب ليشاهد المكتب الذي ارتفع عن الأرض ليرتجف ذلك الكوب فوقه بعنف وتسقط مذكرته أرضا، رمق المكتب والدفتر الساقط بطرف عينه ليرفع عينه الى الأمام ويتجمد

أمام ذلك الشيء، شاهد ياسر طفلا صغير رصاصي اللون مصمط الملامح تلبعث خصلات شعره وتطول لتلتف حول جسده لتعقد عقدة فوق صدره ثم تتفرع لتلتف مرة أخرى وتعقد العقدة الثانية فالثالثة بينما يقف الطفل بثبات وكان ينظر لياسر مباشرة، لمعت عينا ياسر برعب دون أن ينطق بكلمة ليشاهد الضوء الذي تأرجح حوله ليومض ويخفت ثم ينطفئ تماما ليبقى كل ما يملك من رؤية هو ذلك الجسد المرعب الذي يقف أمامه على بصيص ضوء القمر القادم من النافذة..

رفع الكائن يده ليفتح كفه ببطء بينما بدأت تلك الشعيرات التي تحيطه بفك العقد واحدة تلو الأخرى والانسحاب والتلاشي إلى الخلف حتى اختفت كما ظهرت ف البداية. تسارعت نبضات ياسر ليشتعل الضوء مرة أخرى وصوت كوب القهوة الذي أخذ يدور في الطبق المخصص له مصدرا صريرا يناسب عمق الرعب فيما يحدث لينفتح كف المخلوق الطويل مظهرا الكلمات التي كتبت بباطن يده

«أطرق الباب»

هنا انفجر فنجان القهوة منكسرا لينتفض جسد ياسر تلقائيا ليجد نفسه جالسا بكرسيه بلا شياطين وضوء الغرفة يملأ الأرجاء بلا انكسار وخفوت! تجمدت عيناه لوهلة محاولا استجماع ما يحدث وإدراك أكان في كابوسا ما أم في واقع حي لا يشوبه خيال ولكن ظن ياسر لم يرقد طويلا في الافتراضات فذلك الكوب المنكسر وذلك الدفتر القابع على الأرض كانا خير مثاليين لفوضى شيطانية مرت هنا لم تحمل كوابيسا لم تتحقق..

توسعت عيناه بصدمة وفزع وهو يتجمد بثبات أمام مشهده من الكوب المحطم الدفتر المبعثر ليرفع وجهه نحو ذلك المكان بالتحديد. الأحجيات تتزايد والألغاز عقد والشياطين أمست بكامل الوقاحة لتظهر بالتحدي دون أن تتوارى أو تتلاعب ادتها..

بذاكرته الى تلك العبارة الغريبة ليعقد حاجباه بمحاولة الفهم

رق الباب»، ماذا تعني؟ عن أي باب يتحدث! أهو الزائر للحسناء أم انه قضية

أخرى تفتح للتو؟ لم هو.. لم ياسر على وجه الدقة ولم سارة على وجه أدق! أيعقل أن يكون ما يربطهم هو الشيطان! ذلك ليس منصف أبدا

أخرج ياسر عن شروده أنين الباب الذي أخذ يفتح ويتراجع ببطء بدون سبب ليرفع وجهه بصدمة ويشاهد الباب الموارب الذي فتح من تلقاء نفسه، عقد حاجباه لينهض ويتحرك بخطوات ثابتة مثقلة بالخوف والفضول معا ليخرج وهو يبحث عن فزعا جديد يخرج إليه من هنا أو هناك، ولكن ما وجده ياسر كان أكبر ما يمكن إفزاعه به على الإطلاق، مالك المستلقي على درجات الدرج باستسلام مغلق العينان وكأن الحياة تركته للتو ورحلت..

قبل ذلك بدقائق:

- مات سليمان

كانت تلك العبارة التي صعقت آذان مالك الذي انفرج باب غرفة ياسر أمامه ليجد ذاته يقف تماما في مبنى صخري معتم دائري يقع على مسافة قريبة منه بقعة ضوء تظهر وكأنها المخرج الوحيد، عينا مالك عادت لاتزانها فقط فجأة لتريه هذا العبث.. خرج من التشوش إلى البصيرة المطلقة في مكان آخر لا يدري كيف وصله ولم وكل ما يدركه أن رعبا أكل جسده وعقله والتهم قلبه للتو وهو يتجول بفزع بتلك العينان الممتلئة بالصدمة بين الظلام حوله وصدى صوت قطرات المياه المتبخترة ببطء مريب في النزول بمكان ما داخل ذلك الكهف أو ما يشبهه حتما! وميض خافت متمركز في أخر ما يقف فيه خلال تلك الفتحة الدائرية يخبره إن ذلك المخرج للنور من تلك اللوحة الصخرية المعتوهة!

ابتلع ريقه وقد جف لسانه ولا قدرة له على إخراج صوتا واحد أو حتى الصراخ لتتقافز أنفاسه ويلهث مع نبضاته العابثة ثم ينطلق مديرا عجلتا عربته بكل قوته ليسمع أنينها الحديدي فوق تعرجات الصخور ومقاومتها لها التي تكاد تسقطه مع كل خطوة ولكنه يستمر بالمقاومة معها..

لهثة ولهثه ولهثة.. خطوة وخطوة وخطوة.. محاولة سقوط و اتزان.. وعكة تصيب

العجلات وتصيب جسده الذي يهتز مع كل تعرج ولكنه لا يستسلم.. هناك تماما بقعة ضوء لابد له ان يصلها.. هناك تماما مخرج.. ولن يقف حتى العاجز عاجزا أمامها أبدا حتى وإن انتهت آماله في الماضي واختنقت أحباله ولا توجد يد عونا بعد الآن..

هو هنا.. هو هنا ولن يستسلم..

أكمل و أكمل حتى توقف أمام المخرج ليبتسم ابتسامة الوصول.. ابتسامة الانتصار العابرة وهو مهدج الأنفاس يلتقط منها البعض ويهدأ قلبه قليلا..

هو في كابوس ما وما سيفعله إشارة لما سيستطيع فعله في الو اقع، يبدو أن الكابوس حقيقي بشدة ولا بأس بذلك ففي الكو ابيس يستطيع أن يقاتل وفي الو اقع يستطيع المقاومة. شاهد هطول غزير للأمطار يتساقط عن حافتي المخرج الصخري والهدوء يملأ المكان والعتمة لا تغيب، هدوء مرتب عميق لم يذقه من قبل وغصة قوية كحجر ثقيل تعتصر قلبه هي ما ترعبه أكثر، أمطار ممتلئة وكأن دهرا عبر دون أن تسقط..

كانت عيناه معلقة إلى القطرات المتساقطة بحماسها السريع دون أن يدرك أي الكو ابيس هو بذلك الو اقعية وتلك الأحاسيس! إحساس مالك قوي وحواسه يقظة كما لم تكن من قبل.. وكل أفلام الرعب التي شاهدها لا تملك أن تختزن تلك القوة في المشاعر، شيء غريب.. شيء غير منطقي!

طرف بعينيه بضياع متابعا الأمطار التي تتلاشى بوداع وقطرات قصيرة الحجم والعمر ليبتلع ريقه ويعقد حاجبه بإصرار مرة أخرى ويعبر وتلك المرة عاد الصوت من جديد

- مات سليمان، مات سليمان يا قوم

توقف مالك برؤية مشوشة مجددا تختلط الألوان والأشكال وهو يكاد يبصر تلك الأشكال المشوشة أمامه لكانن داكن اللون متقوس البنيه وهو يصرخ بمخلوق آخر لا يختلف كثيرا في تلك الرؤية الضليلة التي لا يميز فيها مالك سوى القليل، ابتلع ريقه ولمعت عيناه وهو يستمع ما يقوله الكانن للآخر وهو يفرد ذراعان نحيفان

طويلان بنبرة فزع ثقيلة، كانت نبرة الكائن مرتعبة يشوب مذاقها الأجش العميق فزع شديد وهو يصرخ بعبارة واحدة في الأخر ثم يعاود ليكرر عبارته هو والاخر بصوت أكثر ربية وفزعا وكأنهم يصرخون بالكون ليتحدث

- مات سليمان

مات سليمان يا قوم

مات نبي الله..

مات سليمان

عقد مالك حاجباه بصدمة وهو يبتلع ريقة بذهول، عن أي سليمان يتحدث هذا الشيء وأي نبي! أين هو ومن هؤلاء وماذا يحدث بحق كل الجحيم الذي عرفته الأرض!

حاول أن يتجول بعينيه بين ما يحيطه.. أن يصف أو يميز مكانه أو يدرك تكوين ما حوله ولكن الرؤية تزداد تشوش أكثر فأكثر والأصوات تزداد صخبا مختلط بلغات مختلفة لم يسمع مثلها بحياته قط! اختلاط غريب لا يدري أهو بالو اقع والخيال أم بالزمن والحاضر والعبث المطلق!

كان مالك ممتلئ بالخوف والفضول معا ولا احد يحل عقدة احدهم، شعر بتلك القشعريرة الباردة تسري بجسده لتتحرك عيناه بتجمد يمينا وهنا مر همس رفيع مريب بصوت إحدى تلك الكائنات المنحني بجانبه إلى أذنه ليستمع إلى صوت أشبه بالفحيح

- مات سليمان..

انتفض مالك بصدمة ليشعر بمشهده يتراجع للخلف، شعر مالك انه يتراجع للخلف بلا إرادة ويخرج إلى اتساع ثم اتساع ثم اتساع.. وكأن الكرة الأرضية تتراجع وكأن المكان يتغير بلا إرادة، كل ما أدركه انه يقف أخيرا أمام اعظم ما رأت عيناه.. أمام قصرا عظيم يملأ الأرض سحرا ويقف منتصبا بكبرياء فوق أرض زجاجية شفافة ينسدل أسفلها مياه زرقاوية وبحر خارق لكل بحار الدنيا..

باله من فردوس دنيوي أو خيالي لا قدرة لعقل مالك المتفتح القارئ حتى على

استيعاب مدى روعته وأسطوريته، عيناه التي تعلقت بما تحت عجلاته الحديدية بقيت متسعة برؤية مفتوحة ومتوازنة تميز بدقة ما تحتها من مستحيل يحدث! ظن للوهلة الأولى انه يقف فوق بحرا ازرق دون أن يغرق ولكن تلك السمكات اللامعة التي أخذت تضرب سطح الزجاج الذي يغطي البحر برأسها بخفة جعلته يدرك انه يقف على ما هو أكثر سحرا وروعة.. إنه يقف على أرض كاملة يجري أسفلها بحر ساحر يلمع بلمسة فردوسية عميقة الأجل!

رفع رأسه بانبهار نحو بنيان القصر ليشاهد القصر الضخم الذي يلمع في ضوء الشمس برخام مزدهر وومضات لؤلؤية في جهات مختلفة منه بين تلك النوافذ الكثيرة التي لا يحصر عددها..

عقد حاجباه وهو يتجول بعينيه بصدمتة وفزعه مع كل ذلك الانبهار المنغمس باللامنطقية بين تلك الحدائق البعيدة على الجانبين وألوان الفواكه المنبعثة بسرمدية اللذة للعين والقلب! اعبثا يحدث أم جنونا؟ أكون انبعث من جديد أم جزءا عقلي انساب بجنونه في الشاب فأطاح بعقله إلى أبدية محطمة؟

شعر بذلك الثقل الذي أزاح عربته الحديدية لترتفع فجأة فنظر بذهول أسفل قدميه ليشاهد ذلك البخار الذهبي الذي يتصاعد عن خلفه ويمتد أسفل قدمه متجاوزا إلى الأمام ليخلق جسرا ذهبيا ممتد البصر عبورا بموضعه فيه، توقف بحاجبين مقتضبين ير اقب تلك الأبخرة وهي تكون الجسر شيئا فشيئا حتى تم واكتمل مشيدا أعمدة ذهبية متفرقة بحرفية متقنة تخترقها أشعة الشمس ليلمع انبعاث العقيق بداخلها بمزج غريب! للحظات ظن مالك انه ميت وتلك الروح شيعت إلى الجنة دون أن يتذكر ولكن قدماه المثبتة العاجزة الباردة التي لا تنطق سيرا لا يمكن أن تمتلك من رجلا يجلس في ما يطمح فيه الأنس والجن منذ بداية خلقهم!

كاد أن يفقد صوابه ويتعثر بأسئلته بالكثير ولكن الأصوات والقادمون كانوا قشته الأخيرة التي قسمت إرادته وتحمله لينحي كل الأسئلة جانبا وكل المنطقية بالجانب الأخر، ذلك القطيع المرتب لطيور مختلفة انبعث من خلفه في سرب طويل محلقا

عن جانباه في تلك اللحظة ذاتها التي انفجر فيها عن يمينه ويساره رياح عاتيه شعر وكأنها ستقتلعه عن مكانه ليتمسك في عربته بأخر ما تبقى له من قوة ومقاومة ثم يرفع وجهه بفزع وارتجافه للأعلى ليتابع تساقط الطيور المتتالي إلى الأرض الزجاجية، كانت الطيور مختلفة.. تضم فئات عديدة وفصائل عدة جل ما يميزهم الغربان والعصافير والبعض من الهداهد الرائعة..

فتح فمه لتنزلق دمعة عن عيناه بين روعة ما يراه لينزلق ببصره نحو الطيور التي أخذت تملأ الأرض الزجاجية تحته وهي تنكس رأسها وتنطلق تلك الأصوات المختلفة بصوت خفيف يشبه الهمس بتعداد وتتالي صوتا تلو الآخر بنغمية

- مات سليمان

- مات سليمان..

- مات سليمان..

مات

.. سليمان

مات النبي

الآن:

- مالك

مالك.. يا سليم

سليم

كانت تلك صرخات ياسر الذي هرع فزعا نحو جسد مالك المستلقي بأمان وسكون فوق الدرج بنبضات خفيفة تكاد تسمع، هز ياسر جسده مرات ومرات بلا جدوى.. حمله فوق ساقه ليهزه مرة أخرى وأخرى وهو يصرخ مناديا بسليم الذي لم يغثه سريعا ليشاهد سليم الذي أتى راكضا بفزع ليقف متسمرا أمام المشهد، نظر ياسر بعينين تتوسع بوحشية الألم نحو سليم الواقف أمامه بتجمد ناظرا إلى مالك الذي لا يعلم ما أتى به إلى هنا وماذا حدث له ليصرخ بجنون

- انت واقف اعمل أي حاجة، مالك مبيتحركش ولا يرد

أوما سليم برأسه بانتفاضة لهرع طالبا العون تاركا ياسر الذي ضم مالك إلى صدره وهو يغمض عيناه بألم ومرارة ليخرج غصته بنبرة همس

- مالك قوم..

أكمل: قولي حصلك ايه! عشان خاطري متعملش معايا كدة..

سمع ياسر همسا مخيف

- مات سليمان

فتح عيناه بصدمة ليشاهد عينا مالك التي فتحت لثوان لتظهر تلك العبارة داخل بياض شاق وكأن شعيرات دموية حفرتها بدقة لتتلاشى قبل أن يستوعبها أو يتوقن من حدوثها ليتجمد ياسر بثبات أمام عينا مالك التي عادت لطبيعتها وأهدابه التي أخذت بالطرف بوهن وكأنه لا يعلم أين هو، ابتسم ياسر بحنان وحياة وكأن كل شيء مضى وكأن كل الأسئلة توقفت و اندثرت، الكون كله لا يساوي شينا الآن.. عالم الجن والإنس أجمع لا يشغله.. كل ما يدركه أن مالك عاد إليه.. أن مالك هنا.. هنا تماما وبين ذرعاه التي عهدهما

طرف بعينه ليضمه بقوة إلى صدره هامسا

- خوفتني يا حيوان

- هو في ايه؟

- مش عارف.. عرفني انت

رفع وجهه لينظر إليه فطرف مالك بوهن

- مش فاكر..

طرف مجددا لتخرج كلمته بحيرة وضياع

- مش فاكر اي حاجة

نظر إليه ياسر نظرة ضياع مطولة ليطرف بحيرة ويضمه بهدوء ويصمت بلا أسئلة مجددا.

***

جلست سارة على السرير تسترجع تلك الكلمات التي قالها ياسر لها من جديد، دخل

والدها طارقا الباب برقه، فأجابت سارة بالإذن له بالدخول ليدخل الأب بابتسامة حنونة قابلتها سارة بنفس المذاق

- حبيبتي عاملة إيه.. كلتي؟

- الحمد لله يا بابا.. تحب احضرلك عشا؟

- لا يا حبيبتي أنا يادوب زبادي وخياره معدتي متتحملش

همت سارة بالنزول فأشارلها أباها بالمنع

- لا خليكي والله ما هتقومي هو أنا مش هعرف اجبلي حتة زبادي.. ارتاحي وحاولي تنامي وشك عمال يصفر مش عارف هيروح فين!

ابتسمت سارة لأبيها فانحنى مقبلا جبينها

- تصبحي على خير يا حبيبتي

- وانت من أهله

انصرف الأب بينما جلست سارة تسترجع ذكرى ذلك اليوم، تعالت نغمات الهاتف.. التقطته سارة لتشاهد رقما غير مسجل.. رفعت الهاتف إلى أذنها لترد بترقب

- آلو..

- آلو.. ازيك يا سارة

- ياسر!

- ايوة.. عاملة ايه؟

- الحمد لله كويسة

انتظرت سارة أن يتحدث ياسر ولكن صمته استمريين أصوات أنفاسه المتقطعة فشعرت بشيء من القلق

- ياسر.. في ايه؟

- مفيش يا سارة.. إنتي كويسة؟

- أنا كويسة يا ياسر بس انت مش كويس.. في حاجة حصلت؟

- مفيش..

حاول ياسر أن يظهر تماسكه ولكنه فقد قدرته على ذلك فجأة ليكمل

- بصراحة هو في.. في كام حاجة كدة بس متشغليش بالك، أنا كل اللي يقلقني ف الدنيا هو مالك.. واظاهر اللي يطولنا بيعرف يطوله هو كمان! عموما ارتاحي.. انا أسف اني اتصلت ف وقت متأخر انا بس حسيت اني بفكر فيكي ومحتاج اكلمك

- انا كويسة يا ياسر.. المهم انه هو كويس.. انا متاكدة ان دة بسببي

لو شايف يا ياسر انك تبعد عن الموضوع صدقني مش هزعل.. انا اسفه اني دخلتك في حاجة زي دي!

- سارة انا مكلمتكيش عشان تقولي كدة، انا كلمتك عشان كنت عايز احس بحاجة تطمني.. معرفش ازاي بس لقيت نفسي بطلبك رغم اني كنت بحاول امنع نفسي..

خجلت سارة من كلام ياسر فاكمل مستطردا

- عموما انا اسف.. قلقتك انا بس حبيت أقولك اني مش هقدر اخرج معاكي بكرة عشان مالك.. فمعلش

- ولا يهمك يا ريت تطمني عليه

- حاضر

تصبحي على خير

انت من أهله

أنهت سارة المكالمة بشيء من الضيق، لماذا دائماً تصبح سببا للأذى لكل من يقترب منها، كل من يخطو خطواته الأولى بحياتها يسقط في حفرة ما! حفرة تخرجه حتما من حياتها ومن حياة الآخرون، لعنه متنقلة تحضر ويتلاشى فيها البشر.. يتفكك فيها ويندثر كل طعم للسعادة، قطعة من الحزن لا تنفك بل تكبر وتتسع وتمتلئ!

• • •

الفصل الثالث
(الفردوس ليس على الارض ولا في الشتاء)

تقدمت بين كنزتها البنيه الصوفية، بدء الشتاء يزول تدريجيا، أرجعت نصف شعرها إلى خلف أذنها ثم تقدمت من ذلك الكرسي الذي يجلس فوقه ياسر ساقطا ببصره في شاشه الايباد بينما يرتشف بيده الأخرى من ذلك الكوب الدافئ بالشوكولاتة، انتبه لها وهي قادمة من بعيد فابتسم ووضعه جانبا لتقترب وتجذب أحد الكراسي المقابلة له وتجلس

- مساء الخير

- مساء النور

- معلش اتأخرت عليك

طرف بعينيه بمعنى لا داعي مبتسما ثم أردف

- لا مفيش مشكلة أنا كدة كدة محستش بالوقت

أومأت برأسها اتفاقا

- ها.. أخبارك ايه؟

-الحمد لله

طرفت بخجل لتنظر إليه بخفوت

- أخبار مالك ايه؟

- متقلقيش..

مالك كويس وزي القرد

- ايه اللي حصله؟

- هو نفسه مش عارف بس مبدئيا خلي اللي حصله بعدين..

نظر بتمعن بوجهها ليشاهد ذلك السواد الذي يجتاح عيناها، يبدو عليها الإرهاق الشديد

- ممكن اسألك سؤال؟

أسقطت عيناها عن عيناه بخفوت

- أتفضل..

- إنتي مش بتنامي؟

نظرت إليه سارة بتعجب وكأنه يدرك تماما ما تمر به لتشعر ببعض الخوف ولكنها عادت لتومئ برأسها اتفاقا على ما يقوله فعقد ياسر حاجباه وهو ينظر إليها بتمعن

- ايه اللي بيحصلك يا سارة؟ أنا عايز اعرف وبالتفصيل وعايزك تثقي إني عايز أساعدك.. ممكن منعرفش بعض بس أكيد ربنا جمعنا لسبب

كانت يدا سارة ترتجف بعدم اتزان بينما تحكي كل ما مرت به وتلك الرؤية المخيفة التي تركتها على حفنة من الجنون الذي لا تحتمله، استمع ياسر إليها بكل جوارحه، شيئا ما جذاب جدا يسري بتلك الفتاة! شيئا ما حقيقيا يلمع بعينيها والمؤسف حقا أن يشعر للمرة الأولى باختلاف فتاة ما بينما لا تشعر هي باتجاهه سوى بأنه شابا عاديا لا أكثر! حدث كل شيء سريعا ولم يجمعهم سوى موقفان أو ثلاث.. ولكنهم كافيين ليخبروا ياسر أن ثمة شيئا سيخلق.. شيئا ربما عليه أن يمنعه من الوجود! أنهت كلامها بالصمت.. نظر إليها ياسر وأشار إلى النادل أن يحضر لها طلبا، فأجابت سارة بكوب من (نسكافيه)

انتظر قليلا وعقد يديه في تفكير أمام وجهه ثم أسقطهما ونظر إليها مباشرة

- أنا متأكد إنك حاليا بدأتي فعلا تؤمني باللي قولتهولك

- مش عارفه..

- سارة مفيش حاجة اسمها مش عارفه... يا مصدقه يا مش مصدقه ولو مش مصدقه يبقى انتى عمرك ما هتعرفي تخرجي من اللي انتي فيه لأن عقلك في مكان وقلبك وإحساسك اللي بيقولك ان اللي بيحصل دة أمر مش طبيعي ف مكان.. مع ان المفترض انهم دلوقتي بالذات يجتمعوا مع بعض بضمير مستريح كمان

- انت عارف انا لو بدأت أفكرف اللي انت بتقوله هتكون النتيجة ايه؟ لو قعدت احسب كل حاجة بتحصلي إنها من جن هروح فين؟ هبتدي أرجع أفكر إن في رب..

وإن في كوارث ف الكون بتحصل كل يوم.. وإن في ناس بتموت بدون ذنب..

ابتلعت ريقها بتحدي وحدة لتكمل

- إزاي ممكن يكون في رب وكل دة بيحصل؟

صعق ياسر من كلماتها! تجلس أمامه امرأه ملحدة! تلك القناعات التي تنشدها بعقل جاهل مثل بقيه اللادينيين صعقته كليا، قبل أن يرد ياسر ردا حادا جرت في رأسه تلك الأفكار، كيف لفتاة مثلها أن تصل إلى تلك الدرجة! امرأة تدعي التحرر ولكنها لا تتحرر من أي قيم دينية ولكنها لا تؤمن بدين!

- فهمت.. إنتي عديتي بإيه؟

نظرت إليه بصدمة

- تقصد ايه؟

- كلامك ميعنيش أي حاجة الا انك عديتي بتجربة خلتك بقيتي بالغباء دة، وعلى فكرة الناس الضعيفة بس اللي بتوصل لكدة

- ضعيفة؟! وانت بقى تعرف ايه عن الضعف؟ تعرف ايه إنك تشوف الإنسان الوحيد اللي حبيته بيتدبح ادامي وبنتي اللي مكملتش خمس سنين ودمها مغرقني في بلد غريب وكل دة عشان ايه.. عشان مسلمين.. جريمتنا إننا مسلمين! جوزي مكانش بيسيب فرض وبنتي كانت بتتعلم القرآن على إيده.. كنت بدخل كل يوم البيت الاقيه بيشرحلها ويفهمها.. كانت اخرتهم ايه؟ عارف الراجل اللي قتل محمد قالي ايه؟ قالي فين ربك دلوقتي، وأنا بسأل(ربنا ليه مرحمنيش)؟

- براڤو

عقدت سارة حاجبيها بتعجب

- براڤو!

- امممم.. انا دلوقتي عرفت بس انتي ليه بيحصل معاكي كدة.. بصي انا مش شيخ ويمكن أبعد حاجة عن المشيخة، انا كنت راجل عايش حياتي بالطول والعرض.. مفيش حاجة معملتهاش بس عارفه كان دايما في الدايرة اللي اد كدة (ضم إصبعية صانعا دائرة صغيرة) دايرة الرجوع والأمل والغفران.. عارف ان في رب هيسامحني

وبغفرلي بكلمة نضيفه مفيهاش رياء استغفره بيها، بنتك ماتت.. بس تقدري تفكري لو مماتتش كدة كانت ممكن تعيش ازاي؟ مش ممكن كانت تمرض بأي مرض خبيث وتفضل تتعذب سنين ادامك والأخر تروح بردوا! مش يمكن جوزك لو عاش كنتي تكرهيه أو زي ما قولتلك قبل كدة يتعب ومتعرفيش تساعديه؟

- وليه من الأساس مكتوب علينا نتعذب، ليه منبقاش كلنا ف سلام! انت ليه بتتكلم وكأن دة العادي! عادي نموت عادي نمرض عادي نتوجع ونتألم وكل دة تحت مسمى العدل والرحمة..

- لأنك على الأرض.. وعشان انتي ع الأرض لازم تعدي باختبار.. بابتلاء يحدد مستواكي ف الدنيا، سارة محدش بيوصل للكمال اللي ف الجنة الا لما يقابل كل نواقص نفسه ف الأرض، ربنا اسمه العدل.. يبقى ازاي يساوي بين عباده بدون اختبار! ازاي الصالح والطالح يبقوا ف منزله واحدة. ربنا كان ممكن يخلقنا كلنا بنعبده بدون تفكير، بس ربنا ميزنا.. ميزنا بالعقل وبالاختياروعرفنا كل حاجة صح والطريق المستقيم وخلى طريق الشرعبره.. والاختبارانك تستعملي عقلك فتفهمي الطريق دة نهايته ايه والطريق دة نهايته ايه

كانت دموع سارة تسقط بصمت، تشعر أن ضيقا ينزف مع تلك الدموع، كلمات ياسر الشاب العادي جدا الأقل منها ثقافة والذي هو ليس الأكثر دينا لكنه حرك شيئا ما.. أوربنا أوقظه فقط

أكمل ياسر حديثه

- بالمناسبة الله يرحمهم.. وربنا يصبرك

نظرت إليه سارة فمد إليها منديلا مبتسما

- امسحي دموعك بس متطمعيش عشان مش معايا مناديل غيره

ابتسمت رغما عنها وهي تتناول المنديل وتمسح به عيناها ليخرج صوتها ببحة ألم

- أنا بردوا دلوقتي مش عارفه هعمل ايه

- هنبتدي خطوة خطوة.. هنفكرونشوف

نظرإلى الأسفل بتردد ثم عاد النظرإليها بثبات

- بخصوص الكلمة اللي شوفتيها

عقدت حاجباها بترقب فأكمل

- أنا كمان شوفت حلم مش حلو..

طرف ليكمل وهو يرتشف من مشروبة

- الحلم كان شبيه لحلمك بس الفرق إنه كان ف مكتبي ونفس الشيء ونفس الجملة يا سارة

- يعني ايه!

- أنا اكترواحد نفسه يفهم.. بس نعمل ايه..

شردت بضياع لتطرف بعينيها بعيدا وكأنها تتذكر أمرا ما ثم عادت بالنظر إليه

- الغريب إني بسمع أصوات دايما ف دماغي، اللية اللي صحيت فيها من الكابوس اللي عشته كان في حاجة بتتردد في راسي كتير لدرجة إن حسّيت إن راسي هينفجر

حرك ياسر رأسه متسائلا وهو يرتشف من كوبه

- حاجة زي ايه؟

نظرت إليه سارة بتمعن وخوف

- أوكتارياس..

اتسعت حدقتا ياسر الذي سقط الكوب من يده تلقائيا «بين نظراته المصدومة»

- بتقولي ايه!

- في ايه! زي ما تكون سمعت كارثة!

نظر إليها ياسر في حيرة وهو يعقد يديه أمام ذقنه بتفكير ثم رفع عينيه إليها بين حاجبان منعقدان

- انتي مسمعتيش الاسم دة قبل كدة صح؟

هزت سارة رأسها بالنفي بين علامات التعجب التي تملأ وجهها لتشاهد عينا ياسر التي طرفت بارتباك وهو يسند ظهره للخلف ويخرج نفسا طويلا

طرف بعينيه في تفكير ثم نظر إليها

- اوك

- ممكن تفهمني في ايه؟

- مفهمك كل حاجة بس مش دلوقتي.. حاولي تخلصي التسكافيه بس وكفاية كدة

انهاردة وبكرة مفهمك كل حاجة مع إني أنا نفسي مش فاهم بردوا!

كانت سارة تزداد تعجبا مع كل كلمة يصدرها ياسر ولكنها تحلت بالصبر ولم تُلِح سؤالا ليس فقط لرغبتها بعدم إزعاجه بل ربما لأن الأسئلة باتت تخيفها..تخيفها بتلك الإجابات التي تقف خلف الباب فتصطدم بها، اكتفت سارة من الصدمات وباتت في حيرة بين رغبه في معرفه ما يحدث.. ورغبه بعدم معرفته أيضا! في كلتا الحالتين أصبحت تنتظر الأسوأ.. ترى القادم أكثر اتساعا.. أكثر ألما ولكن لا قوى لها على مقاومته.. لا قدرة تضع عليها رأسها ويداها بين عينين معصوبتين لتسير بثقة وهي تعلم أن غدا افضل سيأتي! إن كان اليوم سيء هكذا فأي غدا مشرق سيخرج من بين الحطام إذا!

ارتشفت من ذلك الكوب لتضعه بعينين تختنق ويدان ترتجف

سارة ببحة وهي ترفع عيناها بهدوء إلى ياسر

- أنا خلصت نقدرنقوم

أخرجت ثمن ما احتسته من حقيبتها بسرعه لتضعه بين محفظة ذلك الشيك، ولكن يد ياسر التي امتدت لتمنعها أمسكتها في غفلة فانتفضت سارة من تلك اللمسة العابرة وارتعدت يدها التي عادت إليها سريعا لتشاهد عينا ياسر التي تعلقت بملامحها الهادئة بذوبان.. ذوبان أخافها بين كلمته التي انزلقت عابرة بهمس لسعها

- دافية..

ياسرلم يقصد أن يرهقها همسا بعبارته التي انزلقت بغفلة جريحة، ولكن خوفها الذي ظهرويدها التي انسحبت سريعا من ساحة معركته أيقظته.. أيقظته ليتدارك الموقف واللغزوحتى يلمس اليدان الرقيقة لتلك المرأة!

- أنا أسف.. بس مش منظر

- ايه اللي مش منظر!

ياسر وهو يرفع حاجبه

- واحد طول بعرض بشلب بدقن بكوفيه قاعد ادام حضرتك وتمدي ايدك تطلعي فلوس! انتي فاكرة نفسك فين؟

- اولا أنا طلعت حسابي أنا «بس يعني مطلعتش فلوس ليا وليك! ثانيا مش شايفه فيها حاجة خالص

- و انتي مع جوزك كنتي بتطلعي فلوس تحاسبي لنفسك؟

- لا طبعا هو اللي بيحاسب ليا وليه بس دة جوزي..إنتي جوزي؟

- إنتي! يالهوي شكلي جايب على بوسي أوي كدة!

- انا أسفه يا سيدي غلطة مطبعية متركزش.. وبعدين دة مكانش حساب هيندفع

ياسر وهو يخرج مبلغ ما من جيبه ويضعه بذلك الشيك بعناد وحده

- يلا قومي بتتكلمي كتير عادة بنات مصر ولا هتشتروها

ارتفع حاجبا سارة باستنكار لحماقته ولكنها لم تتمكن من الكلام لأنه توجه مسرعا ليسحب كرسيها للخلف فما كان باستطاعتها سوى أن وقفت ليخرجوا سويا

ابتسم ياسر لتنطوي ابتسامته على إحدى جانبيها وهو يحك ذراعاه بيداه بين أنفاس الشتاء الأخيرة وقطرات المطر التي ترحل بمنتصف مارس وأواخره ثم توقف ليلتفت إليها فوق الرصيف البارد ويستطلع ذلك الأنف الأحمر الرقيق والعينان الزرقاوية ذات المأساة التي يقع بها كلما حلق فيهما عشقا

انتبهت سارة لتلتفت بوجهها إليه وتشاهد نظراته إليها و ابتسامته الطويلة الثابتة بلا كلمات، ابتلعت ريقها بين تلك النظرات المتصلة لتشاهده يقترب إليها ويطرف بعينيه بين ابتسامته لتخرج كلماته الدافئة بين أبخره الهواء البارد في غيمة بيضاء

- لو بردانة أنا ممكن اديكي الجاكت..

- انت اللي بردان

- أنا عمري ما كنت حران وهموت م الدفء اد دلوقتي

اخفضت عيناها بخجل ليبتسم من جديد وتشاهده يجلس على الرصيف حاملا كوبا ورقيا من القهوة التي اشتراها قبل خروجهم من المقهى

ياسر وهو يحتمي من مشروبه بتجاهل لساره التي تقف خلفه

- على فكرة الجو مطرة ومش سهل تلاقي تاكسي

التفت ليرفع وجهه نحوها

- تعالي اقعدي يا أم دماغ ناشفة

طرفت بتردد لتبتلع ريقها فابتسم ليشير إليها برأسه أن تجلس بجواره

جلست سارة بجواره بهدوء ليرتشف من مشروبه ببطء بعينين معلقة إليها وقطرات المطر الصاخبة تنزلق فوقهم متبعثرة بداخل الكوب الورقي لتمتزج بالقهوة

- متهيألي مفيش ف الدنيا كلها اتنين مجانين قاعدين يستحموا تحت المطر غيرنا

- انا بحب المطر

- والمطر ميعرفش يعمل حاجة غير انه يحبك

اختفت ابتسامتها وهي تنظر إلى عيناه لتخفض عيناها عنه فأكمل ياسر بهمس

- والورد بيحبك.. وكل حاجة حلوة ف الدنيا كلها لازم تحبك

رفعت وجهها إليه بنظرات حادة ونهضت بحده وغضب

انزلقت عن جانبه ثم سارت باتجاه الشارع بلا توقف، تجاوزت سارة ياسر وتجاوزت محاولاته لردعها.. تجاوزت يدها يده بعنف وهي تمر بجانبه كما تجاوزت نداءه وغضبه وضجيجه لتنسحب تماما وهي تشير إلى إحدى سيارات الأجرة وتدخل إليها في برود تام لتنطلق.. لتبتعد تاركة ياسر في كامل صدمته وضجيجه وذنوبه.. لتهرب.. لتنجو ببساطة.

في تلك الأثناء:

جلس خلف النافذة يراقب القطرات العابرة وهي تتساقط بتتابع ورقة خلف الزجاج بغرفة الجلوس، طرف بعينه بين ذكراه وتلك الوجوه التي اختفت ليرفع يده ويفتح تلك السلسلة الذهبية بصدره ويتأمل الصورتان، صورة أب رحل وأم عشقت رحلة الرحيل بعده هي الأخرى، طرف بعينه في ضياع وهو يتأملهما ليعود بعينيه مراقبا البرق الذي انشق ف السماء فجأة وكأن لسعة كهربائية انفرجت في

ذلك البساط الأسود ليلا لتلمع عيناه برعب وهو يتذكر وجوه مشوشة وأحداث متفرقة.. يشاهد أرض زجاجية تلمع أسفل قدمه.. طيور مختلفة تملأ الأرض تردد عبارة غريبة.. قصر كبير من الرخام والمعادن النفيسة! بحرا؟

« مات سليمان »

عقد حاجباه بصدمة وهو يشعر بتلك القشعريرة تسري بجسده وتلك الصورة المشوشة لكائن لا يتبين منه سوى الإنحناءة والرأس الضخم وهو يهمس بأذنه بتلك العبارة..

ابتلع ريقه لتتسارع أنفاسه بعدم فهم لما يحدث وأغلق ذلك السلسال بهدوء ليستدير بعربته ويمضي مبتعدا عن المطر وذكراه وعبثه.

***

منزل سارة:

تذكرت سارة وجه ياسر الذي تغير عند سماعه تلك الكلمة التي أخبرته عن ترددها باستمرار بداخلها، تلك الكلمة التي لا تدري معناها ولم تسمع عنها من قبل ولكن ملامح ياسر التي امتقعت وكأنه رأى شيطانا جعلت سارة تعاود مئات المرات التفكير، بل وتمسك ذلك الحاسب الآلي بطموح وهي تضغط شريط البحث بحثا عن اسم « أوكتارياس»

لم تظهر الكثير من النتائج لذلك الاسم.. فقط بعض النتائج القصيرة جدا والقليلة، اختارت سارة إحداها لتقرأ تلك السطور القليلة ولكن ما أرعبها بالفعل تلك الكلمة التي تصدرت السطور كعنوان رئيسي للتعريف

(أوكتارياس « جزيرة الشيطان»)

كانت عيناها تدور بتلك الكلمات، اسم أوكتارياس الذي يجانبه اسم الشيطان، بعض أسماء لباحثين رحلوا نحو تلك الجزيرة ولم يعودوا! ثم اختفاءها الغير مبرر ثم محاولة البحث فيه لسنوات وسنوات، لا احد يعلم حقيقة تلك الجزيرة ولا احد يدري كيف ظهرت يوما وكيف اختفت!

وهلة انطلقت تلك العبارة تلقائيا من فمها، أطلقتها بنوع من التساءل والتعجب

لا أكثر..

سارة بصوت ينتابه التعجب: أوكتاريا..

لم تكمل سارة كلمتها حتى سمعت تلك الاهتزازات المتتابعة التي تشعرك أن هناك بركانا على وشك شق الأرض والخروج، التفتت سارة بتعجب لتجد مصدر تلك الاهتزازات، شاهدت تلك الخزانة المقابلة لسريرها تهتز بشكل مريب وحاد بينما تتساقط من شقوق أبوابها دماء في خطوط مستقيمة! اتسعت عينا سارة التي نهضت مبتعدة عن سريرها بفزع من ذلك المشهد الشيطاني السخيف وظلت تتراجع للخلف متسعة العينان بينما تعلو أصوات تلك الاهتزازات لتتوقف الخزانة عن الاهتزاز وتنفتح أبوابها فجأة

تساقطت دموع سارة بينما وضعت يدها فوق فمها تخنق تلك الصرخة التي كادت أن تخرج، ذلك المشهد لم يذكرها سوى بطفلتها.. طفلتها التي خرجت مختبئة من ذلك الصندوق الخشبي لتسيل دماءها وتعود في آخر يشيهه ولكنه أصغر حجما! طفلتها التي شاهدت موتها كما شاهدت خروجها الأول للحياة، طفلتها التي كان يسعدها أقل ما يمكن وترى بعينيها الوطن والحياة، إنها طفلتها.. تتجسد آلامها أمامها الآن..

أزاحت سارة يدها عن فمها وتمالكت بعض الجراءة وبعض الإيمان ثم توقفت ببعض التحدي لتطلق عبارتها بوهن وعتب على إيمانها الضئيل وإلحادها الظاهري، تمردت كثيرا على منطقيتها لا إراديا فناجت الله واستعانت به على الظلام والسموم!

- بسم الله الرحمن الرحيم.. وبه نستعين

لم تكمل سارة كلماتها إلا بذلك الكائن الضبابي ذو العينان الحمراوتان الذي يقف أمامها تماما وهي تشاهد يداه التي تضغط لسانها بداخل فمها، كانت تشاهده عن اقتراب.. تنظر بعينيه وترى تلك اليد المخيفة وهي تمتد بثقل داخل فمها بين نبضات قلبها التي كادت تنتزع وعدم قدرتها على المقاومة بكل الفزع الصاخب الذي يدوي هنا وهناك في ذلك القلب الضيق المراس، اختفى ذلك الكائن ولا زالت تشعر بيداه فوق لسانها ولازال فمها مفتوح عن آخره وكأنه لم يختفي وحينها فقط سقطت على

الأرض بجانب الباب وهي تشاهد تلك الخزانة العملاقة وهي تسقط على الأرض محدثة صوتا رهيبا.. صوت اسقط هيبة صمتها وجأشها!

دخل أباها برهبه ليفتح الباب بأنفاس متقطعة وبجدها تجلس بمحاذاة الباب في اللاوعي.. تجلس مفتوحة العينان وتحتضن ساقيها إلى صدرها بجنينية مبرحة الألم والحزن

اقترب منها برعب..

ناداها مرات عدة..

ولكنها لم تكن ترى ولم تعد تستمع.

الساعة الواحدة ظهرا

فيلا ياسر:

جلس على الأريكة المقابلة لمالك الذي يشاهد فيلما أميركيا وكأنه يشاهد ماتش كرة قدم. هنا يسب البطل الغبي الذي لا ينتبه للقاتل رغم كل المؤشرات التي تشير إليه بأن سفاح أخرق يقف خلفه تماما، وهنا يتأسف حالا على تلك الشقراء التي تركب سيارة ما مع غريب بقلب ناصع البياض لا يضع ذرة شك في أن يكون قاتل مختل مثلا!

أتت الاستراحة فأخفض مالك الصوت والتفت لياسر، منذ أكثر من ساعة وياسر يجلس على تلك الأريكة بين هاتفه يفكر تارة ويمسك به تارة أخرى وكأنه متردد في أمر ما!

ابتسم مالك على حالة ياسر المستلقي على الأريكة بخبث

- بقولك ايه يا يسور؟

التفت إليه ياسر بين عقله الشارد

- أصغر عيل من عيالك عشان أبقى يسور ياض! يا نعم؟

- هوانت كنت خارج مع صاحبك امبارح صح؟

- ابوة ليه..

- هو صاحبك دة شعره طويل؟

- ايه شعره طويل وشعره قصير! انت اهبل يله وانت مالك بشعره هتطلب ايده!

ضحك مالك بخبث وهو يخرج من يده بكلة شعر صغيرة ويلوح بها أمام ياسر

- ماهو يا إما انت سارقها من طفلة وساعتها يبقى سلوك عجيب ميطمنش.. يا إما صاحبك عيل لامؤاخذة وبيحط توك في شعره

ثم نظر إليه مبتسما ليحرك حاجبية باستفزاز، شعر ياسر بالحرج ليقوم ويسحب تلك البكلة من يده بسرعه وعاد لجلسته

- انت ياجزمة بتلعب ف حاجاتي!

- ليه هو انت كنت بتلبسها.. تبقى حاجاتك منين؟!

- عادي يعني وقعت من واحدة وعجبتني

- وقعت م المزة ما تقول كدة وخلصنا بقالك ساعة قارفنا عمال تبص ف أم الموبايل ما تكلمها وتخلص!

- تصدق هرزعه ف عينك وحواجبك اللي عمال ترقصهالي دي

مالك وهو يحرك حاجبيه باستفزاز من جديد

- ولا تقدر دة انا حبيبك.. بس كلمها ومتترددش بلاش العبط بتاعك دة مادام عايز تكلمها اضغط على طول

- تفتكر مش هتضايق؟

- والله يا يسور يعتمد لو البت انت عاجبها ولا مش طايقاك وفي كلتا الحالتين لما تكلمها هتعرف

- يا ابني إحنا اصحاب أو أقل كمان دي عندها الحوار اللي حكتلك شوية عنه وانا بساعدها مش أكتر ولا أقل يعني..

- اممممممم ومالو ميضرش بردك.. بس كلمها وريح نفسك وريحني

مش بقى خد تليفونك بتوكتك بكنبتك بارقامك وامشي عشان اسمع الفيلم

نهض ياسر ليدفع راس مالك قليلا بمزح ثم توجه للحديقة، ضغط رقم سارة المسجل لديه واخذ يستمع لجرس الرنين مرات عديدة دون استجابة، أعاد الطلب

مرة أخرى دون جدوى مما أصابه بالقلق الشديد، ظل يضغط زر الاتصال ويستمع للرنين مرة تلو الأخرى حتى وصله الخط الذي انفرج أخيرا بعد انتظار طويل ومحاولات مستمرة مستميتة ليزيح الستار الثقيل عن صدره

- كنتي فين خضتيني!

ولكن الصوت الذي وصله كان صوت ذكوري بحت

- ايوة يا فندم مين حضرتك؟

- احم.. هو دة مش تليفون مدام سارة جلال؟

- ايوة يافندم هو..انا والدها وهي مش هتقدر ترد على التليفون دلوقتي

- ليه هو حصلها حاجة.. خير؟

مش لما اعرف حضرتك مين الأول

- انا كنت جارهم قبل ما يرجعوا مصر.. وكنت خدت رقم مدام سارة عشان أطمن عليها بعد اللي حصل

- ايوة يا أبني معلش أسف انا بس مكنتش عارف انت مين، سارة تعبانه شوية ربنا يشفيها

- ممكن أجي ازوركم ياعمي.. انا بس عايز أطمن عليكم من فضلك؟

شعر الأب بالحرج لذلك لم يستطع رفض طلبه

- تشرفنا يااستاذ ياسر.. خد العنوان

استمع ياسر للعنوان الذي اخبره به عم جلال بدقة ثم أقبله بتحديد ميعاد للزيارة بالساعة السابعة مساء، أغلق ياسر السماعة وتدور برأسه الأفكار ويتخبط به القلق يمينا ويسارا، ماذا حدث لسارة! ماذا حدث للجميلة والى أي حد حطمتها الشياطين اللعينة! أخذته الذكرى ليتذكر بذلك العمق دقات قلبه التي أصبحت تتصاعد كالأبخرة وذلك الإحساس الغريب الذي اصبح يعتريه منذ لقاءهم الأول، تذكر نظرات عيناها التي أصبحت تشرق كل يوم أمام عينيه.. ملمس يدها ذو المفعول السحري الذي تحركت بلمسه عابرة معه منات المشاعر بداخله، كيف فعلتي ذلك يا سارة ببعض لحظات لا تتجاوز الأيام، كيف تسيرين داخلي وماذا

تفعلي إن كنت بالداخل من الأساس..

أوقظ ياسر من ذلك الشرود صوت مالك الذي توقف أمام الباب الزجاجي المطل للحديقة نادها إياه

- ياسر.. ياسر؟

التفت ياسر وتقدم إليه

- ايوة حبيبي عايز حاجة؟

- ما لك!؟ شكلك قلقان أو متضايق!

- لا مفيش متخدش ف بالك

- دة عليا أنا بردوا! أنا عايز اعرف انت مش عايز تقولي الموضوع ليه!

زفر ياسر ثم أعاد النظر لمالك

- مش مسألة مش عايز أقولك بس الموضوع كبير و أنا كمان بقيت غريب ومش فاهم نفسي.. وبعدين انت عرفت الملخص مش لازم التفاصيل اللي تقرفك

- انت البت عاجباك صح؟

- مش بالطريقة اللي فاهمها، أنا فعلا بساعدها ف موضوع بس منكرش إن في موقفين أو تلاته حسيت بعدها ناحيتها إحساس غريب.. مش عارف!

- طب ما تقلها؟

- اقولها ايه انت كمان.. يارتها حتى فاضيه اني اعرف اقولها.. المشكلة شكلها اكبر بكتير

شرد بعينيه ليكمل

- بقولك ايه انا لازم أروح انهاردة أطمن عليها انا عرفت إنها تعبانه

- هتروح لها بيتها! ايه الحلاوة دي

- يا ابني أبوها رد على التليفون وفهمته إني كنت جارهم لأنها كانت فترة برة مصر وإني قلقان وهكذا.. دة حوار كدة هبقى افهمهولك.. المهم ان أبوها موجود اكيد مش هطلع لها لوحدها

- وهلسبني الا يا عم خدني معاك انا مش قاعد ف أم دة بيت لوحدي وبعدين انت

وعدتي اننا هنشوف مكان تاني لحد ما نبيع الفيلا دي انا اللي حصلي هنا كفايه

ياسر وهو يجلس على ركبتيه ويبتسم بحنان

- ومين قالك اني هطلع لوحدي.. انت هتيجي معايا هاخدك ف العربية وهطلع خمس دقايق و انزل

- ماشي يا عم ان كان كدة ماشي

نظر ياسر للأرض ثم عاد بالنظر إليه بترقب

-مش ناوي تقولي ايه اللي حصل معاك؟

نظر إليه مالك بصدمة ليطرف باستطراد ثم عاد ليتحدث بهدوء

- انا مش فاكر..

اكمل بغصة: شوية حاجات بفتكرها وبتروح فمعنديش حاجة أحكيها

ابتسم ياسر بخفة لينهض ويقبل جبينه

- عموما متقلقش طول ما انا هنا مفيش حاجة وحشة تقدر تحصلك

ابتسم مالك لينظر لياسر بهدوء فزادت ابتسامة ياسر ليطرف بخفة ويمسك مقبضا العربة ليدفعه بهدوء ويسيران نحو الحديقة.

***

على نحو آخر

منزل سارة:

كانت سارة غارقة في نومها على ذلك السرير بغرفة أبيها بينما يتعالى صوت القرآن من إذاعة القرآن الكريم على الراديو الموضوع بالغرفة، جلس الأب بجوارها ليمسح أسها بحنان وحزن للحظات ثم خرج نحو ذلك الرجل الجالس بمنتصف غرفة جلوس قديمة الطراز ويحتسي قهوته ببرود

جلس الأب على الكرسي المقابل للرجل ثم أخرج منديلا يمسح دمعه بائسة سقطت سهوا

- بنتي حصلها ايه مش عارف، انا تعبت و انا شايفها بتوصل للحالة دي يا دكتور سمير، مفيش حاجة أصعب على الأب أكتر من إنه يشوف ولاده بينتهوا ادامه و انا

بشوف بنتي كل يوم بيتكسر منها حتة وقاعد اتفرج، مش المفروض انا اللي اشوفها
بتروح يا دكتور سمير المفروض هي اللي تشوفني مش انا!
وضع ذلك الرجل فنجان القهوة والتفت لعم جلال بثقة ليعرك طرف نظارته
الطبية بثبات
- متقلقش ياحج جلال.. بنتك عدت بأيام صعبه والإنسان ليه قدر معين من
التحمل كويس اوي إنها لحد دلوقتي متماسكة
ربت على ركبة عم جلال مطمئنا إياه
- متقلقش كل حاجة هتبقى بخير، بنتك زي بنتي و انت عارف معزتك عندي اد ايه
انت صاحب عمري يا جلال.. أطمن
حرك عم جلال رأسه بحزن متفهما موقف صديقه ثم عاد ليمسح دموعه بصدر
لتتعرج تلك الآثار العمرية عن جوانب عيناه الكهلة التي ازدادت كهوله الماعلي
ابنته الحبيبة.

***

توقفت السيارة أمام منزل سارة ليترجل ياسر حاملا بعض الورود والشيكولاته
ياسروهويحدث مالك
- مش هتأخر
- بقولك ايه خد وقتك أنا كدة كدة هخلي عم محمد يمشي بالعربية شوية ع الأقل
أشوف الدنيا
- ماشي خليه يلففك شوبه و أنا هكلمكم لما اخلص
- ماشي و أبقى طمني
أومأ ياسربرأسه اتفاقا وأغلق باب السيارة ثم اتجه نحو المنزل
ضج جرس المنزل بمرونة غنائية متدرجة ليفتح عم جلال ويلتقي بضيفه للمرة
الأولى
- انت أستاذ ياسر؟
ابتسم ياسربحرج

- ابوة يا فندم

- اتفضل يا ابني

دخل ياسر ليتفاجأ بذلك الرجل الذي يجلس على الأريكة، من النظرة الأولى أدرك ياسر وظيفه هذا الرجل فياسر الذي يمتلك حاسة قوية اتجاه الأطباء يستطيع التعرف على أحدهم من خلال الآلاف بحاسته في المقدمة وخبرته في المنزلة الثانية! جلس ياسر وهو على وشك فهم السيناريو.. صوت القرآن الذي يتعالى من الداخل واختفاء سارة والحزن الذي يعتري وجه والدها وطبيب ما يرتدي النظارات يجلس على الأريكة في صمت كل ذلك ينبئ بحدث قوي عن وضع سارة الذي سيؤول إلى الانهيار العصبي قريبا، نظر ياسر الى عم جلال كاسرا حاجز الصمت

- ايه اللي حصل يا عَمي؟

- شوية تعب يا ابني ودكتور سمير قام بالواجب، انا هقوم أجبلك حاجة تشربها

- بعد إذنك يا عمو يا ريت كباية ميه مش أكتر من كدة

أومأ عم جلال برأسه موافقا في حزن وانكسار وانصرف، توجه ياسر نحو الطبيب بالحديث

- وحضرتك دكتور ف ايه؟

نظر إليه دكتور سمير خلف عويناته السميكة نظره ثاقبة

- دكتور نفسي..

اتى الرد الى ياسر كما توقعه تماما فنظر الى الدكتور سمير مقتضب العينان

- اممم

صمت قليلا ثم نهض متوجها حيث دخل العم جلال

- عن إذنك يا دكتر لحظة

اتجه نحو عم جلال الذي تفاجأ بدخوله

- عم جلال عايز أكلم حضرتك ف حاجة بخصوص مدام سارة..

- ايه يا ابني!

ياسر بحاجبين منعقدان

- أولا أنا مش جارهم ولا كنت اعرفها قبل كام يوم يتعدوا

- اومال انت مين يا ابني وتعرف سارة منين!

- هفهمك كل حاجة بس أولا لازم حضرتك تفهم ان الدكتور اللي برة مالوش اي لازمة وان سارة ف مشكلة أكبر

نظر إليه عم جلال بقلق من حديثه ولكنه صمت ليستمع للحديث الذي يخبره به ياسر ثم أشار إليه بالرجوع لغرفة الجلوس فاتبعه ياسر ليجلسوا بمحاذاة دكتور سمير، أردف عم جلال نحو الطبيب قائلا

- دكتور سمير انت شخصت حالة بنتي وقولت إنها مريضة ومحتاجة علاج وان هي اللي وقعت الدولاب ف نوبة مرضية

- ايوة يا حج جلال في مشكلة؟

قاطعه ياسر بحاجبين منعقدان

- أيوة يا دكتور سمير في، لأن سارة لا هي مريضة نفسيا ولا محتاجة أدوية..سارة بتتعرض لشيء فوق الطبيعة أدوية حضرتك مش هتقدر تقدم لها ولا تأخر

نظر له دكتور سمير باستهزاء

- فوق الطبيعة! عفاريت يعني يا باشمهندس؟ إلا صحيح هو حضرتك بتشتغل ايه؟

أكمل ياسر ساخرا هو الآخر

- شحات.. بشتغل شحات مالكش فيه

التفت الطبيب نحو عم جلال بغضب

- حج جلال لو انت هتصدق الكلام الجاهل دة يبقى أفضلي أمشي

نظر العم جلال لياسر ثم لدكتور سمير في حيرة فعاد ياسر للحديث متجاهلا الطبيب

- عم جلال حضرتك بتقول إن الدولاب وقع في أودتها صح؟

أوما العم جلال برأسه موافقا بوهن، استدار ياسر للدكتور سمير بتحدي

- قوم معايا يافندم نشوف الأودة ونتكلم

نهضوا ثلاثتهم الى غرفة سارة ثم تقدم ياسر نحو الخزانة الساقطة وابتسم باستهزاء

- ايه الفوق طبيعي يا باشمهندس في اللي هنا عشان حضرتك تندهنا بقلب جامد..
يكونش في عفريت مستخبي جوا الدولاب ولا حاجة؟
- تقدر حضرتك تقولي الدولاب دة وقع ازاي؟
- أستاذ ياسر المريض النفسي ممكن يشوف أي حاجة ويتصورها حقيقه.. ممكن يشوف حد ميت ويصحيه.. يشوف حيوانات بتمشي ع السقف يشوف جن أزرق طالعله م الدولاب. و أثناء انفعال المريض ممكن يكسر حاجة.. يشد حاجة حتى ممكن يحرق حاجة.. انا بقالي أربعين سنه ف الشغله دي وشفت العجب.. الوهم يعمل اكتر من كدة
- عم جلال هي سارة وزنها كام؟
- يعني في الأربعينات طول عمرها ضعيفه يجيلها ٤٥
- وطولها؟
- يجي ١٥٤ كدة
نظر ياسر باستهزاء للدكتور
- يبقى على كدة الوهم بتاع حضرتك هو اللي وقع الدولاب.. مهو بردوا مش من المعقول والمنطقي ان واحدة بضعفها ووزنها تقدر توقع دولاب عايز عشر رجالة عشان بس يزحزحوه من مكانه! الا بقى لو كانت زينه مرات هركليز!
لم يستطع الدكتور سمير التعليق على كلمات ياسر الأخيرة ولكنه عقد حاجبية وتوجه لعم جلال بغضب
- مادام كدة يا حج جلال فأنا مليش مكان هنا لما تبقى حضرتك تحتاجلي وتقتنع ان كلام الأخ دة كله كذب انت عارف مكاني
انصرف الدكتور سمير بعصبية شديدة دون أن ينتظر كلمة من عم جلال الذي توقف بملامح الحزن التي تنساب على وجهه حائرا بين ما هو صحيح وما هو غير ذلك عن مصير ابنته الوحيدة مسترجعا بعض الذكريات.. ذلك الكرسي الذي اصطدم بالعائط من تلقاء نفسه عندما قرأ تلك الآيات القرآنية.. تلك البرودة التي تنتابه كلما دخل غرفتها.. تلك القشعريرة التي أصبحت تنساب به منذ عودة

ابنته.. شيئا ما يخبره أن ما يقوله ياسر يحتوي ولو جزء قليل من الصحة
وضع ياسر يده على كتف عم جلال بتفهم لوضعه وحزنه
- عم جلال.. متقلقش أنا كمان يهمني مصلحتها زي حضرتك بالظبط
- أنا شايفها بتروح مني و أنا لوحدي.. لا ليها أخ ولا لينا قرايب حتى أهل أمها الله يرحمها مسافرين من زمان وأهل جوزها من وقت موت أبنهم وهما هجوا وسابوا البلد، و أنا راجل كبير متحملش أشوف بنتي كدة
أخرج عم جلال منديلا يمسح دموعه
حزن ياسر لمشاهدته عم جلال الرجل الطيب بذلك الوضع، ذلك الرجل يمثل الأب المصري بكل أوضاعه.. الأب البسيط بدون تكلف أورطوشات تعديلية حسب الزمن
- مش قولتلك يا عم جلال متقلقش و إني معاك.. مدام سارة إنسانه محترمة وانا متأكد إنها مرحلة وهتعدي.. مين عارف يمكن كل دة عشان تتعلم حاجة أوعشان ترجع لربنا.. واضح على حضرتك انك مؤمن وعارف ان دايما الابتلاء وراه خير
نظر عم جلال لياسر بألم وكأنه يفهم ما يقصده، يعلم عم جلال أن سارة منذ رجوعها من ذلك الحادث عادت بأفكار غريبة و إيمان منتزع، كان يدعوا الله دوما أن يرشدها للطريق السليم.. أن تعود دربها الحق وتلتحق بذلك الضوء الأخير من الإيمان
وما أقسى من دروس الحياة أكثر من الابتلاء! فالابتلاء في الدنيا طريقا قد يفتح إليك أضواء المعرفة وأضواء الإيمان، تمنى عم جلال أن يكون ما يحدث ابتلاء زائل.. وان تكون ابنته بتلك القوة لتجابه ابتلاء كهذا!!

***

ظلت سارة فاقدة للتفاعل الحي طيلة أربعة أيام، تشرب تلك المياه التي يضعها أبوها في كاس بجانبها وبعض اللقيمات عنوة دون أن تتحدث، طيلة أربعة أيام متواصلة لم يتغير شيء ولم يأتي زوار سوى ياسر الذي استمر بالسؤال عنها ودعاء عم جلال الله أن يراف بحال ابنته الوحيدة، أيام قاسية.. افتقد بها عم جلال روحه و افتقد بها ياسر قلبه.

حضر أبريل معلنا عن صيف حافل بالمشاعر، تلك العفوية الجريئة التي يتسم بها شهر أبريل لا تجدها في أي شهر اخر، يمتلك أبريل اختلاط الشهور الاثنا عشر معا، تدخل أبريل محملا مشاعر الشتاء الكئيبة فتتفتح زهورك وينساب التجمد عنها.. تتعلم الكذب وكيفية إبطاله معا.. الحب ورحيله وقواعد العشق وكتابته إن أحببت، أبريل مميز جدا.. مميز حتى في أحداثه.. وحتى في كوارثه!

اليوم الخامس:

٢٠١٦/٤/٢

دخل ياسر محييا إياه عم جلال الذي فتح له الباب بابتسامة لم يراها ياسر منذ لقائهم، ابتسم ياسر لتلك الابتسامة الأبوية العفوية.. أدرك أن اليوم افضل لسبب ما لعم جلال.. وما هو السبب الذي يجعل عم جلال يبتسم من جديد إن لم تكن سارة مثلا!

جلس ياسر على أريكة ما ليفاجأ بسارة التي خرجت بوجه شمسي يشرق على رؤى عيناه العطشة، اقتربت تضم تلك الخصلات المترفرفة على كتفها خلف أذنها بحرج بين ابتسامة مرهقة، امتدت يداها ليقف ياسر ويصافحها بابتسامة شوق ثم جلسوا

- حمدالله على السلامة

سارة بخجل وصوت لم يغب عنه التعب

- الله يسلمك، أنا أسفه تعبتكم معايا اليومين دول

- اللي هما مين.. عم جلال اللي مبيحبش ف الدنيا ادك ولا انا اللي مبحترمش ف الدنيا زيك؟

- تسلم

ياسر لعم جلال

- أنا بس جيت أطمن عليها يا عمو وانا موجود ف اي وقت وان شاء الله كل حاجة هتتحل.. يلا أنا هقوم بقى عشان ترتاحوا سلام عليكم

-لا يا ابني استنى ع الأقل تشرب كوباية شاي انت تعبان معانا م الأول..

نهض ياسر بابتسامة وربت على كتف العم جلال

- معلش يا عم جلال مرة تانيه حاولوا ترتاحوا وان شاء الله المرة الجاية بيقى ليكم مهم نتكلم فيه

- ماشي يا ابني شرفتنا.. ربنا يجازيك كل خير على وقفتك جنبنا أنا وبنتي

- شكرًا يا ياسر

ياسر وهو يتجه للباب مبتسما لها

- على ايه بس.. مع السلامة

أكمل: على فكرة مالك بيقولك حمدالله ع السلامة..

- الله يسلمه.. قوله إني بسلم عليه اوي

خرج ياسر ليصافحه عم جلال ثم أغلق الباب خلفه

نظر الأب إلى سارة بشوق ليحيط وجهها بكفه الحنون

- وحشتيني اوي يا حبيبتي

- وانت كمان يا حبيبي.. أنا أسفه يا بابا إني محملاك حملي.. طول عمرك شايلني وتعبان..مش عارفه اقدملك أي حاجة غير التعب والوجع، حتى لما اتجوزت وفكرت اني هريحك وهزيح حملك حصل العكس.. انا أسفه اوي

سقطت دموعها مع تلك الكلمات فاقترب منها والدها ليحتضنها بحنان

- انتي تزودي حملي؟! دة انتي يا بنتي الحاجة الوحيدة اللي مخلياني أعيش.. أول ماجيتي للدنيا كنت في ظروف صعبه اوي.. لما جيتي حسّيت ان هموم الدنيا كلها بقت حبة تراب طاير.. انتي اديتيني احلى إحساس ف الدنيا.. أوعي تفكري ان الأمومة بس احلى احساس ف الدنيا لا.. الأبوة.. اني ابقى مسؤول عن مخلوق صغير اكبره واشوفه بقى بنت زي القمر الكل بيحلف بتربيتها رغم إنها اتربت من غير أم تنصحها وتفهمها قدرت تستوعب نفسها،عارفه كان اكتر حاجة بتخوفني ايه؟ اني معرفش اعوضك.. اني يجي يوم تقوليلي فيه يا بابا انت مكنتش كفايه، كل حاجة ف دنيتي يا بنتي كانت انتي.. انتي وبس

حملت رأسها المستلقاة على صدر اباها بابتسامة حب تتلألأ مع دموعها بعينيها

- انا بحبك اوي يا بابا.. ربنا يخليك ليا

مسح عم جلال على شعرها بحنان

- ربنا يبارك فيكي يا بنتي ويعوض عليكي بخيره ونعمه ربك رحمن رحيم مبينساش حد ولا بيظلم حد.. مهما كان اللي بتمري بيه فانتي أده لا يكلف الله نفسا الا وسعها..

بس خليكي معاه يابنتي خليكي معاه عشان خاطري

رفعت سارة رأسها بتفهم وأومأت مو افقه لكلمات أبيها

- متقلقش.. متقلقش يا حبيبي

• • •

الفصل الرابع
(التي ظهرت واختفت)

دخل ياسر غرفة الجلوس نحو مالك الذي يجلس مبتسما حاملا تيشرتات مالك
وهو يزفر بملل، توجه نحو مالك ليشير إليه بالتيشرتات
- ها ياخويا حلوين دول نفي حاجة منهم وخلصنا مكانتش أم خروجة وبعدين انت
أصلا بتبقى جوا العربية مش فاهمك!
ضحك مالك باستفزاز لتقتضب ملامح ياسر بغضب
- امم.. ألوانهم مش بطاله بس ذوقك تري تري بينه بصراحة أدهشتني!
- استغفر الله العظيم يا رب، والله العظيم هرميهم ف وشك وامشي أنا مش ناقصك.
- استغفر الله العظيم يا رب، والله العظيم هرميهم ف وشك وامشي أنا مش ناقصك.
عايز اروح البس حاجة أنا و اقف من غير تيشرت وهيجيلي برد بسبب اهلك!
- حد قالك تستحمى وتقفلنا زي جون سينا ما تسترنفسك الأول..
- مش انت اللي ندهتني يا بني آدم وقعدت تصوت وجيت لقيتك بتستعبط وقعدت
تتشرط عليا اطلع اجيبلك هدومك!
لم يكمل ياسر كلامه حتى وجد سليم يتقدم ليخبره بتردد
- أستاذ ياسر في آنسه برة جاية لحضرتك اسمها سارة
صعق ياسر من الاسم، ولكن مالك الجالس مبتسما سارع بالحديث قبل أن ينطق
ياسر
- دخلها بسرعة يا ابني لسه هتتكلم!
انصرف سليم مسرعا بينما وقف ياسر بغضب وعدم إدراك واستيعاب لمالك الذي
أخبر سليم أن يقوم بإدخالها دون أن يسمح لياسر بالكلام، تذكر ياسر انه يقف
بلا النصف الأعلى من ملابسه وشعره المبلل المبعثر بشكل مضحك لتتوسع عيناه
بصدمه وحرج

- الله يخربيتك.. انا ناسي انا و اقف ازاي!

ضحك مالك بشدة على ياسر الذي فوجئ بمشاهدته سارة التي على وشك الدخول فأمسك بإحدى تيشرتات مالك وارتداها رغم ضيقها وقصرها الواضح! ظل مالك يضحك بسعادة استفزازا لياسر الو اقف بلا حول ولا قوة حتى دخلت سارة بخجل

- اهلا ازيك.. المعاد مناسب صح؟

ابتسمت سارة برقة لمالك وتقدمت قليلا ثم أردفت

- اه.. المهم اننا هنوصل لحاجة بأذن الله.. ازيك يا ياسر مالك هو فيه حاجة!

اقترب ياسر من وجه (مالك) الذي يكتم ضحكته ونظر له بذهول ثم نظر إلى سارة مستطردا علامات الغضب الظاهرة عليه بتساؤل عما يجري مما أثار تعجب سارة ذاتها

- معاد ايه ونوصل ايه أنا مش فاهم حاجة!

- مش انت قولت لمالك يكلمني عشان في حاجات مهمة انت وصلتلها! مالك كلمني وقالي أجي ضروري فجيت!

نظر ياسر بغيظ لمالك بعد أن أدرك ذلك المقلب الساخن الذي فعله به ليتوعده، شاهد ياسر تلك الضحكة الخبيثة على وجه مالك فزاد استفزازه بينما شعرت سارة بالحرج

- انا أسفه.. شكلي جيت غلط!

- لا انا مقصدتش يا سارة.. تعالي اتفضلي

- لا عادي يا ياسر انا ممكن امشي وأشوفك برة ان شاء الله أصلا انا مكنتش حابة

أجي هنا بس مالك قالي إن في حاجات مهمة مينفعش تتأجل..

نظر ياسر بتوعد لمالك مرة أخرى ثم اتجه نحو سارة

- لا والله ما هتمشي.. اقعدي بس وانا مطلع حبيبي اخويا الجميل أبن الأومره واجيلك

رفع مالك حاجبيه ببلاهة واستفزاز كعادته

- لا انا عايز اقعد هنا معاكم، اطلع انت غير التيشرت بتاعي وبطل شحاته بذمتك

مش صغير عليك!

نظرت سارة الى التيشرت الذي يرتديه ياسر وضحكت من كلمات مالك لا إراديا

- أسفه والله.. بس كلامه يضحك

نظر إليه ياسر للمرة الثالثة مضيقا عيناه بتوعد شديد لم يقابله مالك سوى بالضحك ثم أعاد النظر إلى سارة التي احمرت وجنتاها من الضحك الشديد فابتسم تلقائيا مما جعلها تسقط عيناها بخجل

- عارفة مش هينقذه مني إلا ضحكتك دي.. لو مكنتش شوفتها بالجمال دة صدقيني مكانش يومه هيعدي بخير

- عشان تعرفوا قيمتي بس

خجلت سارة من كلمات ياسر وردة فعل مالك، فاستطرد ياسر

- انا هطلع البس حاجة تانية بسرعة و انزل سيبك م الواد دة مزعج ها

ابتسمت سارة بتفهم، فسار ياسر نحو الدرج المؤدي لغرفته وهو يشير لمالك برأسه بأن يلتزم الأدب

ابتسم مالك ثم توجه إلى سارة بذلك الكرسي المتحرك بعد أن اختفى ياسر عن ناظره

- منورة

- بنورك.. انت شكلك طيب اوي على فكرة

- قوليله.. دة مش عارف قيمتي، ألف سلامة عليكي انا عرفت انك كنتي تعبانه؟

- يعني.. الله يسلمك تسلم

- عارفة.. ياسر مكانش مظبوط الأيام اللي فاتت كان دايما سرحان.. شكله قلقان عليكي

خجلت سارة فارجعت تلك الخصلة خلف أذنها وأسقطت عيناها للأسفل

ابتسم مالك الذي أدرك انه أخجلها، شعر بيد تمتد إلى كتفه فاستدار ليجد ياسر يرص على أسنانه

- اهلا بالحلو منور

- بنورك اسئلي ما اجز معاك انت صف سنانك اللي ادام و انا اللي ورا

جلس ياسر مقابلا لسارة ثم نظر نحو مالك

- و انت هتنورنا في اللي هتقوله؟ هتخاف من الكلام

- لا انا هقعد قريب منكم اقرا كتاب.. هطلع للجنينة شوية واسيبكم تتناقشوا ف

افلام الرعب دي

- ماشي يا حلو يا مثقف

ضحك مالك و اتجه بذلك الكرسي نحو الحديقة حاملا كتابا ما، تتبعت سارة

خروج مالك ببعض التعجب فابتسم ياسر وهو يدرك ما يجول بخاطرها

- هو بيحب يقرا؟!

- ياه دة بيقرا كتير جدا، ميغركيش انه اهبل وبهزر وبيعمل مقالب.. نسبه ذكاءه

مرتفع جدا، انا أكبر منه ب كتير بس كنت طفل عادي بالنسباله ولما هو شرف بدأ

يبان الفرق بيني وبينه.. كان عبقري بكل معنى الكلمة.. حاجة كدة بالور اثة اللي

موصلتنيش خالص!

- دة بجد!

- اه والله

ابتسمت سارة فأكمل ياسر

- بالنسبة للموضوع بتاعنا هبتدي اشرحلك واحدة واحدة

نظرت إليه سارة باهتمام وأومأت رأسها

- تتذكري لما قولتلهالي انك سمعتي كلمة أوكتارياس بتتردد في دماغك اكتر من مرة

بشكل غريب ووقتها قولتلهالي اني اتخضيت كأنك قولتي كارثة؟

أومأت سارة برأسها

- ايوة طبعا فاكرة

- الاسم دة فاجاني لأنه ليه قصه مع عيلتي.. القصة دي يمكن معرفش عنها

الكتيرغير مجرد استنتاجات

- انا بحثت عن الاسم بس مالقتش غير معلومات قليله اوي زي ما يكون الموضوع

مش مشهور أو مش معروف!

- بالظبط.. ودة اللي خلاني استغرب من كلامك وكمان باكدهولي

- تعرف ايه عن الموضوع؟

- الحكاية بتبتدي سنه ١٩٧١ وقتها طلعت بعثة لباحثين منهم عرب واتنين مصريين. واحد منهم كان جدي الله يرحمه لو كان مات! البعثة دي كانت رايحة تستكشف جزيرة بيقولوا إنها ظهرت فجأة ف يوم وليلة لقوها على المحيط بدون ما يعرفوا جت منين و اتكونت ازاي!

بس المشكلة ان الباحثين دول اختفوا ومحدش عرف ايه حصلهم، حاولوا يدوروا عليهم ملقهومش اعتقدوا انهم غرقوا ف المحيط.. وكان صعب عليهم انهم يبعتوا بعثة تانية تستكشف المكان لإن الكل كان خايف من الجزيرة دة غير الإشاعات اللي كانت بتطلع عليها وادعاءات بعض المستكشفين وبعض المؤرخين إنها جزيرة من قديم الأزل وأنها جزيرة غير بشرية! وبالمرة بقى ان الجزيرة كمان اختفت بعد البعثة ب أربع شهور بس ومحدش فهم ازاي ظهرت وليه اختفت!

بعدها ب ٢٨ سنه.. سنه ١٩٩٩ تاريخ عمري ما هنساه.. والدي كان عبقري.. درس ف ألمانيا بمنحة وكان من ضمن فرقة باحثين جيولوجيون شباب اختاروهم لاستكشاف الجزيرة اللي ظهرت من جديد وكان مطلوب منهم يستكشفوا التربة وتكوينها وهل في أي مظاهر بشرية تثبت إن الجزيرة دي كانت ف يوم مسكونة بالبشر، يومها أبويا دخل علينا فرحان.. قال انهم اختاروه عشان رحلة بحث في الجزيرة اللي جدي راحها.. أبويا كان راجل ذكي وطموحه خلاه يفكر انه يقدر يعمل اللي معملهوش جدي.. الواد مالك وارث منهم اظاهر أنا بس اللي غيرهم! ما علينا.. كان عددهم ف رحلة بحث ٨ أشخاص واختفوا اربع أيام بس رجعوا من اصل ٨ افراد.. لثلاثة! الغريب إن محدش فهم قال ايه اللي حصل للباقي ولا حتى قدر يعرف تكوين الجزيرة ولا اي معلومات عنها.. وابويا اللي راح مش هو اللي رجع، وقتها كنت لعيت ١٣ سنه.. ومالك كان يادوب ميقالوش شهور، بدأت تحصل مشاكل غريبة.. لدرجة إنه بابا بدا يضرب امي بعد ما كانوا عايشين أجمل حياة وفجأة حصل

انفصال جوا البيت، بقوا متجوزين بالإسم وف الحقيقة هما ميعرفوش عن بعض أي حاجة، ماما طول الوقت برة وبابا طول الوقت ف مكتبه ولو حصل أي احتكاك بينهم فبيكون ف خناقة مش اكتر، شوية بشوية وبدأنا نتاقلم مع العذاب دة.. كبرت.. بقيت شحط مراهق،كنت بلف من هنا لهنا.. مسبتش فرصة متمتعتش بيها سبت ابويا وامي والدنيا.. زي ما تقولي اتعقدت كدة وما فوقتش واستوعبت الا لما خدت الضربة على دماغي

صمت ياسر قليلا وكأنه يسترجع ألما ما فسألت سارة بحذر

- ايه اللي حصل؟

- كنت مسافر شرم مع أصحابي.. رجعت لقيت مالك مبيتحركش! عرفت إن أمي وأبويا اتخانقوا كالعادة.. مالك كان بيخاف اوي بيخاف لدرجة متتصوريهاش.. والمرة دي لما خاف (ملاقنيش)..

أمي وأبويا مستمروش بعد كدة، اختفى هو ومش عارفين عنه حاجة بعد ما بعتلها ورقة طلاقها.. أما هي فاتجوزت ولا كاننا موجودين، وديته كل حتة ومفيش فايده، كل الدكاترة بيجمعوا انه سبب نفسي مالوش أي علاقة باعضاءه! حاولت كتيييير مع الدكاترة.. مش عايز أقولك عملتله قرد! بس مفيش فايده

- هو بقاله اد ايه على كدة؟

- ٧ سنين وشهور.. عنده ١٧ سنة ونص هيتم في شهر خمسه الجاي سنه ١٨

وضعت سارة يدها فوق يده بابتسامة

- متقلقش.. ربنا هيعوض فيه خير، أنا متاكدة انه ف يوم هيعرف يرجع يقف وهيبقى بخير كمان

نظر إليها ياسر وعيناه تلمع حبا، ود ياسر أن يحتضنها.. أن يتشبث بتلك الطاقة التي لا تدركها هي! تلك الطاقة التي تركت قوانين الفيزياء واستقرت بعينيها، تشع سارة كل شيء.. ولا تحتفظ بما يشع منها نحو الآخرين لنفسها! أدركت سارة ما فعلته فرفعت يدها بين نظرات ياسر التي أربكتها، استطردت سارة

- ياترى ايه علاقة الجزيرة دي بكل اللي بيحصلي!

- دة اللي لازم نحاول نعرفه

- انت عارف يا ياسر اني بدأت أخاف..

- من ايه؟

- بدأت أخاف عليك وعلى مالك وبابا كمان.. انت نفسك قولت ان مالك اتعرض لحاجة بسببي

- كلنا معرضين يا سارة للخطر سواء بحكايتك أو من غيرها.. ومفيش حد بيتعط ف طريق حد اعتباطا.. صح ولا ايه؟

- عندك حق

طرف بتردد ليسقط عيناه ثم يرفعهما إليها مجددا بثبات

- في حاجة تانية عايزك تعرفها..

نظرت إليه سارة بترقب فأكمل

- كلمة « اطرق الباب» اللي انا و انتي شوفناها

عقدت حاجباها باهتمام فأكمل

- الباب الوحيد اللي اعرفه واللي ممكن يربط عالمين ببعض هو العقل..

طرف ليكمل: أو القلب

- يعني ايه؟

- يعني الكابوس اللي شوفتيه واللي انا شوفته مكانش الهدف منه انه يخوفنا.. كان الهدف منه يفهمنا ازاي نحل اللغز.. ازاي نشوف ونعرف الحقيقة

أكمل: الإنسان مخلوق ضعيف ف قدراته مقارنة مع المخلوقات التانية عشان كدة ربنا ميزه بميزة خاصة بيه وبيه هو بس

- العقل؟

ابتسم ياسر بخفة

- البصيرة..

البصيرة هي النقطة بين العقل والقلب.. هي الحاجة الوحيدة اللي الاتنين فيها لازم يكونوا في صف وخط واحد عشان نعرف نشوف بوضوح

- وانا طول عمري عقلي شغال

- يبقى القلب هو اللي محتاج يشتغل.. محتاج تبصي منه شوية وتدوري فيه

نظرت إليه بصدمة مطولا محاولة استيعاب كلماته لتخفض عيناها بتفكير للحظات ثم أعادت النظر إليه

- وليه انت كمان شوفت نفس اللي شوفته ونفس الجملة!

ياسر وهو يستند بظهره للخلف

- اعتقد مش انا المقصود بالكلام..

نظر إليها ثم أكمل

- الكلام موجه ليكي من خلالي مش اكتر

- اشمعنا انا وانت!

- اسئلة بحاول افهمها وكله بوقته متستعجليش.. خلينا نترعب شوية يا شيخة

ابتسمت سارة على مزح ياسر بالرغم من كل شيء لتطرف بعينيها فابتسم هو الآخر ليلتفت ويشاهد مالك الذي ينكب بكل جوارحه بداخل الكتاب المستقرين يديه بالحديقة، نظرت سارة نحو مالك من خلال الزجاج ثم ابتسمت

- انت عارف انه بيفكرني بمحمد جوزي..

نظر إليها ياسر بغيظ لتختفي ابتسامته

- ف ايه يعني مش فاهم!

- كان زيه بالظبط.. دمة خفيف عمري ما ضحكت اد ما كان محمد بيضحكني.. كأنه حي عشان يخليني اضحك.. وكأنه مات عشان ابطل ضحك!

- والله محدش بيبطل ضحك مهما كان مين اللي مات ولا مين اللي عاش، ولو كنتي انتي اللي لا قدر الله موتي مش بعيد كان زمانه بيفكرف واحدة تانيه غيرك دلوقتي

نظرت إليه سارة بضيق

- انت ازاي تقولي حاجة زي كدة!

- انا بقولك الحقيقة.. ممكن يكون جوزك كان احسن حد ف العالم مختلفناش بس إحنا بشر.. طول ما انتي عايشه ع الأموات لا في حياة هتتقبلك ولا في اشباح

وارواح هتسيبك، الموت دايما بيجي للي متشعلق بيه وانتي مش بس متشعلقه انتي عايشه عليه ومش واخدة بالك

حملت سارة حقيبتها بغضب ونهضت مسرعة للخروج، وقف ياسر يحاول منعها ولكنها أسرعت متجهة للخارج بينما هو يلاحقها، التفت مالك نحو سارة التي يبدو عليها الغضب وهي تسارع بالخروج ونظر إلى ياسر متعجبا بينما استطاع ياسر ان يمسك ذراعها بحده أمام البوابة الخارجية

- هودة اللي انتي شاطرة فيه طبعا.. الهروب

أكمل: ارجعي لسه مخلصناش كلامنا.. مش دة المهم اللي نتكلم فيه دلوقتي

التفتت سارة تنزع يد ياسر دون جدوى

- سيب دراعي لو سمحت انت فاكر نفسك فين

- لما أكلمك تحترميني زي ما بحترمك مش افعال العيال الصغيرة اللي بتعمليها دي

نظرت سارة إليه عن قرب بتحدي

- ايه اللي مرفزك كدة؟ عشان جبت سيرة محمد صح؟ وشك جاب ألوان كأني بكلمك عن عدوك.. انت في ف دماغك ايه بالظبط! اوعى تكون فاهم ان عشان بتساعدني هقدملك أي حاجة انا مش للأستغلال..

- دة اللي طلعتي بيه؟ عموما متشكر لحسن الظن الجميل وانا اسف اني أصلا اتكلمت ف أمور شخصيه.. اتفضلي زي ما تحبي

نزع ياسر يديه لترحل سارة مختفية عن ناظره بهدوء، لم ينتبه ياسر لتلك القطرة التي تساقطت من عينها لتسقط على يده سوى بعد أن رحلت، شعر ببعض الندم لما قاله ولكن الوقت قد فات كثيرا، دخل إلى غرفة الجلوس ليجد مالك يتقدم خلفه وينظر إليه في صمت، فنظر إليه ياسر بغضب

- نعم.. عايز أقولك في ايه؟ الهانم اتضايقت عشان بقولها تنسى جوزها وتفكرف نفسها، إيه يعني كفرت!

- لا أبدا.. بس اهدى عشان الشوجروحش عشانك سنان تفع قلب يقف كدة يعني

- مالك انا مش فايقلك انا طالع فوق عشان متعصبش عليك

نهض ياسر متجها نحو الدرج ليصعد بغضب بينما تابعه مالك باستفزاز

- غيران وهتموت م الغيرة.. والبت معذورة انت بتكلمها في إنسان عاش معاها وغشيم كمان

ما تهدى علينا يا وحش..

توقف ياسر قليلا ثم أكمل مسيرته للأعلى دون أن ينطق بكلمة

طرف مالك بعينيه ببعض الضيق مما حدث ثم زفر بعمق ليعود بعينيه إلى داخل الكتاب الذي كان يقرأ فيه منذ قليل

«سليمان عليه السلام»

***

مرت أيام اختفى فيها ياسر من حياة سارة، مرت كأيام ثقيله باردة لا هواء يعبرها ولا نسمات تمرها، لازالت تلك الكوابيس تزور سارة ولا زال ياسر في صمته شاردا أكثر من كل وقت حتى اهتمامه بمالك تحول للعدم، مرات عديدة تحدث مالك إلى سارة.. أسعدت سارة تلك المكالمات كثيرا، مالك ليس مجرد شاب صغير أوخذ منه أكثر مما أوعطى بل ترى سارة في مالك كل الأشياء التي تبحث عنها.. التي تجلد ذاتها لأنها لم تكن فيها يوما.. ذلك الحب..التحدي.. الأمل الذي ينبع من هالته أمر كبير حتى إلى سارة، تلك العلاقة التي تربطه هو وياسر كانت إحدى أحلام سارة التي لم تحظى يوما بأخ أو أخت أكبر تحتضنها أو صغيرا فتحتضنه (ويبقى)

غرق ياسر في البحث وغرقت سارة في التساؤل والتفكير وكلاهما غرق إلى أقصاه في الالاف القضايا والألغاز التي لا تناسب القصة والأحداث والتفسير، لا نتائج مرضية ولا حل جذري وكل ما جمعهم الاستمرار.. الاستمرار وعدم الاستسلام..

استمرار بحث واستمرار تفكير.. واستمرار عبث شيطاني.

***

توقفت تراقب المشهد الليلي الفسيح وأغصان الشجر اليابس المتفرع من بعيد بعينين لامعة، يتمايل شعرها بخصلاته البنية بين الرياح الخفيفة وتلك النسمات الباردة وهي تقف بكامل ضياعها أمام المنزل الكئيب الصامت الذي ماتت به كل

الحياة، طرفت بعينيها وهي تدخل من بوابته الحديدية مصدرة أزيزا قصير الأمد
وعيناها تتعلق بالمنزل الصغير ذو الطابقان..
(أطرق الباب)
كانت تتذكر كلمات ياسر عن تلك الجملة وتعيد التفكير مئات المرات فيما مرت به
خلال أيامهم الأخيرة بفوضى من المشاعر وتخبط بأكثرها، ابتلعت ريقها وهي تسير
بخطوات بطيئة وضائعه نحو المنزل برحابة صدر، حتى ياسر ومالك انتزعوا منها
ولم يبقى لها من الأحباب سوى والد عجوز مكلوم لا تستطيع إسعاده أو حتى أن
تربح قلبه الطيب المهلك!
ذرفت دمعة بين عينان لامعة لتتقدم إلى داخل الفيلا وتفتح الباب وتقف أمام
المشهد الظلامي وتتذكر ما مرت به..
فيلا محمد:
طرفت بعينيها لتضيء الضوء المجانب للباب وتدخل بثبات مغلقة الباب وهي تضع
حقيبتها جانبا لتقف بمنتصف غرفة الجلوس وهي تتجول بعينيها في ذكرى.. نظرت
إلى السقيفة وهي تتذكر ذلك الجسد الأسود وتلك القطرات الدموية..
لمعت عيناها أكثر لتنسدل إلى الجدران وتتذكر لونها الأسود ووميض الشمس
الأزرق..
انسحبت قليلا لتنظر إلى الأريكة، هنا قبع جسدها وسقط كوبها يوما لتشاهده عن
مقربة وكأنهما منفصلان لا يلتئما!
كانت الأرض تدور بها وكأنها تقف بمركز الأرض بين كره تعبث بالتوازن فتلتف حولها
بكونها وقمرها وشمسها..
أعجوبة كونية تسلطت فوق رأسها لتصيب ما تبقى فيها من جنون محتم..
طرفت بعينيها لتلتف بوجهها نحو ذلك الركن الجحيمي فامتلأت حدقتاها بالرعب
وهي تتذكر.. تتذكر ذلك الشيء وذلك الزائر المخيف الذي أصبحت توقن ماهيته
ولا تعلم غايته!
لا تعلم سارة لما أنت.. لا تعلم حقيقة لما فعلت..

وكأنها تنفرد بذاتها للشياطين استسلاما، وكأنها سئمت كل شيء وملت الانتظار للحل.. فردت ذراعيها و أتت بكامل قواها للبداية التي خرج منها الجحيم.. ذلك المنزل بعينه هو بداية القصة وربما يكون آخرها وينتهي كل شيء.

تعالت نغمات هاتفها النقال فاندفعت نحو حقيبتها لتخرجه ولكنه انغلق فاقدا الشحن فور خروجه من حقيبتها فعقدت حاجباها بتعجب لتبحث عن شاحنها بصعوبة، ولكن صوتا آخر بدأ بالخروج جعلها ترفع وجهها بتحفز واهتمام وبعض الخوف..

صوت الموسيقى الغريب.. موسيقى مريبة نغمية متقنة الصنع تملأ المكان من اللامكان.. لمعت عيناها رعبا وكأنها أدركت أن زائر قديم يود الحضور فأخرجت يداها بهدوء من حقيبتها وتوقفت عن البحث لتضع هاتفها جانبا فقط وتسير بخطوات ثابته نحو الركن ذاته.. كانت الموسيقى تملأ الأرجاء ولكن لا احد هنا، لا إنس ولا شيطان ولا بيانو أو آله موسيقية تعزف شيئا!

طرفت بهدوء وهي تشعر بشعرها الذي بدء بالتطاير وتلك القشعريرة تعبث بها من جديد فأغلقت عيناها بقوة الألم

- أنا مبقتش أخاف منك ابعد عنهم وبس

كانت تلك جملة سارة التي خرجت بكل القوة بلا مقدمات وكأنها تحادث شخصا ما، فتحت عيناها لتكمل بثبات

- أنا عارفة كويس انت ايه..

طرفت لتكمل

- ومش خايفة منك

هنا شعرت سارة بشيء مر على ذراعها وكأن إصبع ما مر بخفة فوقه ليصيبها بالقشعريرة فعقدت حاجباها لتلتفت وهنا وجدته.. شاهدت سارة (ياسر) وهو يتراقص أمامها بابتسامة صفراء مريبة وجسد مرن الحركة وهو ينظر لها بتحدي بين أجواء الموسيقى التي ارتفع صوتها فجأة واصبح اكثر ضجيجا، توسعت عيناها ليملأهما الخوف وهي تحاول كبح ارتعابها بينما يستمر ذلك الشيء بالرقص ببرود

تام والالتفاف حول ذاته لتزداد ابتسامته الخبيثة لا غير.. رفعت صوتها بتعدي

- أنا مبقتش أخاف منك

طرف بعينه دون إن يتوقف رقصه أو تغب ابتسامته لتشاهد سارة مجموعة من الغربان تحاوطه ليختفي خلفها عن ناظرها بينما تستمر الغربان بالالتفاف حول بعضها البعض وكأنها دوامات سوداء حتى تلاشت فجأة. ابتلعت ريقها بصدمة وذهول لتسمع تلك الصفقة التي أتت خلف أذنها فالتفتت برعب لتشاهده يترا قص خلفها بثبات بينما يخرج منه أثناء ترا قصه هالات عن يمينه ويساره ثم تتحول الهالات لأشخاص يشبهونه تماما.

فيجلس أحدهم على الصوفا هنا ويجلس الآخر على الدرج ويقف أحدهم هنا وينسدل أحدهم على الجدار ليتكرر ذلك بنسخ عديدة.. حتى امتلأ المنزل بهم في هدوء وصمت وثبات لا يتغير منهم.. هم فقط يرا قبوا.. يشاهدوا.. وهو يترا قص بعود بلا توقف بينما تتعالى نبضاتها وتتسع عيناها ويترا قص قلبها فزعا على شفا الموت.. فرد ذراعيه ليحرك أصابع يده اليسرى وكأنه يعزف نوته قصيرة ببطء رخيم ولازالت ابتسامته الخبيثة تنبض على شفتاه وعيناه تمتلئ بنظرة مفزعة لتصمت الموسيقى فجأة ويقف ناظرا إليها بثبات..

المشهد كالتالي..

سارة تقف بمنتصف غرفة الجلوس ناظرة مباشرة الى جسد ياسر الذي يقف على مسافة قليلة منها ناظرا إليها هو الآخر بينما بدأ الأشباه بالتلاشي في كل مكان حولها أمام ناظرها

نظر إليها ليميل رأسه مبتسما ثم أخذت أصابعه تتحرك مرة أخرى بطقطقة متقطعة وكأنه يعزف لتصبح أصوات طرقات موسيقية تناسب اللحن مع حركة أصابعة ثم قبض كف يده الأخرى لتصمت أصوات الموسيقى من جديد.

عاد بالنظر إليها بثبات لتتلاقى نظراتهم مع بعضهم البعض للحظات باردة

-عجبني حضورك، أتمنى يكون حضوري عجبك..

- إحنا مش اصحاب.. حضورك وعدمه واحد ومبيخوفنيش

اتسعت ابتسامته المفزعة ليقترب نحوها بخطوات مسموعة وهو يتحدث

- عشان كدة جيتي..

تعالت نبضاتها وهي تحاول كبح ذلك الفزع الذي يعتريها ليقف على مقربة منها وهو ينظر إليها مباشرة

- دي اكتر خطيئة حبيتها فيكم

اكمل: الكذب

انسدل عن جانبها ليتجه نحو الأريكة ويجلس فالتفتت لتنظر إليه ليكمل

- السحر العظيم.. الخيال.. الصفة اللي إحنا عرفناها منكم، اللي اتعلمناها واقتنعناكم بيها.. مجرى الدم بينا وبينكم

- انت عايز ايه!

- انا مش لسه هعوز.. انا ف طريقي للي عوزته

- يعني ايه؟

- إحنا صحاب.. دة اللي أنا عايزه

نظرت إليه بصدمة لتقترب بعدم استيعاب

- مين اللي خلانا اصحاب، ازاي انا و انت نكون صحاب!

نظر إليها ببرود

- أنا

- يعني ايه انت قررت نبقى صحاب.. انت مش اكتر من مخلوق زيي زيه

ما ان قالت سارة جملتها حتى شاهدته يقف أمامها مباشرة مفرغ العينان تشاهد خلال فجوتهما ما وراءهما! ارتعدت بفزع لينتفض جسدها بصدمة أمام بشاعة ما تشاهده لتسلمع الى نبرته الحادة

- انتي عمرك ما كنتي ولا هتبقي زيي..

اكمل

- أنا أولك.. وانا اخرك.. أنا الأول، أنا النهاية.. أنا البدء.. أنا الأكثر، أنا الأول، أنا

كان الشيء يقول عبارته بتردد وتكرار مفزع بلا توقف بينما تتطاير تلك الورقات البيضاء عن يمينه ويساره لتملأ الغرفة وكأن عاصفة ورقية تحدث هنا

انا الأول.. انا البدء

انا آخرك.. انا النهاية

أكتبي..

توقف عن الكلام ناظرا إليها بابتسامة باردة لتتوقف أفكار سارة عند تلك الكلمة بالتحديد

«أكتبي»

نظرت إليه بضياع

- أكتب!

عقدت حاجباها لتكمل

- بس انا كتابي بيقول انك مش موجود..

ابتسم باتساع لتتكون عينان بداخل التجويف مكانهما من جديد ليقترب نحو أذنها ببطء ويهمس بخبث

- الكذب يا عزيزتي..

تنحى عنها لتنظر إليه بفزع وتتساقط دموعها بضعف

- بحب النظرة دي على وشك..

أكمل

- نظرة الحقيقة اللي المفروض تكونوا عليها

ابتلعت ريقها لتعقد حاجباها بين عينان تلمعان بحده

- هستعين بكل العالم.. هلجأ للشيوخ والكهنة والقسسة وحتى السحرة.. هحكي للعالم كله عنك وعن اللي حصلي.. هدور في ألف قصة كنت فيها انت وعشيرتك وهلاقي..

أكملت بتحدي ودموعها تنذرف برشاقة

- انا مش خايفة منك.. وهخلي العالم كله يعرف ويفهم اللي بيحصل ف كواليس

الدنيا

ضحك ضحكة عالية باستهزاء انتفضت لها ليعود وينظر إليها

- انا مش موجود باسارة

أمال رأسه ببرود

- انتي مجنونة يا صديقة..

نظرت إليه بصدمة فاختفت ابتسامته لوجه حاد مفزع الملامح بينما قبضت يده

بقوة على يدها اليسرى لتصرخ بقوة من شدة الألم

- اكتفي..

تلاشى الشيء لتشعر سارة بيدها التي كان يقتنصها منذ قليل وهي تسقط بألم

وعلامات الحرق تستقر فوقها بتشوه لتسقط سارة جاثية على ركبتيها بضياع وهي

لازالت تنظر إلى موضعه بدرب من الجنون والتشتت..

كان جسدها ينتفض بشدة ولا شيء يأزرها، الصمت والهدوء حولها وذلك الصوت

يشقهما فجأة من هاتفها النقال الذي بدا وكأنه يعمل بلا مبرر!

رفعت وجهها بضياع تنظر بصدمة نحو هاتفها النقال الذي انطلقت منه تلك

الموسيقى بعينها..

الموسيقى بعينها..

الموسيقى التي رافصها الشيطان.. الموسيقى التي حضرتها الجان

طرفت بضياع واستسلام لتلتفت وهي تنهض عن الأرض وتشاهد الورقات البيضاء

المنتشرة على الأرض وذلك الكتاب بعينه..

كتابها الإلحادي الناقد المنوهج الكفر!

ضياع ضربها وخوف امتلأت به وهي تدرك نصف المسألة..

وصلت تلك الموسيقى وكأنها ذكرى في مكان ما من ذاكرتها وليست مجرد موسيقى

شيطانية عشقها شيطان جامح

طرفت سارة بعينها وهي تتذكر الموسيقى..

إنها موسيقى محمد المفضلة والتي احب عزفها دائما

«balmorhea –remembrance»

***

أمام كوستا كوفي - أميركن بلازا:

ترجل ياسر الجالس بجوار مالك من السيارة ثم أدخل رأسه من فتحة الباب ليحدث مالك

- ها عايز ايه قولي تاني كدة؟

- كافيه لاتيه

- من امتى ياض وانت بتشرب البتاع دة!

- ليه يا عم هو حشيش! ما بشرب ادامك على طول

ياسر وهو يرفع إحدى حاجبيه

- مشوفتكش يعني.. وبعدين اشمعنى عايزو من هنا بالذات!

- كنت جربته مرة وانا مع عم محمد ف العربية وعجبني وخليت سليم يعملي ف البيت بس معجبنيش.. بعيد عنك تحسه عامله بحواجبه ماهي الأشكال اللي جايبهالنا هتعمل ايه يعني

- ماشي يالا خليكوا بس قريب هنا

- ماشي يلا روح بس

نظر ياسر إلى مالك قليلا ببعض الريبة ثم انصرف نحو المقهى.

دخل ياسر المقهى متفقدا إياه بعينين ناقدة ثم تقدم ليستطلع قائمة الطلب، هنا وقعت عيناه باتجاه تلك الفتاة الرقيقة التي تجلس على طاولة ما تحتسي ذلك الكوب بين عيناها الشاردتان في عالم بعيد، ابتسم ياسر تلقائيا.. شعر بشيء ما يتحرك داخله وصعدت بعض النبضات تلو الأخرى تعلن السعادة والخوف معا، تقدم لا إراديا نحوها وتوقف أمامها لبضع دقائق دون أن تميزه، ذلك الشرود الذي تقع به عيناها لم يخلق حيزا لتميز وجود ياسر الواقف يتأملها جَهْرًا بشوق، أفاقت من ذلك الشرود فاستقرت عيناها بوجه ياسر فسقطت عيناها غضبا ليبتسم ياسر ويسحب ذلك الكرسي جالسا دون محاولة استئذانها وهو يضحك بعمق

- طبعا الحيوان الصغير بردوا هو اللي عاملها المرة دي

نظرت إليه سارة بغضب وأشاحت وجهها

- أكيد كلمك وعرف انك هنا و أنا الغبي عمال أقول من امتى وهو بيشرب كافيه باتيه دة ونسكافيه والحاجات اللي عمره ما طفحها!

أدركت سارة ما يقصده ياسر فابتسمت بشبح ابتسامه لذلك المقلب الثاني الذي أتقنه مالك، ضحك ياسر مجددا ثم نظر إليها بتردد

- لِمَه زعلانه؟

- أنا زعلانه من نفسي.. عشان دخلتك ودخلت ناس كتير مالهاش ذنب في موضوع كبير.. وزعلانة عشان اديتك حيّز من غير ما أفكر

- يعني ايه حيّز من غير ما تفكري؟ مش فاهم معنى الكلمة دي؟!

طرفت بعينيها ثم تحدثت ببعض الخفوت والرهبة

- بدأت احس انك بتتعامل مع احتياجي ليك باستغلال، انا بنت عمري ما كنت بحسها اوي بالتفاصيل.. مكانش عندي أخوات ولاد ولا بنات كمان.. والإنسان اللي حبيته مكنتش بقدر أتكلم معاه

ابتلعت ريقها لتكمل

- كنت بشوف الحب ف عنيه من بعيد مشاعري بتتحرك.. ومع ذلك مكانش في أي حوار بيجمعنا لحد ما طلب مني يقابل بابا، معنديش الفراسة اعرف اتعامل مع أي واحد ازاي.. ازاي اقدر احدد لواحد انه يبقى صديق.. أخ.. وإزاي هو ميعتبرنيش فوق دة

- امم، وانتي بقى حاسه اني خليتك فوق دة؟

- معرفش يا ياسر.. بس في احساس مش فاهماه بدأت أحسه من كلامك و انا اتعودت لما ابتدي مفهمش انسحب عشان أكيد اللي هفهمه بعد كدة يمكن ميكونش ف صالحي

- ممكن اسالك سؤال؟

أومأت سارة برأسها في تردد بالموافقة فأكمل ياسر

- ايه المشكلة لو فعلا في حاجة جوا بيكي؟ ايه الجريمة في اني ابقى معجب بيكي مثلا؟

ارتعد كوبها بين كفيها بعدم اتزان ثم نظرت إليه بثبات

- حاجات كتير.. منها اني ست متجوزة وعندي طفلة

- انتي أرملة وكنتي أم.. فرق كبير اوي. ثانيا انا مش بشحت منك اهتمام ولا فرضت نفسي ولا عرضتها بالمناسبه.. اللي بتتكلمي فيه دة كله تخمين غلط صح بقى دي حاجة ترجعلي، وبعدين انا اصل علاقتي بيكي اني أساعدك يعني حتى لو اللي بتقوليه دة صح فالطبيعي انك تركنيه على جنب لحد ما الموضوع اللي إحنا أصلا عرفنا بعض عشانه يخلص

- أرملة بتحب جوزها وبنتها ومتقدرش تنساهم و انت بكل سهولة بتجرح في مشاعري دي من غير أي حق ولا مبرر وبتتكلم ان عادي اني ابقى حاساك بتقرب مني لأسباب عندك واعمل نفسي عاميه

- انا مجرحتش حد انا قولت الحقيقه انتي بقى مش عايزة تفهميها فدي مشكلتك اتعالجي من أوهامك يمكن وقتها عفاريتك تسيبك

لمعت بعينا سارة دموعا شاهدها ياسر تتكون بين تلك النيران التي تشب في صدره، حملت حقيبتها وانسحبت مسرعة من تلك الطاولة لتخرج حاملة آلامها وكبريائها الذي جرح بإتقان ولكن ياسر لاحقها ليقف خلفها ولم تنطفئ تلك النيران بعد، فإحدى صفات ياسر التي لا تعرفها هو عدم سيطرته على انفعالاته، أمسك ذراعها بقسوة وقلبه يتوهج غضبا انتقل إلى عينيه بشكل واضح

- عايزاها اصحاب.. اخوات.. حلو بس انا بقى اتعودت ان الستات ف حياتي حاجة من اتنين.. يا عشان اتسلى بيهم ومنكرش انك داخله مزاجي.. يا عشان أحب واحدة الواحدة دي

نزعت يديه بعنف

- انت إنسان قليل الأدب.. شكلك شارب حاجة ومش عارف تركز ف كلامك

- يمكن.. بس المشكلة انك بتركزي ف النتايج بس مبتبصيش للسبب، لو في حاجة واحدة ممكن تخليني ارأف بالراجل اللي كنتي متجوزاه ف يوم فهوانه حب واحدة زيك، انتي باردة.. واحدة معندهاش احساس.. أي راجل ف الدنيا أسوء حاجة ممكن يتعرض لها انه يتعلق بواحدة غبية ف مشاعرها.. بتفكر وبتحسب الحب عندها بالسنتي والمتر.. بتسأليني بغييير منه ليه؟ صدقيني انا بعطف عليه.. الحاجة الوحيدة اللي ممكن أحسده عليها انك كنتي ملكه في يوم م الأيام في الوقت اللي انا مش هقدر امتلكك فيه

- انت وجعتني اوي يا ياسر.. اللي بيحب عمره ما يقدر يدوس على وجع ولا يقول اللي قولته واللي بيحب مش بيحط رجولته وكرامته ترمومتر تجارب يقف وراهم ويستخبى عشان يوجع اللي ادامه ويقوله انت اللي بدأت! لو كنت ركزت شوية كنت عرفت اني ببعدك عشانك مش عشاني، عشان انت تستاهل واحدة احسن.. واحدة متجوزتش قبلك ولا كانت أم استنفذت كل مشاعرها على عتبه البيت اللي جوزها وبنتها ماتوا فيه.. واحدة متعقدتش.. مشافتش أسوء جزء من الدنيا وهي مكملتش ال٢٨ من عمرها! يمكن أكون باردة حتى ف مشاعري مع جوزي لأنّي مكانش ليا علاقات قبل الجواز بس الراجل الوحيد اللي حبيته فهم.. محمد قدر يفهمني.. بس انت لا يا ياسر، لو في جزء منك بيتكلم دلوقتي فهو غرورك.. انت مش قادر تتصور اني برفضك عقلك اللي هنا (اشارت الى رأسه) مش قادر يتقبل الفكرة.. مع انه اللي المفروض كان اللي يركز فيه السبب مش النتيجة حسب كلامك

نظرت إليه بعتاب وانصرفت دون أن يستطيع ياسر إخراج حرف واحد، كان يتأملها بصمت.. يتناوب عقله بين تلك النيران التي توقد داخله من رفضها ثم يتلوها نبرة الندم التي تعبر بصدره على كلماته التي أصابتها جرحا، وقف في حيرة وغضب حتى شاهد تلك السيارة التي امتدت منها رأس مالك خلف الزجاج لتقرأ ملامح وجهه، قرأ مالك في وجه ياسر ذلك الغضب ولكنه لم ينطق ببنت كلمة عند دخول ياسر للسيارة بل اكتفى بالصمت، مالك يدرك جيدا شخصيه ياسر، يدرك الوقت المناسب للحديث.. والوقت الذي لا يناسبه سوى الصمت فقط!

***

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل:

ما يحدث الآن بمنزل سارة:

سارة نائمة بين صوت القرآن الذي يتعالى باستقرار، جفنا سارة يتحركان بسرعة وبعض ملامح الضيق تعتلي وجهها لتضم يداها غطاء السرير بقوة، الجو بارد جدا، بارد وكأن ديسمبر يقف خارجا حاملا حقيبته لرجوع مفاجئ! تعلقت سارة بكلماتها المتكتمة بصعوبة شديدة بين تعرقها الذي يضاد برودتها

-انا فين!

سارة الآن داخل حلم ما.. لحظة!

سارة بداخل تلك الجزيرة من جديد! إنها على تلك الرمال الحمراء الساخنة. بدا الجو يسخن أكثر فأكثر.. يا الهي الهواء يكاد أن يحرقك.. إنه ذلك البحر الملون بالأحمر الياقوتي وذات الضوء الضعيف المتسلل خلفه ذاته بل وتلك البيوت المتراصة فوق بعضها البعض بذات التعرج في تصميم دقيق ومخيف في الحد ذاته. اقتربت سارة نحو تلك البيوت.. تتعالى تلك الأصوات التي لا تعي ما تقوله.. أصوات جماعيه تتردد وكأنها صدى صوت يتحدثون بشكل يثير بداخلك خوفا ما، توقفت سارة أمام إحدى البيوت المنخفضة وتقدمت لتطرق ذلك الباب القصير جدا الذي تملئه التعرجات ويعتليه اللون الرمادي الداكن وكأنه صنع من خشب أشجار نادرة! ولكن الباب كان مفتوحا! لذا تقدمت سارة داخل المنزل بهدوء وانسيابية وتحفز معا، كان المنزل من الداخل أكثر عتمة من خارجه، تكاد لا ترى شيئا سوى بقعه ضوء أصغر و أقل والغريب أن المنزل فارغ تماما بل والأغرب أنه كبير جدا ومتسع بشكل لا يوحي به أبدا خارجه، والأكثر غرابه تلك البرودة الناصعة التي تحتويه رغم ذلك الجو الساخن الحارق بالخارج! الأرض والسقيفة وكأنها صنعت من صخور لونها الرمادي الداكن يزيدها رهبه بل أن تصميم المنزل يشبه بالكامل الكهف، فهو ليس إلا كتلة من الصخور المتعرجة وطاولة تنتصف المساحة من الخشب الغير مشذب! سمعت سارة صوتا ما، استدارت يميناً فيسارا فلم تجد شيئا، تقدمت بمزيد من الحذر.. تكاد ترى بصعوبة.. سمعت صوتا مرة أخرى،

ارتفعت عيناها تلقائيا نحو السقيفة لتتسع عيناها فزعا، شاهدت سارة امرأة ما ورجلا وطفلان.. وتضع المرأة يداها على كتف الصغير! حقيقة لم يكن مجرد رجل ولم تكن مجرد امرأة! كانوا يبدون كالبشر تماما باستثناء تلك العينان البيضاويتان السوداء التي تتساقط منها الدماء وتلك الأقدام التي توجد مقدمتها بشكل عكسي لسائهم بشكل يفصلهم عن مفهوم البشرية فصلا نهائيا. والعجيب بالأمر ان هؤلاء الأشخاص لم يكونوا سوى خائفين بشدة! بل إن الأطفال رغم شكلهم المرعب كانوا كمن يتشبثون بأمهم في فزع رهيب.. فزع يزيد الفزع سوءا. ولا تدري سارة حقيقة أيهم الأكثر رعبا منها أم هي منهم! فسارة هي الأخرى كانت تشع فزعا ورعبا وتتنفض في صمت بين فمها المفتوح بدهشة دون أن يخرج صراخها بصوت. تلك هي مرتها الأولى التي توقن بها إنها بسبق الإصرار والترصد في عالم للجن لا يمت للبشر بشيء، ركضت سارة نحو الباب ولكن لم يكن هناك أبواب! كانت تركض وتركض في مسار طويل وكأنها تسير في سراب وكأن المنزل اتسع أكثر وتمدد فاختفت أبو ابه وليس منه خروج ولا يوجد إليه مدخل! توقفت سارة تستوعب ما يحدث.. وضعت يدها تتحسس الجدران ربما الباب هنا ولكن الألوان المتشابهة اختلطت في عيناي وأصبحوا جميعا واحد، صوت ارتطام يدها المفزوعة وتحسسها لتلك الجدران المتجمدة كان يتم سماعه كطبول في حالة من الهرجلة..

سمعت سارة ذلك الصوت القادم من خلفها، استدارت في حركة سريعة مرتعبه لتجد شخصا ما يجلس على كرسي خشبي على مسافة قصيرة من امتداد بصرها، لم تشاهد منه سوى ظهره ولكنه يتضح قليلا، كان رجلا يعم شعره الشيب ويتكأ على عصاه.. ذلك ما ميزته ساره فقط

- اقفي مكانك

- انا قين!

- إنني في بيوتنا.. لكنك بسلام

القت سارة بتساؤل وخوف وحاجباها ينعقدان بصدمة بين صوت الرجل المهيب

- سونكم؟

- إحنا لينا بيوت زيكم يا بنت آدم.. بس أنتم المتطفلين اللي دايما بتدخلوا فيما لا يعنيكم وفي عوالم غيركم

انتفضت سارة رعبا عندما أدركت ما يقصده الرجل

- متخافيش.. قولتلك إنتي هنا بسلام

إحنا اللي حطينا في دماغك «أوكتارياس» عشان توصلي هنا

- ليه!

- عشان إحنا مسالمين.. وزي ما لينا عالم منحبش اللي يتدخل فيه أنتم ليكم عالمكم اللي مينفعش حد منا يتدخل فيه

- انا.. مش فاهمة!

- ليكي زانر تمرد.. تمرد وعصى وتجرد

حروب الجن حتى امتلأ المحيط بالدماء

دخل البشر فشققنا صفوفهم

المثلثان اللذان اجتمعا ولم يكتملا

والعام الثامن عشر للجيل الثالث مقايض بروح بريئة تميزت ضعفت فانتهكت

وقفت سارة تستمع تلك الكلمات المبهمة دون أن تعي حرفا واحدا مما يقصد..

حاولت سارة أن تسترجع تلك الكلمات دون جدوى! كانت تلك الكلمات أثقل من قدرات سارة البشرية للاستيعاب

- أنا مش فاهمة حاجة..

ولكن الرجل استمر بترديد الجملة الأخيرة مرة أخرى وكأنه لا يسمعها: العام الثامن عشر الجيل الثالث مقايض بروح بريئة تميزت ضعفت فانتهكت

ظلت سارة تهز رأسها في عدم فهم وفزع

- مش فاهمه..

فيقابلها ذلك الرجل بذات الجملة دون أن يستمع إليها، تعالى صوت صفير مرتفع كاد يهشم جمجمتها فأغلقت عيناها بانزعاج لتحيط أذنيها من الجهتين بيديها بقوة محاولة الهروب من ذلك الضجيج الذي أشعرها أن أوعيتها الدموية على وشك

انفجار آتي، بدأ الصوت بالسحاب ففتحت عيناها لتتنقل بفزع يمينا ويسارا ولازالت تشاهد ظهر الرجل العجوز الذي يجلس بثبات على كرسي خشبي عتيق وجلبابه الداكن يمتد للأرض بلا أقدام للتشاهد يده التي ارتفعت وكأنها تحمل شيئا ما عن بطنها وترميه بالهواء

نظرت بتركيز للتشاهد يده تحمل تراب أحمر بيطء ثم ترميه لتعود حاملة تراب مثله ثم ترميه فيتطاير ناثرا جزيئاته ويتلاشى بالهواء

ابتلعت ريقها

- انتوا عايزين مني ايه؟

ايه اللي ممكن أعمله!

- أطرقي الباب أولا

- يحاول..

اكملت: وهو زارني..

رفع الرجل ذراعه فجأة لتشاهد سارة العبارة المرعبة ذاتها وقد نقشت على ذراعه بحروف متفرقة من الدماء

(ا ط رق ي - ا ل ب ا ب - أو لا)

اتسعت عيناها بفزع لتشاهد المسافة تطول بينها وبين الرجل وكأنها في إحدى الدوامات ومياه البحر الحمراء تخترق الصخور التي تكسو المكان لتغلق عيناها بين صوت صراخها المرتفع..

أفاقت سارة في سريرها.. نهضت لتجلس محاولة استيعاب ما شاهدته للتو! لا تعتقد سارة أن ذلك مجرد كابوسا مفزع مر.. توقن سارة أن هناك رسالة ما أراد ذلك الشيء أن يوصلها إليها، بدا إليها الأمر أكثر وضوحا، زائرها المعتاد ليس ضيوفها ذاتهم. يبدوا أنها تقع بين كفتين متناقضتين وليس واحدة.. ولكن ماذا تفعل سارة والى من تستعين وقد باءت وحيدة مظلمة في ذلك العالم دون خرائط ودون مرافقين!

(ا ط رق ي ا ل ب اب)

***

منزل ياسر:

جلس ياسر بغرفته على سريره ينظر إلى اسمها على الفيس بوك مسترجعا ما حدث اليوم ويستجمع تلك اللقطات المتفرقة التي قد تكون أخر ما سيجمعهم يوما. يشعر ببعض تأنيب الضمير لتركه إياها وحيده في ما تمر به.. ويعود للشعور أن جزءا مما قالته ساره صحيحا.. إن هناك شطرا كبيرا منه يساعدها لأنانية رجولية بحتة.. شطرا ما يسعى لذلك ليصبح البطل الذي تركض إليه يوما ما لتعتمي خلفه من آلامها ومخاوفها، شطرا ما يريد الاحتفاظ بها لذاته فقط.. يريد أن يفرغها من ذكرياتها وأوجاعها وأسماء من عبروها قبله! لا ينبغي أن يصبح الإنسان أنانيا.. لا ينبغي أن يطلب منها شيئا لن يستطيع هو ذاته على فعله!

طرق الباب ليخرج ياسر من شروده فأذن بالدخول

تقدم سليم حاملا كوبا من الحليب نحو ياسر ليضعه بجواره

- هو مالك لِسّه نايم؟

- لا يا باشا دة بقاله ساعه في الجنينة

نظر إليه ياسر بتعجب

- بقاله ساعه! دة الساعة اتنين يا ابني دة حتى يبرد..

- والله يا باشا هو قالي طلعني بره وقالي متنامش الا لما احب ادخل واطلع أنام هرتلك ع التليفون

نهض ياسر من السرير في غضب من أفعال مالك.. خرج من غرفته ليترجل من ذلك الدرج متجها نحو الحديقة، اقترب ياسر ليشاهد ذلك الكرمي المتحرك أمام المسبح فارغا فانقبض شعورا ما داخل ياسر الذي هرع نحو المسبح في خوف نظر ياسر باحثا عن مالك ليجده يطفو فوق مياه المسبح وهو يقاوم بيديه بينما تتساقط دموعه خوفا، سقط ياسر إلى ذلك المسبح مسرعا وأمسك مالك الذي كان في حالة من الفزع والرهبة لدرجة مقاومته يدا ياسر ذاته، كان ياسر يحاول انتزاع مالك بصعوبة.. وكان شيئا ما ثقيل قد ربط بقدم مالك ليسحبه للأسفل! أمسك ياسر مالك بقوة لا يعلم حتى كيف أتته وانتزعه للأعلى على تلك البلاطات الباردة بجانب

كرسيه ثم خرج من المسبح بتعب و أنفاس متقطعه. اقترب من مالك الذي لا يزال بحالة من الفزع لافظا تلك المياه من فمه وحمله بأنفاسه المقتولة ليضعه بداخل كرسيه ويتجه به نحو الداخل.

دخل ياسر الى الداخل وهو يصرخ بغضب

- سليم.. يا سليم

تقدم سليم برعب ليشاهد وضع ياسر ثم انتقل بصره نحو مالك ليشاهد سوء حالته ليلتابه الرعب هو الأخر

- في ايه يا باشا ايه اللي حصل!

نظر إليه ياسر بغضب شديد

- انت اغبى بني ادم شوفته ف حياتي.. أطلع بره ومش عايز أشوف وش اهلك تاني فاهم؟

حمل ياسر مالك ليضعه على تلك الأريكة

- مالك.. حاسس بايه؟

فتح مالك عيناه بثقل وظهر عليه التعب وأشاح وجهه للجهة الأخرى من ياسر فالتفت ياسر نحو سليم الواقف في حالة ذعر

- انت لسه واقف.. بقولك اطلع بره

- باباشا انا مش فاهم حاجة بس حضرتك متضايقش انا مطلع اجيب فوط لحضرتك وأستاذ مالك وانزل بسرعه وحضرتك بعد كدة اعمل اللي عايز تعمله فيا

انطلق سليم مسرعا للأعلى في هرجلة بينما التفت ياسر ليضع يده فوق رأس مالك بحنان

- ابعد ايدك عني مش محتاجها..

اندهش ياسر من كلمات مالك ونبرته الحادة فأبعد يديه بتعجب

- ليه يا مالك!

- طالما انت مش موجود معتقدش ان ايدك هتعوضني

- انا معاك على طول يا مالك!

-انت مع نفسك وبس.. زيك زيهم كلهم.. لو سمحت ابعد عني

ابتلع ياسر ريقه وهو يشعر بالندم.. ما يقوله مالك صحيحا.. ابتعد ياسر كثيرا عن مالك.. مالك الذي كان الجزء الأكبر من حياة ياسر بل وكل الأجزاء بات بعيدا جدا لا يدرك وجوده سوى عندما يتذكره صدفة. مرت بداخل ياسر تلك الأفكار.. نعم أنا السبب في ذلك وليس سليم.. أنا المهمل.. أنا الأناني

نظر إلى مالك بحزن بنبرة ندم: حاضر، أنا بعيد.. بس هقعد على الكنبه اللي جنبك هنا من غير ما اقربلك

أغلق مالك عينيه بدون اكتراث ولم ينطق بشيء.

• • •

الفصل الخامس
(حيث يمكن للشيطان اللعب)

منزل ياسر: بعد مرور أيام

جلس حاملا تلك «البكلة» التي سقطت من خصلاتها البنيه.. شعر ياسر للحظه إنها كالتفاحة التي سقطت لنيوتن فألهمته قوانين الجاذبية وجعلته أشهر عالما يدرس! كل ما يتساقط من سارة جذاب.. جذاب جدا إلى حد يفوق المقاومة. ولكن الحب لا يقبل بالسقوط.. لا يمكنه السقوط لن يتقبل ياسر فتات منه ولا سقوط عابر. اليوم ايقن ياسر انه احبها.. تلك المرأة التي ظهرت من الفراغ وجمعت قطع البازل في قلبه وهي على وشك الرحيل هي ذاتها الراحلة اللعينة. فكرة خروجها المفاجئ بات موجعا جدا.. موجعا أكثر من كل تلك الأوجاع التي عاشها يوما ياسر.. إنها أصعبها وأحمقها..

أفاق ياسر من تفكيره وهو يتلاعب بتلك البكله أمام عينيه، استدار وهو يسمع صوت سليم الذي ظهر عليه الاضطراب، ومالك الذي يجلس في ركنا ما في غرفه الجلوس يقرأ بعيدا عنه وكلماته التي باتت قليله جدا منذ حادثه الأخير.. كان ياسر يقرأ بعينا مالك الغضب.. ويشعر بالذنب أيضا.. يعلم كم يعني هو لمالك.. كم يشعر مالك بالأمان بياسر فقط.. وكم ابتعد ياسر عن مالك بدون إرادة وإن حاول ياسر إظهار غير ذلك فإن مالك يظل ذكيا جدا ليشعر بالاختلاف!

توقف سليم بتردد

- ياسر باشا مدام نادية بره

استدار ياسر بصدمة وهو يستمع لسليم ولكنه التفت ليشاهد وجه مالك الذي ارتفع عن الكتاب بصدمة أكبر بدا عليها الحزن أكثر من وضعه قبل

أعاد ياسر النظر الى سليم بحاجبين منعقدان

- انت قولتلها اننا هنا؟

- طلعني فوق يا سليم

- مالك اهدى شويه واستنى و انا هشوف معمل ايه

-انا مكلمتكش انت على فكرة.. سليم سمعت اللي قولته بقولك طلعني فوق

- مالك انت مزودها و انا عاذرك على فكرة وصبري نفد.. اسمع الكلام واهدى وركز كدة

التفت الاثنان بصدمة عندما أتاهم ذلك الصوت الذي يأتي بجانب باب الحديقة المؤدي لغرفة الجلوس، لم يكن ذلك الصوت سوى لأم ياسر ومالك التي وقفت تتأملهم بشوق وحب ونظرت لمالك الجالس بعيدا بحنين يترقرق من عينها لباقي حديثها بشوق وحنان خافت

- حبايبي وحشتوني اوي..

تقدمت الأم من ياسر لتضع كفيها على وجنتيه وهي تتأمل عينيه بحنين ثم تضمه لصدرها دون أن يبدي ياسر اهتماما.. كان ياسر يجاري والدته فقط دون أي شعور يظهر على وجهه.. استدارت الأم لتتوجه نحو مالك ولكن مالك سارع بإشاحة وجهه للجهة الأخرى ليتحدث بحدة أوقفتها بمنتصف طريقها إليه

- اقفي مكانك.. لو جاية عشان ياسر فأنتوا احرار زي بعض ويمكن شيه بعض كمان.. لكن لو جاية عشاني فأنا مش عايزك ومش عايزو.. انتوا كلكم واحد

صرخ بسليم

- انا مش قولتلك طلعني.. ولا عايزني اطلع انا خلاص هطلع انا

أسقط مالك نفسه أرضا بغضب وهو يحاول الزحف للدرج بين صدمات ياسر وأمه التي سقطت بجانبه تحاول لمسه بينما يبعد هو بداها

بكت الأم على ما يفعله صغيرها بألم

- ليه يا حبيبي كدة.. ليه يا مالك انا أمك حرام عليك اللي بتعمله فيا! انا عملت ايه

- ليه يا حبيبي كدة.. ليه يا مالك انا أمك حرام عليك اللي بتعمله فيا! انا عملت ايه عشان دة كله يا ابني! انا بحبك والله العظيم بحبكم اوي

تقدم ياسر مسرعا نحو مالك ليحمله بينما مالك يبكي بحرقه..

- ماما بعد إذنك مالك تعبان.. يا ريت تأجل أي مقابله دلوقتي

حمل ياسر مالك بصمت نحو الأعلى تاركا والدته الجالسة أرضا تبكي بألم وندم..
كم بات صغيرها بعيدين.. وبعيدين جدا، أخرجت الأم دفترا ما متوسط الحجم غلافه من جلد بني ويبدو عليه القدم.. نهضت لتدخل غرفه المكتب الخاصة بياسر.. مسحت إحدى دموعها الساقطة لتضع الدفتر على مكتب ياسر وتخرج محمله بآلامها وأوجاعها تجر أذيال الندم

انسابت بهدوء إلى الخارج وعيناها شاردة وقلبها محطم، طرفت بعينيها وهي تتذكر ذلك الحلم الغريب..

بالأمس أتاها زائر تلاشى..

شاهدت نادية (سالم) زوجها السابق ووالد طفلها يخط كلمات بهرجلة في ذلك الدفتر بعينه بين غرفة مظلمة لا ترى فيها أي شيء سوى مكتب مسلط عليه بقعة ضوء وزوجها الذي يكتب بتوتر وخوف بلا توقف! كانت رؤية مخيفة تقف فيها مسلوبة الكلام والفعل تراقب زوجها يكتب شيئا ما لا تعرف ماهيته وتضربها الأسئلة وكل ما تدركه انه انتهى مغلقا الدفتر ليرفع رأسه إليها وكأنه يراها تماما ويخبرها بنبرة جافة

(متفتحيهوش)

ثم يمتد به إليها بعينين جاحظة ثابتة أفزعتها لتشاهد ما كتب على الدفتر المهترئ من الخارج بخط متعرج كبير

(ياسر سالم)

انتهى كابوسها إلى ذلك الحد لتستيقظ من النوم منقطعة الأنفاس وتهرع إلى خزانة ملابسها مخرجة ذلك الدفتر الذي لم تقرأه ابدأ..

كل ما تدركه إنها التقطته للذكرى بعد رحيلها حتى لا تنسى ما تبقى لذلك الرجل كبها

نظرت إلى الدفتر كثيرا وكاد الفضول أن يقتلها وهي تحدق إليه برعب.. ولكن كلمته ترددت بذهنها وشعرتها المتبقية للمنطق جعلتها تشعر بقرارة ذاتها أن ذلك الشيء لا يعنيها بل هو فشة إنقاذ لأطفالها الذين يكرهوها.

***

تشعر سارة بتلك الحرارة التي تتصاعد من جسدها، تشعر وكأنما خلقت من نار.. وكأن ذلك البركان الذي قدر له أن ينفجر في إحدى الأراضي فيخرج ذهبها كتب له الآن أن يخلق داخلها فيستنزف تلك الحياة منها، جلست سارة تتحسس جبينها على الأريكة بغرفة الجلوس.. تناولت هاتفها النقال واضعة بعض الأرقام لتجد أن الرقم الذي اتصلت به خارج نطاق الخدمة، أخرجت رقما أخر من السجل محفوظا باسم (عبير) وهي إحدى صديقاتها منذ الجامعة، فأتاها ذلك الصوت الناعم

- يا أهلا وسهلا بالقاطعه.. افتكرتيني دلوقتي ياختي

- معلش حبيبتي انتي عارفه الظروف

- عارفه يا حبيبتي.. المهم انتي اخبارك ايه؟ انا حاولت أطمن عليكي كتير من أيام ما كان باباكي قلقان عليكي وروحت ليكي الفيلا بتاعت اهل محمد وملقتيكش

تعجبت سارة لأنها لم تكن تعلم أن عبير هي من قصدها والدها ببحثها عنها وان هناك صديقه لها قد ذهبت لتفقدها بالفيلا ولم تجدها، كانت سارة تظن أن (آيه) هي من فعلت!

- ايه ده! هو انتي اللي جيتي تخبطي ع الفيلا عشان تطمني بابا عليا؟

- ايوة يابنتي اومال مين!

- انا افتكرتها(آيه)اصلها كانت معايا قبلها بأيام فاعتقدت إنها هي

- ايه! آيه مين يابنتي؟

- هو في (آيه) تانية يا بنتي! (آيه ابراهيم)

صمتت عبير قليلا فانتاب سارة بعض الشك من ذلك الصمت الغريب، دقت تلك الضربات المشؤومة التي تنذر سارة أن هناك شيئا لا يسر قادم بسرعة الضوء ليصطدم بها فعادت سارة بالحديث بنبرة تردد واضحة

- مالك يا عبير سكتي ليه مرة واحدة؟

- اصل.. اصل كلامك غريب

ازاي (آيه ابراهيم) كانت معاكي!

- وفيها ايه الغريب دي!

- سارة.. انتي بتتكلمي بجد ولا بتهزري

- عبير في ايه!

- ياانهار اسود.. لا دة كدة انتي بتتكلمي جد بقى، سارة (ايه) ميته بقالها سنه تبقى ازاي كانت معاكي قبلها بأيام!

لم تشعر سارة بعد سماع تلك الكلمات سوى بتلك البرودة التي تسري بعروقها، أيقنت سارة فجأة أن صديقتها التي اقترحت فكرة المناقشة التي تعرفت بها بياسر المرة الأولى مجرد جثة تقبع في مقبرة ما.. أيقنت أن من كانت معها أيا ما كانت فهي ليست صديقتها.. وليست صديقة من الأساس! ما يشغل تفكير سارة أكثر من ذلك الحادث نفسه الهدف منه! ذلك الكيان الذي تمثل بهيئة صديقتها كان المقصد منه هو لقاء سارة بياسر.. نعم لقاء سارة بياسر كان مخططا له وأيضاً لا تعلم سارة سبب ذلك، سقط الهاتف من يد سارة وتساقطت تلك الدموع الأخيرة، تفقد سارة اليوم أخر نزعة المقاومة.. تقف على حافة الانهيار بآخر قطعة بها مسالمة جدا لتقول لقد قدمت كل ما بي ولم يعد شيئا متبقي ليقدم

ليس الكتاب فقط هو القضية.. أهدافا أخرى أتت من العالم الآخر بشيطان يدعي الصداقة جهرا وكذبا.

***

منزل ياسر:

اقترب ياسر من مالك الجالس أمام التلفاز بشرود، أمسك ياسر « الريموت» وأغلق التلفاز باستفزاز لمالك، استدار مالك سريعا إليه بغضب

- انت طفيته ليه؟ شغله

السدح ياسر بالأريكة استفزازا لمالك ووضع كلا كفيه تحت رأسه

- لعال خد الريموت لو تقدر

- معلش لامؤاخذة اصلي مشلول مبعرفش أقف تحب اجري؟

ابتسم ياسر بغضب في وضع الجلوس

- وله.. انت اتهبلت ايه الكلام الأهبل دة!

- أعملك ايه ما انت اللي بتقول كلام عبيط.. أجي أخده منك ازاي يعني مش فاهم!
- طب انت زعلان مني ليه ممكن تفهمني؟
- ياسر يا ريت منتكلمش احسن عشان لا كلامي هيعجبك ولا كلامك هيقنعني وانا تعبت امثل دور العيل الصغير اللي بيسمع الكلام ويطيع ويمثل انه مصدق عقد ياسر حاجبية مندهشا
- بتمثل انك مصدق! انت شايف انت بتتكلم ازاي يا ابني! ايه يا مالك في ايه! استدار مالك بالكامل مواجها وجهه لياسر بتحدي
- أقولك يا ياسر، انت عارف انا ايه؟ انا واحد عمري ما اتحطيت في خيارين الا واخترتوا الشيء التاني غيري! انا دايما الاختيار اللي بتسيبوه اللي محدش فيكم بيختاره
- خيارات ايه وطماطم ايه! ومين اخترتوا دول انت عبيط يا أبني؟
- ماما اختارت نفسها.. بدل ما تساعدني أعدي اللي فيه راحت تتجوز ببساطه بعد عدتها من أبوك ورمتني ورا ضهرها، ولما بقيت شحط افتكرتني وجايالي على اني اهبل بالمصاصة.. و أبوك اللي منعرفش راح فين ولا لمين.. وانت اللي بقيت مبتفكرش الا ف نفسك وبس لا وعايز كل حاجة تحت امرك والا تبقى القيامة قامت نهض ياسر منصدما ليقف أمام مالك عاقدا حاجبية
- انت شايف ان موضوع سارة دة شغلني عنك؟
- لا مش سارة يا ياسر..انت، سارة اكتر واحدة اتمنيها ليك و اتمنيها ف حياتي وحياتك من الأساس وان كنت ناسي انا كنت بحاول أقربكم ازاي أفكرك
- انا!
- عارف الفرق بين سارة وبين أمي ايه؟ أمي نسيتنا واحنا عايشين عشان حياتها، وسارة مش عارفه تنسى اللي راحوا ولا عايزة تعيش حياتها عشان متنساهمش، سارة مش هي اللي غيرتك.. الانانيه اللي بالوراثة من جدك لأبوك لامك ليك هي السبب.. كلكم لما تعوزوا حاجة بتنسوا كل حاجة حلوة تانية في طريقكم عشانها حتى لو كسرتوا كل حاجة و انتوا بتجروا على اللي عايزينه بيس عادي!
انصدم ياسر من كلمات مالك التي أصابته في مقتل، ظل لوهله ينظر إليه في صمت

لمطرف بعينيه ويتمالك نفسه ثم جلس على طرف الأريكة، شرد لدقائق ثم توجه لعيني مالك

- عندك حق، بس انت مش مجرد حاجة حلوة ف حياتي، انت كل حاجة.. انت عارف لما تبقى بتدخل أول خطوة على انك تبقى راجل وعيل يتولد على ايدك.. كنت دايما حاسس اني المسؤول عنك.. انك ابني.. يا متخلف انت بالنسبالي اغلى من روحي.. عمر ما في بنت ولا مخلوق ممكن يغير دة!

لمعت عينا ياسر ليكمل بغصه قرأها مالك في كلماته

- بحبها.. دة كل الحكاية! مش هتفهم احساس انك تحب حد وتبقى عايزه اوي ومتلاقيش منه أي مقابل لده! غصب عني.. انا من لحم ودم، لقيت حلمي نفسه بيتحقق افتكرت للحظة انه بيقرب وبيبقى حقيقه فجاة لقيته بيروح.. بيختار ذكرى على وجودي

ابتسم نصف ابتسامة جانبية بحب وهو يتخيل

- عارف مجرد ما بتمر جنبي بشم ريحة شعرها تخيل.. عمرك ياض شوفت واحدة شعرها بريحة الفراولة! مشكلتي الوحيدة بحبها ومن كتر ما الإحساس دة كبر اتعذبت، وترجمت دة غلط.. خسرتها هي وزعلتك انت! وانت لا فاهم اني اخسرها دة معناه ايه ليا.. ولا عمرك هتفهم ان زعلك دة بيعمل ايه فيا

- عظيمة ياست فتحية الغبية

ضحك ياسر على بلاهة مالك التي عادت فجأة فأكمل مالك بمزح

- بحبها وبحبها وبحبها.. يخربيت أم تكرارك بني ادم.. وريحة فراولة! طب ما عادي..ما عندك سليم اهو يعدي تشم ريحة الجاز من شعره عادي جدا

ضحك ياسر بشده على كلمات مالك الذي ضحك هو الآخر، أمسك بقبضته جانب صدره الأيسر من شدة الضحك.. يكاد يشعر بان قلبه سيقفز فجأة، ابتسم مالك لتلاشي ابتسامته وهو يشاهد لوهلة خاطفة غراب يقف على طرف الأريكة بهدوء حفرت به « مات سليمان» ثم يختفي تاركا مالك معلق الذهن والعين إلى مكانه غير مدرك إلى أي مدى ستقفز تلك الأوهام الأخيرة به!

***

٢٣ /٤/ ٢٠١٦

لم تدرك سارة أين هي للوهله الأولى، أفاقت بين تلك الأشجار على ارض باردة! كيف وصلت إلى ذلك الرصيف البارد؟! نهضت جالسة في وضع الجلوس وهي تتفقد أين هي.. لم تجد سوى ذلك الرصيف المتجمد وجسدها المرتعد من رياح الليل الباردة.. كان الشارع خاليا تماما، لا تعلم أين هي وكم الوقت! كيف أتت وكيف ستذهب، احتضنت صدرها طلبا للدفء من النسمات الباردة الليلية أخذت تنظر هنا وهناك.. لا تعلم كيف ولماذا ولكنها سارت قليلا لتجد نفسها أمام فيلا ياسر! تيقنت سارة أن شينا ما يريد بالفعل إيصالها لياسر.. شينا ما يعبث بها وبه.. أي شيء هذا الذي يصل كل المسافات المنقطعة، وان كان كذلك فهذا لا يعني سوى أن اقتراب سارة من ياسر ليس إلا خطأ جسيما وراءه مشاعر شيطانية لا علم بهدفها

بدأت الرؤية تنسحب من جسد سارة المنهك.. شعرت وكأن الدنيا تدور وكأن الأرض تصعد للسماء.. وضعت يدها تتحسس جبينها الذي يضخ حرارة في وضح البرودة! حرارتها المرتفعة تكاد تصل إلى حد الموت.. لم تشعر سارة سوى وهي تتقدم نحو منزل ياسر.. لم يكن هناك منافذ أخرى ولا منقذ آخر.. تقدمت تترنح بين عيناها التي تكاد تنغلق.. نظرت إلى الحارس الذي نظر إليها بقلق وهو يستمع إلى نبرتها المنهكة

- لو سمحت.. قول لأستاذ ياسر مدام سارة برة

قام الحارس بنداء سليم الذي اقترب من ياسر الممدد في سريره في نوم بعد يوما منهك من البحث، توقف سليم بحذر

- أستاذ ياسر

- اششش.. مش قولت لأهلك قبل كدة متصحنيش

- والله يا باشا انا مش بايدي بس في واحدة تحت شكلها فيها حاجة كدة وعايزة حضرتك

فتح ياسر عينيه بتعجب وجلس

- واحدة! مقالتش اسمها ايه؟

- لا قالت طبعا يا باشا.. هي جت قبل كدة.. بتقول مدام سارة

نهض ياسر مسرعا ليترجل من الدرج في قلق، اسمها الذي أتاه في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل جعل فرحته بقدومها تنسحب للقلق.. تقدم ياسر نحو الباب ليخبر الحارس بإدخالها، شاهدها وهي تتقدم نحو الحديقة في ترنح وعيناها شبه مفتوحة، ركض ياسر إليها عاقدا حاجبيه بقلق حتى أمسكها قبل أن تسقط أرضا ولكن ذراعا ياسر التي امتدت لتسندها ما إن امتدت إليها حتى هوت سارة مغشيا عليها بينهما في استسلام، حملها ياسر بخوف مسرعا نحو غرفة الجلوس وقلبه يركض به الآلاف الأحاسيس المظلمة..

الثامنة صباحا:

لم تستيقظ سارة من نومها بعد.. كان ياسر يجلس بجوارها في إحدى الغرف الصغيرة بالطابق السفلي يراقب نومها الهادئ ويمتد ذلك المحلول إلى ذراعها ثاقبا جلدها الرقيق بينما يجلس مالك بالجهة الأخرى منها مراقبا قلق ياسر الواضح، نظر مالك إلى ياسر ثم ضحك

التفت ياسر نحو مالك بصوت خافت

- بتضحك على ايه دلوقتي؟

- بضحك على الدلقه.. يا ابني شيل عينك البت تقوم تقول ايه! تشوف شاحطين قاعدين حواليها واحد منهم عينه باظه لبره! مينفعش كدة!

- يا ابني انا بطمن عليها انت شايفني حاطط وشي ف وشها اما صحيح مخك مصدي..

- طب بذمتك في واحد يطمن على واحدة بالمنظر دة.. دة انت ناقص تخلع عينك وتحطها ف وشها!

ضحك ياسر بخفة رغما عنه من تعبيرات مالك المضحكة

- هو الدكتور قال المحلول دة هيتشال امتى؟

- قال لما الحرارة تنزل لحد معقول.. الغريب ان الحرارة بتنزل ببطء غريب.. والمشكلة

إنها ضعيفه الله يكون ف عونها!

- طيب دلوقتي أبوها هنعمل معاه ايه! دة زمانه قلقان عليها

- لا ما انا اتصرفت

- يخربيتك! قولتله إنها هنا!

- لا طبعا يا اذكى أخواتك.. بعتله مسج من تليفونها إنها تعبانه وهتنام عند واحدة صحبتها وتليفونها ممكن يفصل شحن.. أكيد مش هقوله بنتك تعبانه ومش بتتحرك والادهى إنها عندي! دة احتمال تلاقيه داخل علينا بالسيوف

نظر إليها مالك ليشرد بحيرة

- بس ايه اللي ممكن يخليها تتعب كدة وتيجي بالحالة دي ف وقت زي دة! على فكرة يا ياسر الموضوع بيكبر وباين إنها فعلا محتاجة مساعدة.. بس تساعدها لوجه الله مش عشان اللي انت فاهمه

- لا حدق وحلو وبتتكلم

- طول عمري نبيه.. شيل عينك لتحسدنا الله أكبر

ابتسم ياسر بخفة على بلاهة أخيه فأكمل مالك بخفوت

- على فكرة محتاجة تاكل كويس أكيد لما متفوق المضادات الحيوية اللي خدتها دي محتاجة اكل وهي مفيهاش نفس أساسا

- هخلي سليم يعملها اكل

- لا لا لا لا.. أبوس يور هاند لا.. البت صغيرة وناعمة تاكل اكله من ايد سليم المعجرفة تروح اللالا لاند..يا راجل دة منظر ايد بني ادم تعمل اكل!

- ومين هيعمل الاكل ان شاء الله؟ انا مثلا!

- متشغلش بالك انا هتصرف

تلك الأثناء:

داخل عقل سارة النائمة في ملائكية.. ترى نفسها تسير في مكان مظلم.. بل إنها غرفة مظلمة جدرانها وأرضها جميعا باللون الأسود.. لا أبواب فيها ولا بشر.. تدوي بها أصوات لا تعرف لغتها ولا نوعها. بوسط تلك الغرفة الكبيرة يوجد شيء مسلط

عليه الضوء.. اقتربت سارة منه.. جلست على الأرض لتحمله.. تحسست سارة الشيء.. أزاحت التراب عنه.. لم يكن ذلك الشيء سوى دفترا متوسط الحجم له غلاف جلدي باللون البني

هل عرفته؟ انه الدفتر بعينه الذي وضعته أم ياسر ومالك على مكتب ياسر تلك الليلة.

في عالم آخر:

((والصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا، إن إلهكم لواحد، رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق، إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسمعون للملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب))

تتقدم في منزلها الذي قتلت به أسرتها في ألمانيا بين ذلك الظلام، تعلم أنها في حلم.. بل إنها أسوأ أحلامها حتى الآن، تشاهد سارة جدران المنزل التي تصطدم بها بين ذلك الظلام والضوء القصير بين تردد سوره الصافات في كل أنحاء المنزل، ظلت سارة تبحث عن مصدر الصوت، تسير بحذر وتشعر أن ساقها المصابة تؤلمها كما آلمتها أول مرة، دخلت تلك الغرفة! تلك الغرفة بعينها التي فقدت قلبها خارجها، صدمت سارة وتسمرت بمكانها عندما شاهدت زوجها محمد يجلس على الأرض وبجانبه ابنتها مي ويقرؤون القران معا كالأمس تماما، كان محمد يمتلك عادة منفردة عندما يقرأ القران كل جمعة مع ابنته مي ليعلمها دينها بينما تتعجب! أيعتقد محمد أن فتاة بعمر الخامسة لها كل تلك الفطنة لتعي كلمات القرآن! أو لتتفهم عبراته! ولكن محمد كان يخبرها دائما (يوما ما ستعرفين) أهذا هو اليوم يا محمد؟ أموات أنتم وتعودون في أحلامي لتقرؤون القرآن بذلك المذاق الرائع هكذا! توقفت سارة تستمع للسورة وعيناها متجمدة نحوهم بصدمة وحنين مرتب المشاعر..

أنهوا قراءة السورة والتفتوا بابتسامة يتخللها ضوء الجنة، كان محمد ينظر إليها مبتسما بدون أن ينطق بينما نهضت ابنتهم مي الصغيرة بفرحة طفلة قرمزية لتركض نحوامها، ركضت نحو سارة التي انهارت بعينين أم مكلومة لتحتضن طفلتها

وتشم رائحتها مرة أخرى، ضمتها سارة بحجم الألم وبحجم الحب وبحجم الأمومة.

تساقطت دموع سارة التي لا تصدق ما يحدث! ولا تعلم لما يحدث

قبلها ابنتها على وجنتها ثم ابتسمت ببراءة

- ماما شوفتي انا بحفظ مع بابا

ضمت سارة وجنتها بيديها بحنان بين دموعها

- ايوة يا حبيبتي.. شطورة

مي وهي تمسك تلك السلسلة بصدرها

- بابا قالي ان لو حفظت الآيه دي وقولتلك عليها ماما هتبقى كويسة

نظرت سارة بصدمة نحو محمد الجالس على الأرض مبتسما وعيناه الحنونة التي لم تربعمرها مثلهما ثم نظرت إلى مي بين ذراعيها لتعود إلى ضمها مرة أخرى، وتلك المرة شاهدت ذلك الظل الأسود الذي يقف مبتعدا وهو ير اقبهم بصمت، أفاقت سارة لتجد ذلك المحلول المعلق بيديها وتلك الغرفة الغريبة، تجولت بعينيها في تلك الغرفة يميناً ويسارا بفزع، نزعت تلك الإبرة المعلقة بيدها وترجلت نحو الباب لتجد نفسها خارجا ترى من حيث تقف ياسر الجالس يشاهد أمرا ما وبجانبه مالك، اتجهت عيون ياسر ومالك تلقائيا نحوها.. فتقدم ياسر قلقا إليها

- حمدالله ع السلامة.. في حاجة تعباكي؟

نظرت إليه ولا يزال توازنها غير مكتمل وملامحها تحمل التعب بصوت مرتبك

- لا.. بس انا جيت هنا ازاي؟

- انا لقيتك جاية ودرجة حرارتك عاليه وفجأة وقعتي وأغمى عليكي والدكتور قال لازم تعلقي محلول ينزل الحرارة.. انتي قومتي ليه طيب كنتي ندهتي علينا!

- مكنتش عارفة انا فين.. استغربت المكان، انا أسفه بجد على اللي حصل

- طب اسندي عليا بس الأول

مد ذراعه نحوها بحنان وهو يبتسم

- لا انا كويسة خليني امشي بنفسي

أومأ ياسر برأسه موافقا وهو ير اقب سيرها البطيء والغير متزن بجانبه حتى

أجلسها في غرفة الجلوس وجلس هو الأخر

- أسفه على ايه بقى!ياريت بلاش كلام مالوش معنى

أرجعت سارة خصلة شعرها خلف أذنها خجلا، رفعت عيناها مرة أخرى نحوه

- ياسر في حاجات لازم تعرفها

- انتي تعبانة ممكن نأجلها مش هتطير

طرفت بعينيها لتكمل ببحة

- ياسر انا لما جيت أول مرة المناقشة اللي كنت عاملها هنا.. كنت جاية مع مين؟

- مين ازاي! انتي كنتي جاية لوحدك يا بنتي!

صعقت سارة من إجابة ياسر التي لم تتوقعها تماما

- يعني مشوفتش حد معايا

- حد زي مين! انا شايفك و انتي قاعدة ولما وقفتي ولما كمان خرجتي راقبتك من بعيد.. كنتي ماشيه بتعيطي بدون سبب ومش فاهم اللي بيحصلك

شردت سارة بحزن ثم التفتت إليه عاقدة حاجبيها بشك

- ولما قولتلي على الجرح اللي ف رجلي؟

- جرح ايه! انا مش فاكر حاجة من اللي بتقوليها يا سارة فهميني في ايه

- ياسر ركز.. لما جيت هنا كنت جاية مع واحدة صحبتي انا عمري ما كان ليا ميول لعلوم ما وراء الطبيعة والكلام دة.. هي اللي قالتلي على المكان دة وهي اللي جابتني هنا ولما مشيت كانت معايا.. امبارح عرفت بالصدفة ان صحبتي دي ميتة من سنة وملسالنيش دة معناه ايه لان دة مش معناه الا اني مجنونة أو اللي كان معايا شيء تاني

صدم ياسر من كلمات سارة وتناقلت الصدمة لمالك الذي لم يتكلم بل ظل يستمع ولكن ياسر بدا عليه ولو جزءا صغيرا من استيعابه للأمر، عقد حاجباه ورفع ظهره عن ظهر الأريكة بجدية لينحني بجسده للأمام

- وجرح رجلك دة انتي شوفتيني بتكلم عنه عشان كدة قومتي تجري مش كدة؟

- بالظبط

- انتي مش مجنونة يا سارة.. الحاجة اللي بتدمر حياتك هدفها إنها توصلك لكدة.. الشيء دة عايزك تكرهي نفسك وتكرهي حياتك دي طريقة مفهومة من قديم الأزل عشان تضعف الإنسان

- و انا تعبت يا ياسر.. تعبت اوي ومبقتش متحملة.. وجودي هنا نفسه بدأت احس انه اتخطط ليه.. أيا كان اللي جابني هنا فكان المقصود منه نتقابل.. وايا كان اللي جابني ليك مرة تانية انهاردة فبردوا قصدوا اني ابقى معاك.. والنتيجة اني معاك زي ماهو بالظبط عايز

- انتي بتقولي ايه! انا مش فاهم حاجة!

فتحت عيناها لتنظر إلى عيناه بعينين مليئة بالدموع

- ياسر مفيش أي مبرر للي بيحصل غير كدة.. انا كنت واحدة جاية من بلد باردة و انا أبرد منها.. مشاعري ميته ومفيش حاجة فارقه معايا.. و انت كنت راجل عايش ف سلام حياتك ما بين اخوك وشغلك.. فجأة اجتمعنا في مناقشه عمرها ما كانت هتحصل.. ولقيت نفسي مبلجأش الا ليك.. ولما فكرت ابعد لقيت نفسي ادام بيتك ف الشارع.. تسمي دة ايه يا ياسر.. صدقني في حاجة غلط!

ابتلع ياسر ريقه في قلق و انقبضت عروقه بيديه التي لامست جانب صدره الأيسر- شيء ما يرفض بداخل ذلك القلب إقناعه أن اجتماعهم خاطئ.. شيء ما يحاول رفض الفكرة وان علم بصحتها في أعماق ما داخله. شعر ياسر بالألم وهو ينظر إلى سارة بينما طرف مالك بعينيه حزنا على أخيه.. أخذ ياسر شهيقا ثم زفيرا ثم نهض دون أن يجيب سارة على كلماتها فأوقفه حديثها الذي صدمه بعرض الحائط للمرة الثانية في تلك المقابلة

- ياسر

توقف ياسر يستمع ما تود قوله لتكمل سارة بضياع وثبات

- أنا قابلته..

أكملت: قابلت الشيطان.. وعرفت كمان هو عايز ايه

عقد حاجباه بصدمة ليلتفت إليها

- يعني ايه قابلتيه! تقصدي ايه بكلامك؟

طرفت بعينيها لتكمل بخفوت

- يعني حصل الحوار التاني بين العالمين، بين واحدة مكانتش مصدقة ف حاجة والحاجة دي جاتلها لحد عندها وخلتها تبصم بالعشرة على وجودها واللي ورا وجودها

انحنى ياسر نحوها وعيناه تلمع غضبا ليتجول بعينيها وكأنه يقرأ مما وهو يخرج كلماته بترتيب هادئ محاولا إخفاء العاصفة داخله

- انتي عارفة تفاصيل أنا معرفهاش وعارفة الحل ومكانش عندك أي وقت تشاركيني بيه!

- كنت ببعدك يا ياسر.. ببعدك عشان خايفة عليك

- انتي مش خايفة غير على نفسك.. نفسك وبس

نظر إليه مالك بحدة

- ياسر اهدى

نهض لينظر نحو مالك وهو يشير إليه بسبابته أن يبتعد

- اسكت انت مش عايز اسمع مبررات متخلفة

عاد بالنظر إليها بين صدمتها

- أيام وساعات بدور وبدور.. ميت ألف بحث دورت فيه و انا بلف حوالين نفسي عشان بس اساعدك، و انتي مش فارق معاكي أي حاجة.. انتي مش فارق معاكي أي حد، بتظهري وقت ما تحبي.. وتمشي لما تحبي، ومبهمكيش بين الاتنين سايبة ايه وواخده ايه..

عقدت حاجباها بعدم فهم لكلماته لتلمع عيناها أمام عيناه التي لمعت ألما وهي تنقل بعينيها بحنين وكبرياء

- كل اللي عايزه مني الكتاب..

لم تكمل سارة كلمتها إلا وقاطعها ياسر الذي التفت بتجاهل ليسير مبتعدا

- مش عايز اسمع تفاصيل.. و اقولك على حاجة كمان

توقف أمام غرفة المكتب ليدير مقبض الباب ويلتفت ناظرا إليها لوهلة بحدة

- مشاكلك حليها بنفسك..

نظرت إليه بصدمة بينما طرف مالك بغضب من طريقة ياسر ليكمل ياسر وهو يزيح مقبض الباب ويدخل

- وشايف انك بتقدري تمشي.. فأمشي.

دخل ياسر إلى غرفة المكتب راطما الباب خلفه بغضب تاركا سارة في صدمتها وقليها الذي كسره ياسر للتو بينما اقترب مالك بخفة ليبتسم برقة جالسا أمام سارة التي رفعت وجهها إليه

- متزعليش.. هو متعصب شوية وهيهدى

نظرت إليه وخفضت عيناها بتفهم ثم طرفت بخفة لترفع عيناها بذلك الاتجاه من الجدار

شاهدت سارة تلك الصورة المعلقة ببرواز صغير تجمع بين ياسر ومالك وامرأة، تلك الحيوية التي مستها سارة بالصورة تخللت أمومتها عنوة.. وجدت نفسها تسأل بتلقائية مالك الذي ابتسم لها عندما التفتت إليه

- حلوة اوي الصورة دي.. دي مامتكم صح؟

اختفت ابتسامة مالك فجأة لتصدم سارة.. وظهر على ملامحه بعض الضيق

- انا أسفه مكنتش اقصد

- لا عادي.. قولت لسليم اكتر من مرة يشيلها بس دايما العبيط يرجع يحطها

- انت وياسر في مشاكل مع أمكم صح؟

- كانت

- الأم بتفضل أم يا مالك.. عمر ما كان في حاجة اسمها كانت.. اسمع مني انا مشوفتش أمي يعتبر كنت صغيرة أوي لما ماتت ومتنساش اني كنت أم وفهمت.. وقتها بس فهمت

قاطعها مالك بحدة

- الأم تفضل أم لحد ما تبيع ولادها عشان واحد يحسسها إنها صغيرة.. مفيش أم

ف الدنيا ممكن تسيب ولادها عشان واحد الا لو كانت ست مش كويسة..ومش أم

- ولو كان ابوك اللي اتجوز كنت هتقول كدة؟

نظر إليها مالك بصدمة ثم أشاح وجهه فأكملت سارة

- طبعا لا، ممكن تكون غلطت إنها سابتكم بس مش جريمة هتعاقبها عليها لبقيه حياتها.. إحنا هنا دورنا نغلط ونسامح ونصحح مش نجلد اللي أدامنا بذنوبه ونعلقهاله ذكرى بقيت حياته.. محدش عارف ظروفها ايه ولا مرت بأيه

- مفيش مبرر ف الدنيا إنها تسيبني في وضعي دة بعد ما أطلقت من ابويا عشان تروح تتجوز.. المفروض إنها كانت اب وأم مش من حقها تقرر تتخلى عن الدورين فجأة وبعدين ترجع لما بقيت راجل تطالب بيهم

- حسب كلامك يا مالك فانتوا اللي بعدتوا مش هي

- ليه وكنتي عايز اني اقبل اقعد مع صاحب ابويا اللي اتجوز أمي بعد عدتها ما خلصت بدون ما يراجعونا حتى ف رفضنا.. أمي لما رفضنا جوازهم عارفة عملت ايه؟

اتجوزته بردوا وسافروا مع بعض ورمونا.. ياسر اللي جوه ده مكانش غير مراهق لسه بيفهم الدنيا وبقى مضطر يبقى فجأة اب وأم وأخ.. كنت بحس اني مصيبه وقعت على رأسه وهو صغير حتى جوازه اخره بسببي لدرجة انه فسخ خطوبته تلت مرات.. عارفه ان حياتي اتدمرت بسبب اب وأم ميستحقوش ودمروا حياة اخويا معايا!

- يمكن عندك حق في كل كلمة.. بس كل إنسان بيغلط يا مالك.. لو قعدنا نحسب لكل واحد بالتفصيل اللي انت حاسه دة مش هنعرف حد.. يمكن تكون غلطت بس حست ولو حست متأخر مش مهم.. المهم ان في حاجة اتحركت جواها.. حاجة قالتلها انها محتاجاكم زي ما انتم محتاجينها.. اوعى تفكر ان في أم ف الدنيا ممكن متعمشش بحاجة ناحية ابنها! الست ممكن تبقى بتكره جوزها كره العمى وكارهه حياتها معاه وفجأة الطفل اللي بجيلها منه تحس ليه حب غريب.. تحط كل الحب ليه كل مشاعر الأمومة ميلتكولش الا من حب.. هي مش مضطرة تظهر حاجة لو

مش حاساها صدقني..

- ومين قال اني محتاجها؟

ابتسمت سارة ثم صمتت قليلا، لفت نظر سارة تلك العلامة على ذراع مالك فسارعت نحوه بخف

- انت متعور.. دي بتنزل دم

مالك وقد انتبه الى تلك الدماء

- تصدقي مكنتش واخد بالي

أكيد خبطت في حاجة وياسر شايلني

التقطت سارة منديلا من أمامها لتضعه على ذراع مالك وتضغط عليه

- دي تعويرة كبيرة.. شكلك اتخبطت جامد

- ما البركة في يسور حبيبي.. تحسيه شايل بهيمه مش كائن حي يعيش ويتعايش

ضحكت سارة ضحكة من القلب ثم نهضت بعد أن وضعت ذلك المنديل على جرح مالك وأخبرته بالاستمرار بالضغط عليه

- انا هروح اسلم على ياسر.. انا لازم امشي

أومأ مالك برأسه مبتسما

- ماشي ووصيه عليا عشان ميعضنيش بعد ما تمشي وتسيبيني لوحدي

ابتسمت سارة لتهم بالسير نحو مكتب ياسر فأوقفها مالك

- سارة لازم مشكلتك تتحل.. واحنا وراكي وهنفضل

طرفت بحب لتلتفت وتنظر إليه بامتنان لكلماته فشاهدت ابتسامته الرقيقة وهو يلتف بعربته ويشير لها برأسه بخفة أن تذهب لياسر وتكمل مسيرتها. ابتسمت سارة ثم اتجهت نحو الغرفة التي أشار مالك إليها، طرقت الباب عدة مرات ولم يأتها الرد، فتحت الباب بخفة لتجد ياسر يجلس على ذلك الكرسي لمكتبه بينما ينظر برهبة وتجمد في ذلك الدفتر بين يديه، اقتضب حاجبا سارة ودخلت إلى المكتب متجهه نحو ياسر الذي نادته مرات عدة دون أن يلتفت إليها حتى.. كان ياسر متجمد العينان بذلك الدفتر يقلب في صفحاته بنهم دون أن يعي أي شيء حوله ولا يستمع

إلى صوت سارة التي أصابها القلق من صمته، اقتربت سارة نحوه هزت كتفه فانتبه إليها ورفع عينيه إليها برعب

- مالك يا ياسر؟ وشك عامل كدة ليه!

دخلت سارة للمكتب محملة بكلمات عديدة لم تجد أيا منها تلك اللحظة. فوجه ياسر الذي وقع على بصرها خطف الأضواء من كل الكلمات وكل الحكايات التي ودت أن تضعها بين يديه وجعبته الآن وترحل بسلام..

نظر ياسر إلى الدفتر ثم أعاد النظر إليها برهبه.. سحبت سارة كرسي لتجلس بجانبه بقلق

- ياسر!

ولكنه قابلها بنبرة ضياع وفزع مرتبكة

- سارة.. الدفتر دة كاتبه ابويا، الكلام اللي فيه يخوف.. وكتير منه مش فاهمه

- انت أول مرة تقرأه!

- انا لِسّه لقيه حالا! دخلت ولقيته على المكتب.. قلبت في الصفح وقربت الكلام.. حاجة متتصوريهاش يا سارة

تناولت سارة ذلك الدفتر من يد ياسر المصدوم، قربته نحو عينيها قليلا لتقرأ ما كتب كالتالي:

«الصفحة الأولى لم يكتب بها سوى «: انه باليوم ٥ نوفمبر من العام ١٩٩٩ اليوم هو اسعد أيام حياتي، نسير الآن نحو تلك الجزيرة، تلك الجزيرة التي اختفى بها والدي منذ ٢٨ عاما مضى، حلمي الذي عشت طويلا وتقدمت ل منصات الأوائل لأصل إليه وها نحن نتجه إليها بقلب حالم وعقل مشرق، اكتشافنا اليوم لتلك الجزيرة سيغير مسار العالم.. ومسار تقديرنا العلمي كباحثين مصريين، آمل أن نعود سريعا فأضم أطفالي بسلام إلى صدري

قلبت سارة الصفحة لتجد الصفحات التالية مليئه بالكتابة مع اختلاف الخط قليلا، بعضه متعرج حاملا من التوتر وعدم الاتزان الكثير كمن قام بكتابته تحت ضغط ما، لمست أصابع سارة الورقة وبدأت بالقراءة:

من آلاف السنين اقتتل فئتان من الجن.. فسفكوا دماء بعضهم البعض حتى ملأت دماء الجن المحيط واختلطت مياهه الزرقاء باللون الجمري، فنزل غضب الله عليهم لجرائمهم في حق بعضهم البعض والإفساد في الأرض و أنزل عقابه عليهم.. فهرع من الجن القليل ليسكنوا الجزر والجبال والمحيط، فسكن قليل منهم جزيرة نائية وخرج من سلالتهم من يؤمن بالله وندموا على أفعالهم وغضب الله عليهم.. وعاشوا مسالمين إلى أن خلق الله البشر.. وأوقنوا أن لكل منهم عالمان مختلفان لا يتحدان ولا يجوز لأحد منهم التدخل فيه، حكم سليمان ف الأرض و اتبعوه الجن في ملك لم يهب إلى أحد من قبله ولا من بعده وكان المتمرد من المردة الكفرة التي سخرت واؤتمرت بأمره عليه السلام حتى مات النبي فعصى وسفك و انتهك و أفسد وأشاع الفتن بين قبيلته وبين بني الإنس..

مات النبي الملك ليخرج من سلالة الشيطان المردة الفساق والشياطين الكافرة لينشروا أسحارهم وكفرهم بين الناس ويدعون على نبي الله السحر والكفر بهتانا و انتقاما، فقتلوا وسفكوا وأشاعوا الفساد والسحر بين جموع العالمين إلا من آمن بالله وكذب الافتراءات على النبي المنزه عن الشرك، ولما شاع المتمرد الفاسق الفتنه بين عالمنا وعالمكم وكان الدرع الأعلى للشياطين وادعى الغيب وأغوى من ابن ادم الكثير اتحد من بنو جنسنا المؤمنين، وأعلن عليه (ملك الجان: سوهيال) السجن في قاع بئر عميق شيدناه في عصر النبي الملك بجزيرتنا وأغلقنا عليه البئر ونقشنا فوق غطاءه بنجمة داود السداسية كل ضلع يحكم خطيئته وتلتف به كلمات لغة أزليه لم يعرفها إنس من قبل ولا جان حفرتها أفواه الغربان التي اتبعت سليمان وحفظت بأسرتهم الى يوم البعث.. حتى أتى ذلك اليوم.

انطلق الهواء البارد من فم سارة التي شعرت بشيء ما يحدث داخلها.. انقلبت عينا سارة للون الأبيض بين رهبة ياسر الذي سارع بالوقوف جانبها يتفقدها بفم مذهول، وجدت سارة نفسها تشاهد مشاهد قصيرة، تعيشها وكأنها بها، تشاهد رجلا عجوزا يتقدم مجموعة ما تسير على الجزيرة ويلمس بعض الرمال بيديه بين قفازيه ويقوم بفحصهم، وشابا صغيرا يرتدي العوينات يسير بدهشة مما حوله فيصطدم ببئر ما.. وآخر يخرج من الأرض قطع ذهبية كبيرة لترتسم على وجهه

علامات السعادة وعدم التصديق فيعود للنبش بسعادة ونشوة..

- أنا لقيت كنز.. تعالو شوفوا.. الأرض كلها مليانه بالدهب!

تقدم العالم العجوز والباقيين نحو الشاب المذهول بفرحة ذلك الذهب ولكنهم لم يلبثوا سوى أن سمعوا ذلك الصوت الذي صدر.. التفتوا ليجدوا الشاب الو اقف أمام البئر يزيح ذلك الغطاء الثقيل جاهدا.. فسار العالم العجوز مسرعا محاولا إيقافه ولكن البئر كان قد أزيح غطاءه قليلا بالفعل، دفع العجوز الشاب لإبعاده فسقط الشاب أرضا وهو لا يفهم

- إحنا منعرفش البيردة هيطلع لينا ايه يمكن فيه حشرات أو تعابين برأي مين رايح تفتحه من غير ما تسألني الأول!

الشاب وهو ينفض بنطاله من الرمال الحمراء ثم يقف

- انا حبيت أشوف عمقه بس.. بص.. شايف حضرتك الكتابه اللي عليه دي لغة أول مرة اشوفها! تفتكر ليه مكتوبه عليه ومعناها ايه؟

نظر العالم نحو تلك النقوش المكتوبة على غطاء البئر ولمسها بأصابعه

- فعلا! دي مش أي لغة اعرفها دي لغة أول مرة اشوفها ف حياتي كلها رسوم ورموز بس مختلفة زي ما تكون لغة مش معروفة

- ودة معناه ايه!

- انت على جزيرة متعرفش ظهرت ازاي وامتى وبير متعرفش بقاله اد ايه، في لغات كتير اوي موصلتش للبشر أو موصلتش لعصرنا بالذات

- حضرتك بتقترح إنها لغة قديمة اوي كدة!

- كبر أفقك وتخيل انك واقف على تحفة من الزمن والتاريخ و اقبل اسرارها واتوقع حتى اللي متستوعبوش.. عشان كدة متتصرفش بتسرع ولا تسلم لاي حاجة الا بعلم

التاريخ مش أمن للدرجة دي..

لم يلبث الوقت أمامهم حتى أصبح ذلك الغطاء ينزاح شيئا فشيئا فابتعدوا بذعر الى الخلف وهم يشاهدوا ذلك الغطاء الذي يزاح أمام أعينهم وكأنه يذوب، اجتمع كل الموجودين خلف العالم العجوز والشاب يشاهدوا ما يحدث بعينين متوسعتان

وقلوب عمها الخوف، حتى أزيح ذلك الغطاء كليا لتخرج يدان كبيرة مرعبة ثم يتلوها رأس أكثر رعبا. ما خرج من البئر لم يكن إلا كائن لم تضاهيه بشاعة في الكون، بشع ومفزع إلى درجة الجام لسان الواقفين وحركتهم.. تجمدت دماءهم أمام خروجه ولم يتسنى حتى الوقت ليهربوا.. بل كان مصيرهم أسوأ مصير.. اخرجوا المتمرد! لينزع جلودهم واحدا تلو الآخر بيديه ويقتلع اعينهم بين ابتسامته الواسعة، عينا ضحيته التي تموت وتفقد أرواحها وصرخاتها التي قد تزلزل كوكبا تنعكس بعينيه الحمراوتين وهو يراهم يموتون من توقف قلوبهم من الفزع قبل تقطيعهم فعليا.. أما ذلك العالم العجوز فهو الضحية الأخيرة.. أبي.. المميز بشدة في نظر المتمرد.. فلم يكن مصيره سوى أسوأهم جميعا، نظر بعينيه ليخبره أن هناك من سيخرج من سلالته سيحمل شينا ثمينا.. في جيله الثالث.. وسيأتي هو ليأخذه في عامه الثامن عشر، ومن ثم ليلقيه بداخل البئر.. بين ظلمات الأرض ونيرانها حتى آخر الزمان.

سقطت دموع سارة وتجمدت عيناها برعب لتقلب بأصابع مرتعشة للصفحة الأخيرة

آخر صفحة مكتوبة:

عندما ذهبت للجزيرة لم أجد سوى الدماء.. كانت الرمال تشع دما.. خمسة منا لم نعلم أين اختفوا فجأة.. فوجئنا بتلك الجبال المخلوقة من الجمر! لنجد أنفسنا أمام قصر ما.. قصر يفصله عن الأرض درج كبير وضخم.. يوضع بأعلاه كرسي مطلي من الذهب ويجلس به شخص ما لم نشاهد له ملامح.. يرتدي زيا يشبه ملوك الحكايات الأسطورية يتخللها الكحلي والذهبي، لم يكن من نراه شخصا.. بل رأينا ملكا للجن يتمثل بالبشر، عندها علمنا ما حدث منذ ٢٨ عاما، أرانا ما حدث وكأنه حدث اليوم، انتابنا الفزع الذي غيرنا للأبد.. ليحذرنا بكلماته التي لم نفهمها..

«المثلثان اللذان اجتمعا ولم يكتملا

والعام الثامن عشر للجيل الثالث مقايض بروح برينة تميزت ضعفت فانهكت

لم أعلم شينا مما قاله ذلك الملك.. كل ما استطعت معرفته هو اسم المتمرد الذي بقي بذهني كابوسا.. «سرقيل»

• • •

الفصل السادس
(وماتَ سليمان والذرية تبقى)

رفعت سارة رأسها بعينيها اللامعتان من ذلك الدفتر لتشاهد وجه ياسر الذي بات قريبا منها وتنفسه المتقطع وهو ينظر إليها برعب وقلق

. انتي كويسه؟

نظرت سارة إليه وشردت نحو الأمام.. المثلثان اللذان اجتمعا ولم يكتملا العام الثامن عشر للجيل الثالث مقايض بروح برينة تميزت ضعفت فانتهكت

نجمع بعينا سارة الفزع و انتفضت بكامل جسدها وهي تستحضر ذلك المشهد.. لقد شاهدت سارة العلامة التي اخبرها بها الرجل! المثلثان اللذان اجتمعا ولم يكتملا..

لقد شاهدتهم سارة منذ قليل! انهم.. انهم..

تلك العلامة على ذراع مالك التي نشبت دما.. نعم إنها هي

مالك هو الجيل الثالث! الروح البرينة والأضعف بينهم.. مالك هو المميز.. الروح التي أنهكها المرض واليأس والوحدة..

رفعت رأسها نحو ياسر الناظر إليها عاقدا حاجبية بخوف، سقطت عيناها المفزوعتان بدموعها المغمورة كالنهر الحزين بعينا ياسر وهي تنتفض وخرجت كلمتها بغصة وفزع لتصطدم بوجه ياسر

. مالك.. مالك المقصود

اتسعت حدقتا ياسر بفزع وفمه المفتوح بدهشة وهو يسمعها.. عندها فقط عم الظلام كل شيء.. وانقطعت الكهرباء لتعلن أن الأسوأ قادم.

التقت النبضات المتعالية بقلب سارة وياسر بمنتصف الخوف.. الظلام يسكن كل شيء بينما تدوي صرخة مالك التي كادت تشق آذانهم.. ركض كلا منهم باحثا عن الباب.. اصطدم ياسر بأحد أركان الجدار لتصطدم سارة به هي الأخرى وتتعثر به في محاولة هروبها.. وهنا كان الجزء الأسوأ، ارتطمت سارة بياسر لتراودها الرؤية..

البصيرة تلبض بقوة.. البصيرة تزيح الستار عن كواليس لم تدرك سارة أن ساتر كوابيسها لم تظهرها بذلك الوضوح، عينا سارة غابت لجزء من الثواني في رؤية عميقة لمشهد واحد

ياسر ذو العينان البيضاء الذي يجلس على مكتبه في ثبات شيطاني وسكون مخيف متابعا عقارب الساعة المعلقة بتجمد بينما تسير العقارب ويختلف الوقت وهو لا يزال على موضعه، ثم تنتقل الرؤية بسارة المسكينة لتشاهد ياسر الذي يسير مبتعدا بعد حوارهم ونزاعهم الأخير نحو المكتب ليلتفت بغضب ومن ثم تبيض حدقتا عيناه بهذا الشكل المرعب ليعود إلى شكله الأصلي وهو يلتفت عند ذلك الباب وهو ينظر إليها قبل أن يدخل بغضب صافقا الباب.. ارتجفت سارة بين رؤياها بينما ينظر إليها ياسر بعدم فهم لتشاهد مشاهد متفرقة لياسر وهو يترا قص بمنزل (محمد.) ثم ياسر الذي يقف فوق مياه المسبح ليلا بابتسامة صفراء خبيثة وتحدي مخيف.. تساقطت قطرات من الدماء من انف سارة ولازالت رؤياها تفزعها أكثر و أكثر وهي تشاهد ياسر الذي يبصق حبلا ينتصف بعقدة من الشعيرات المقززة.. فتحت عيناها على عالمها الو اقعي من تلك الرؤى المفزعة لتسقط مهدورة القوى جاثية على ركبتيها بين ظلام الغرفة العبثي وهي ترفع وجهها بخوف وضياع مشاهدة ياسر الذي يقف ناظرا إليها بعدم فهم وخوف شديد، نهضت بفزع لتنظر إليه بتجول لا يدرك ياسر مغزاه بينما يتجول بها بضياع وعدم إدراك لتتراجع للخلف وهي تنظر إليه برعب.

ياسر وهو يحاول لمس ذراعيها

- سارة.. مالك؟ في ايه!

نفضت ذراعيه عنها لتصرخ وتركض نحو الباب فاتسعت عيناه بصدمة وهو يصرخ مناديا إياها ويركض خلفها محاولا إيجاد تفسيرا منطقيا لما تفعله فدوت تلك الصرخة ليرفع ياسر رأسه بصدمة وهو يتذكر مالك صارخا ولكن سارة دفعته للخلف بكل قوتها ليسقط بكامل فزعة ودهشته مما يحدث

بينما أمسكت سارة بمقبض الباب لتدفعه وتنطلق باحثة عن مصدر الصوت..

نهض ياسر مقاوما كل ما يعيقه.. توجه نحو الباب من جديد ولكن! ارتطم الباب بوجهه واغلق رغم محاولات ياسر المستميتة لفتحه.. طرق ياسر مئات المرات غضبا على جدار ذلك الباب وهو يصرخ بخوف.. ينادي مالك بألم دون جدوى.. يستمع تلك الصرخات فيقفز قلبه وهو يتخيل كل ما هو سيء يحدث لأخيه دون استطاعته إنقاذه.. سيخسر اثنان اليوم.. سيخسر أعز إنسان إلى قلبه.. وأحب إنسان إليه! وهو لا يفهم فقط.. لا يفهم الكثير.

أما سارة التي تعثرت بين جنبات الظلام لتنهض كل مرة وتكمل السير.. وصلت أخيرا إلى مصدر الصوت.. أدركت أن صراخ مالك يصدر من الطابق العلوي.. أمسكت بطرابزين الدرج وهي تصعد دون أن ترى شيئا.. دقات قلبها التي ترقص بتناغم مع ضيق تنفسها الذي تستطيع سماعه في ذلك الهدوء المعتم وصرخات مالك فقط هو كل ما تحصل عليه تلك اللحظة! كانت سارة تصعد كل خطوة وتشعر إنها تضعف أكثر وأكثر.. تشعر بالدوار.. شيئا ما يسيطر على قدرتها ويفقدها توازنها.. ولكنها بين عيناها التي على وشك أن تغلق كانت تقاوم.. تشعر في مكان ما داخلها أن حياة مالك تستحق الإنقاذ.. تلك التجربة التي حطمتها لم تستطع فيها أن تنقذ زوجها وابنتها.. واليوم يختبرها الله بابتلاء جديد.. ابتلاء أتى بعد إيمان فقدته.. ابتلاء أتى ليقويها وينتزعها من الهوى..

ذلك هو الاختبار يا ياسر.. انه الاختبار الذي أخبرتني عنه وأنا لا اعرف من انت وما انت!

تمكنت سارة أخيرا من الوصول لأعلى الدرج.. انطلقت مسرعة تترنح بين توازنها المفقود ودرجة حرارتها التي بدأت بالارتفاع من جديد وهي تتصبب عرقا.. شيئا ما سينفجر بداخل سارة ربما عضو ما أو خلايا المخ التي ستذيبها تلك الحرارة بالتأكيد.. ولكن مالك أبقى.. مالك هو الحياة الجديدة.. أما هي فانتهت ولا يفيد حياتها من العدم احد

توقفت أمام باب غرفة مالك لتزيح مقبض الباب بين الظلام والسكون وهي تشتم تلك الرائحة العطرة الغريبة، صرخات مالك تعلو والرائحة التي لم تشتم مثلها

من قبل تترقرق إلى أنفاسها بجموح أخاذ.. وهنا انفرج الباب إلى عالم آخر.. إلى أسطورية مشهد جديد

الآن:

الهواء مختنق.. حلقها أكثر التصاقا.. وميض خاطف يسرق بصرها وذلك الصفير المرتفع يعصف بأذنيها بينما تشعر باستلقاء جسدها فوق الملمس الناعم ذاك، تجولت عيناها بداخل حدقتاها وجفونها تحاول الارتفاع بتعثر.. ثقلا فوق عيناها يجعل الأمر مستحيلا بغاية المرارة..

أصوات هنا وهناك وصراخ مالك لا ينطفئ، تعالى صوتها ببحة ووهن

- مالك..

قالتها سارة وهي لازالت منسدحة فوق الرمال الناعمة لتفتح جفنيها بصراع كاد أن يهلكها فحلق منعكسا بعينيها لون الجبال الجمري الذي يقابلها، طرفت عدة طرفات متتالية في استعادة توازن الصورة الكلية لتتوسع عيناها بثبات ويكبر بؤبؤيها، رفعت جسدها لتنزاح الرمال الحمراء عنه بنعومة لتنهض شيئا فشيئا حتى توقفت بعدم اتزان وهي تنظر الى المشهد القديم بإضافات حديثة من الفانتازيا، لمعت عيناها وهي تشاهد البيوت ذاتها والجبال العملاقة تتلألأ بلونها الناري في ضوء شمس لم تراه من قبل هكذا، بينما تقف تلك الفتحة المتلونة التي تشق الهواء بتفرعات كهربائية متعددة بكل اتجاه..

فجوة متلونة باللون الأزرق تقف على بضع مسافة من الأرض مخرجة تفرعاتها المتشعبة وتلك الهالة الأرجوانية الهلامية تملأ الهواء عن جانبيها وارتفاعها وكأنها تقف سدا منيعا أمام المنازل والجبال التي تقع خلفها، وكأنك تقف أمام بوابة زمنية لابد لك من اجتيازها لتدخل إلى محيط الحياة خلفها..

ابتلعت ريقها بضياع وهي تتأمل تلك الفجوة بعينين تتجول يمينا ويسارا لتطرف بثبات وتندفع بلا تفكير طويل خلال الفجوة الدائرية.. طرفت بعينيها لتجد نفسها تقف في أقصى ما رأه البشر جمالا، بهو قصرا عظيم من الداخل.. تلك الشمس تسير بشعاعها القوي في خط متعرج بتتالي يخترق تلك النافذة ليسير نحو اليمين

ويخرج من النافذة الأخرى تاركا ظلاما مستديما تشقه قناديل بدائية من الذهب تشعل واحدا تلو الأخر بتناغم وتتالي بين أروقة الهو العظيم لتصنع مربعا ضونيا ساحر يكشف فيه الليل عظمة البناء ويتلألأ فيه المجوهرات واللآلئ والكوارتيز بين أروقة الهو وسقيفته ليظهر الطلاء الفضي الذي يغطي الجدران ونقوشات الذهب التي أخذت تنسدل بشكل سحري وترسم من العدم ليتكون المشهد الأخير بحذافيره أمام عين سارة التي لا تصدق روعة ما تقف به، الأرض الزجاجية تحتها ترى خلالها الأسماك الفردوسية الملونة و أنواع مختلفة من دواب البحر التي تعلم بعضها ولا تعلم عن أكثرها، جمالا لم ترى مثله ولن ترى فوق تلك الأرض أشباهه أخذ ينتقل ببصرها بين أروقته ويتخلل التفاصيل الغير عقلانية لتشاهد خطوط الأبخرة التي أخذت تتكون وتلتف حولها بينما تنظر إليها بصدمة وتشتم رائحة الطيب الرائعة تلك التي تكاد تسلب عقلها!

وذلك الصوت.. ذلك الصوت الجميل حلق فجأة بآيات القرآن لتقف سارة مسلوبة الإرادة تستمع بعشق ويستكين قلبها براحة من جمال الصوت ودقة الكلام الذي أتى بردا وسلاما على قلبها

لمعت عيناها لتطرف بضياع وثبات ليأتيها ذلك الصوت عن خلفها

- مات سليمان الملك

عقدت حاجباها برعب لتلتفت للخلف بعينين متوسعتان وتشاهد الرجل العجوز من جديد، نعم إنه ذلك الرجل بعينه في رؤياها القديمة يجلس على وضعيته موليا ظهره إليها كما كان من قبل تماما

- خلقنا الله قبل آدم بألف عام، ولكن قومي أفسدوا ف الأرض و انتشرت حروبهم للمحيط وسفكوا دماء بنو جنسهم، فحل غضب الرب علينا فتاب منا من تاب وعصى وتمرد من عصى، وانتقلت قبيلتي لتسكن جزيرة ملأتها خيرات الدنيا والتشربنا المؤمنون التائبون، وكان منا إبليس.. صعد إلى الملأ الأعلى فكان عابدا زاهدا لله، وعندما خلق الله آدم تمرد ابليس على الله ولم يمتثل بأمره.. فسقط من ملكوت الرب الى الأرض الدنيا فتوعد ادم وذريته الى يوم يبعثون

ترقرقت دموع سارة عن عيناها وهي تسمع كلمات ذلك الرجل بقلبا منتفض واذان مصغية ليكمل

وسقط ادم الى الأرض بعد خطيئته الأولى، واصبحت الأرض ملكا للعالمين عدوا الى بعضهم البعض الى يوم الدين..

ارسل الله انبياءه ورسله هداية للإنس والجن.. فمنا ومنكم من امن ومنا ومنكم من كفر

ومات نبي الله داود تاركا نبيا اخر..

كان النبي الملك سليمان.. فجعل الله له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر له الطير والرياح والجن والإنس، كلا مسخرا بأمره بمنحة من الله فكان لكل جني عملا يكلف به.. فيشق الأبار ويخرج اللؤلؤ والذهب ويبني القصور والأحواض لتجمع المياه، وتفشى العدل والسلام بين بني إسرائيل عاما بعد عام، وحرق سليمان كتب السحر التي نفثها الشياطين بصدور الإنس بل وحرق السحرة وكل من اشتبه فيه ليغلق باب الشياطين و اتصالهم بالبشر نازعا سلطتهم التي مارسوها على بنو ادم طيلة قرون، وفي كل عام كان حقد الشياطين على الملك العظيم يكبر ويتسع.. فحتى المردة الفسقة وكبار الجان كانوا يخرون باستسلام أمام الكرسي الكريم ويعاقب منهم من يعصى اشد العقاب ويصفد أمام بنو جنسه فيزداد حقدهم أكثر واكثر.. إلى أن مرض النبي.. مرض نبي الله مرضا عضال فلم يستطع إنسا ولا جان أن يجد علاجا، ابتلاه الله فقبل الابتلاء واستغفره وتاب إليه.

استغفرت سارة بصوتا داخلي لتشاهد يدا الرجل تتكأ على عصاه فوق بعضها البعض ويكمل من جديد:

ظن الجن أنها النهاية وأن النبي الإنسي الذي فعل بهم ما أذلهم بعد أن سعوا فسادا و اقتنصوا من البشر ما اقتنصوا سيموت لا محالة، فضعف سليمان أكثر واكثر على مرأى منهم.. وقرروا أن يجدوا انتقاما مناسبا لمذلتهم طيلة تلك الأعوام، وما أقصى من انتقام هو إغواء اتباع النبي، فانتشر الشياطين بين قومه لينشروا السحر ويعلموه للناس ويبجلوا السحرة في اعين الناس أربعون يوما، فكتبوا كبارهم أعتى

كتب السحر ودونوا طرقهم الخاصة ليخرجوا بابن ادم إلى الكفر والشرك ويفتحوا الباب الممكن بين العالمين بعد أن اغلق سليمان كل أبوابهم ودفنوا تلك الكتب اسفل الكرسي العظيم بمسافة يستطيعون الاقتراب منها دون أن يحترقوا وهم على استعداد لإخراجهم للنور فور انتهاء المرض من النبي الذي أذلهم.. ولكن سليمان عاد من جديد.. عاد النبي من ابتلاءه ومرضه أكثر قوة وصلابة وعزما فخاب أملهم وعادوا أذلاء مقيدون بأمره دون مقاومة منهم إلى أن مات الملك.. مات سليمان.. مات نبي الله سليمان، طيلة عام كامل كان ميت ولم يعلم الجن ذلك، ففزعوا واختلطت بهم الموازين.. عام كامل يا سليمان و انت متكأ فوق ذلك العصا ونحن نبني ونخرج ونحفر بكل مذلة بلا علم منا..

حتى و انت ميت يا سليمان يتم إذلالنا هكذا؟ حتى و انت ميت تثبت إلينا أننا لا قدرة لنا على علم الغيب!

سقطت سارة جاثية على ركبتيها من هول ما تسمع ليرفع الرجل رأسه قليلا متابعا بصوت رخيم

مات سليمان النبي..

مات العدل في بني إسرائيل.. مات الملك

مات سليمان

أخذت عينا سارة بالابيضاض وهي تنفث بخارا ابيض من فمها ببرودة بينما ترتجف رأسها

أكمل الرجل

-وعادوا.. عاد الفساد والهلاك.. انتشر الشياطين انتقاما من الملك العظيم في سائر انحاء الأرض ليخبروا العالم أن سليمان ساحر، ظلوا سنوات وسنوات ينتظرون الفتنة المعبودة.. الفتنة الشريرة التي تناسب طموحا شريرا، حتى نجحوا في إقناع الحاسدين بإخراج تلك الكتب، وعندما وجدوها قالوا إنها لسليمان.. إنها سحره.. إنها عهده الذي حصل به على الملك وسخر به الطير والرياح والجان، فتنوا الناس بالسحر ونشروا بينهم الفتنة بالنبي.. فأخذ بنوا إسرائيل يتناقل الخبر.. وأصبح

الملك ساحر لا ينسبوه إلى النبوة ولا إلى التوحيد

كذب الشياطين وصدقهم الفساق.. وعاد السحر وانتشر الفساد، وكان منهم وأضلهم المتمرد.. ابن قبيلتنا.. أكثرهم شرا وحقدا، خادم السحرة وكاتب السحر والمسلط على بنوا الإنس لعقود طويلة، المتمرد العاصي الذي كره سليمان وكره عهده وعاد بشره للعالمين، فكان يسفك الدماء من أبناءنا كما يسفكها من أبناءكم، يحاول فتنة المؤمنون فينا ويتخذهم خداما للسحر الأسود، دمج العالمان و أفسد فينا وفيكم.. ولما اشتد شره اتحدنا.. امرنا الملك سوهيال بقتله، ولكننا لم نكن على تلك القدرة لمواجهته تلك.. سحر البشر وكفرهم وكثرة الخطايا كانت تزيد قوته يوما بعد يوم حتى أصبح لا يقهر أمام قوانا، وما كان أمامنا سوى أن نسلسله بسحر قديم.. سحر يبقيه لمدة قصيرة خائر القوى.. مدة تكفي لسجنه مدى الأرض والى يوم يبعثون.. فوالله لم نكن نرغب في ممارسة السحر ولا الاقتداء به ولكنه كان منجانا، وعندما قذفناه إلى البئر العظيم الذي بناه في عهد سليمان العدل اغلقنا عليه بغطاء منقوش بنجمة داود السداسية فوق كل ضلع تميمة تحمي بنوا الإنس من شر الشياطين، كنا ننقشها بإيمان مخلص وتلتف حول النجمة الغربان لتنقش بمنقارها احرف أزلية للغة قديمة لا نعلم ما فيها، كانت غربان تتبع سليمان قديما وتنقش نقوشا لا علم لنا بها فتلمع في ضوء الشمس وتتوهج، وحملنا من تراب الجان ثلاثا.. ثلاثا من رمادهم الأحمر المقدس، رماد ثلاث ممن آمنوا بالله فقتلهم لأيمانهم ذاك.. ومسحنا على البئر به لتبقى أرواح المؤمنين منا يقظة على الفاسق، عشنا دهرا نسمع عن السحر ومن فسق منا.. تجري الحروب مجرى الدم منكم وتسفكون دماء بعضكم وينزل الله فيكم أنبياءه فتهتدون.. حتى أتى آخر الزمان.. انتشر سحركم وزاد تبجيلا لنا، امتلأت قلوبكم بالعنف والبغض.. وترك إبليس فيكم «الكبر» خطينة تنتقل جيلا وسلالة، تكفرون وتزنون وتقتلون وتستبيحوا.. فكان الغطاء يزاح وتخفت نجمتنا ويفقد الكلمات توهجها مع كل خطينة، لم ندرك أنكم تحررون الشر بخطاياكم.. لم ندرك أن الشر يتعلق ببنت شعرة بكل ذنب وكبيرة يرتكبها ابن ادم.. كان الغطاء يزاح ولم يجرأ أيا منا على الاقتراب.. حتى أتوا..

هنا شعرت سارة برأسها تجذب للخلف ليرتفع وجهها للسقيفة بعينيها البيضاء المخيفة لتشاهد فجوة تفتح وكأنها غيمة من الذكريات تنبثق من جديد..شاهدت تلك الرؤية من جديد.. العالم العجوز وتابعيه.. الجزيرة والبئر وذلك الشاب الذي يعبث وينبش بما تحتويه الأرض، جد ياسر ومالك الذي يؤنب العالم الشاب على إزاحته غطاء البئر، كل ذلك كان يسير بسرعة مفرطة بأحداث متتالية بداخل الغيمة ليكرر من جديد وكأنه شريط فيديو يتقدم كلما انتهى محتوى الفيلم فيعود للبداية ثم ينتهي سريعا ليعود للبداية من جديد

- اطرقي الباب لتري

تلك الأثناء:

مكتب ياسر:

فتح عيناه متجولا ببؤبؤيه بين تلك السقيفة ليدرك انه مستلقي على الأرض في ظلام تام يتخلله بقعة ضوء صغيرة عن يمينه من ارتفاع ما، ابتلع ريقه لينهض جالسا في وضع الجلوس ويلتفت برأسه ف اتجاه الضوء ليشاهد الضوء المنعكس من تلك ساعة الحائط المعلقة على الحائط بمقابلة مكتبه فعقد حاجباه بعدم فهم! تلك الساعة لا تضيء.. لم تكن يوما تضيء فكيف تضيء الآن!

توقف بترقب وخوف وهو يلتف حول ذاته منتظرا حدسا مريبا أو صدمة ما تلتقط أنفاسه الأخيرة بين ذلك السكون وعقارب الساعة التي تدور بشكل مستمر وغريب بزمن بمرولا ينتظر! زادت بقعة الضوء ليفتح عيناه بذهول وعدم فهم وهو يشاهد ضوء الساعة المنعكس الذي أخذ يتسع ويتوهج حتى اصبح يتمدد مغطيا المكتب بكامله.. عقد ياسر حاجباه بصدمة والجنون يكاد يخطفه ليلتفت ويشاهد هالة شفافة تتكون على ذلك الكرسي بعينه.. كرسي المكتب اللعين ذاك، كرسي المكتب المتبقي من رجل رحل بين أثاث منزل كامل تم تغييره ليبقى هو وذلك الدفتر فقط كل بقايا الراحل.. كل بقايا الغائب.. كل بقايا الأب الذي حن إليه ياسر كثيرا وضربه الشوق إليه أشواطا لم يستطع يوما أن يقذفها خارجه أو يحكيها لأحد!

تجمعت بعين ياسر الدموع وهو يستوعب ذلك التكوين الرائع واللغز المتأجج

الذي ينبض أمامه الآن. فصورة والدة التي أخذت تتكون شيئا فشيئا بتلك الهالة الشفافة جالسا فوق الكرسي وهو يقلب صفحات كتب ما بانهماك ويكتب ويدون في ذلك الدفتر بتركيز دون أن يرى ياسر حتى أبقت ياسر مسلسلا بحمل الذكرى والحنين.. الحنين حتى وان كانت لشبح!

كان المشهد أقصى من تحمل ياسر أو استيعابه لكل ما يحدث تلك اللحظة. كلمات سارة وذلك الدفتر والباب الذي عزله عن المقاومة والحرب وكأنه سجين مكتبه إلى أبدية قادمة وتلك الساعة وذلك الأب الشبح الذي لا يراه.. كل تلك خلطات لا تنفك عن بعضها جعلته شاردا بلا وجهه.. ابتلع ريقه هو بر اقب شبح والده الذي يكتب بانهماك ويبحث بشغف وعيناه تلتف بالحمار والوهن وكأنه لم ينم منذ أمد طويل الشأن لا علم لمخلوقا طينيا فيه ليشعر فجأة بتلك الأنفاس العارقة التي تضربه من كل الاتجاهات فانتقل بصره لليسار ليشاهد ثلاثة نساء متشحات بالسواد مغطيات الوجه والرأس يلتفون حوله تماما في دائرة تحكم حركته من كل اتجاه وكل زاوية مستطاعة!

توسعت عيناه بفزع وهو يتنقل ببصره بينهم ويقع عينه على والده الذي لازال يفعل ما يفعل دون أن يراه أو ينتبه إليه بينما يلتفون حوله ثلاثة جنيات من الجحيم لا يرى منهم سوى عينان جاحظتان لا تنغلق خلف الغطاء الأسود الذي لا ينعكس من ملامح وجههم خلاله سوى العينان المرعبة. قفز قلبه وهو يشعر أن نبضته الأخيرة و انقباضته آتية في ذلك الوقت لتنهي صراع العبث والرعب هذا بينما يستمع إلى تلك الهمهمات التي تخرج منهم بهماس مفزع ومتتالي دون أن يفهم شيئا منها على الإطلاق كل ما في الأمر إنها تثير قشعريرته وفزعه وتعجل بسقوطه دون مقاومة ثم تطور الأمر ليتجاوز مجرد الهمهمات إلى لمسات متتالية. شاهد ياسر الثلاث نساء وهم يرفعون أيادهم الملتف حولها شاشا قديما مهترئ قاذفينه بتراب أحمر غريب بينما يرددون همهماتهم دون توقف ليصرخ ياسر بفزع..

توقف النساء لينظرون إليه نظرات متصلة بين عيناهم المرعبة فانتفض ياسر وهو يتنقل بعينيه بينهم بجنون لترفع احدهم سبابتها الطويلة نحو رقبته وترسم

دائرة بطرف اصبعها لم تكمل بتلك النجمة السداسية داخلها فتمتلئ تلك الرسمة ونشع دما لتصبح دائرة بداخلها نجمة سداسية بخطوط من الدماء.. أسقطت يدها بينما ينظر إليها ياسر بعينين متوسعتان تمتلئ بالفزع لترفع الأخرى يدها بهدوء تستفز بها على صدره وكأنها تبصم بكل قوتها شيئا حتى أخذت تلك الكنزة تتمزق شيئا فشيئا حول يدها ليبتعد كفها المخيف تاركا تلك العلامة على صدر ياسر العاري فسقط بصره بارتعاب ير اقب علامة اليد التي تشبه الحرق على جلده والتي يستقر بمنتصفها تلك الرسمة بعينها.. الدائرة المنتصفة بنجمة سداسية.. رفع وجهه إليها بصدمة وعيناه تلمع رعبا لتنحني الثالثة بوهن ويخرج صوتا عجوزا خافت يشبه الهمس إلى أذن ياسر من تلك المرأة.. كان صوت المرأة العجوز الهادئ وكلمتها أكثر ما قسم ياسر رعبا في تلك القصة وفي كل ذلك الفزع بعينه، فصوت المرأة العجوز أتاه بكلمة أفزعته أكثر من إنها شتتت استيعابه

- هلاك ابن ادم القلب..

قالتها المرأة ليتلاشى الثلاث نسوة في بخار احمر تلاشى وذاب سريعا قبل أن يدرك ياسر أو يفهم حتى مغزاه تاركا ياسر متجمد تسقط عن عينه تلك الدمعة ببرود وكأنه غائب عن الوعي والحياة..

ياسر لم يفهم.. لم يفهم من هم وما قصدته حتى، لم يفهم ما يحدث ولا لما أيضا وكل ما أدركه أن أسوأ قادم هو لا يعلم سببه وكيفيته ليجد حله من الأصل!

- اقذف ما في جوفك يا ياسر

أتاه الصوت من الخلف فرفع وجهه بعودة من شروده مخترقا ذلك الصوت إلى أذنه كل معايير الانتباه

***

شاهدت تلك الرؤية من جديد.. العالم العجوز وتابعيه.. الجزيرة والبئر وذلك الشاب الذي يعبث وينبش بما تحتويه الأرض، جد ياسر ومالك الذي يؤنب العالم الشاب على إزاحته غطاء البئر

كل ذلك كان يسير بسرعة مفرطة بأحداث متتالية بداخل الغيمة ليكرر من جديد

وكأنه شريط فيديو يتقدم كلما انتهى محتوى الفيلم فيعود للبداية ثم ينتهي سريعا ليعود للبداية من جديد

الرجل

- اطرقي الباب لترى

اتسع البياض بعينا سارة ليملأها ولازال وجهها مرفوع إلى السقيفة لتشعر أنها تنسحب إلى داخل الغيمة ذاتها.. وكأن جسدها انسدل بروحا مرنة لينساب إلى داخل الغيمة حتى باتت داخلها بالفعل بل وترى ما يحدث وهي تقف بينهم على ارض الجزيرة بكل أريحية وواقعية، تقف بين نصفا من ليل ونصفا آخر من النهار! سارة كانت تقع في أكثر البقع جنونا.. تشاهد نفسها تقف على ارض الجزيرة بنصفها الأيمن وتشاهد بئرا قديما يعبث بغطائه شاب منهر ويقف خلفه مجموعة آخرين كلا منهم ينهمك في دراسة تربة وآخر في نبشها بفرح.. وذلك العالم العجوز يمسح عوبناته بتأني وهو يتفقد الأرض بعينيه بحاجبين منعقدان..

ذلك كان نصف سارة الأيمن ولكن إن التفتت بوجهها لليسار فستشاهد جنونا آخر لا تعلم ما أتى به إلى هنا، مشهدا لمحمد زوجها وهو يعزف البيانو وتلك الموسيقى تغطي المشهدين..

محمد يعزف البيانو وظهره موجهه إليها وأصابعه تضغط الأزرار بحماسة دون توقف في فيلته التي شاهدت فيها شيطانها مرتين! إنها نفس الفيلا ومحمد يعزف على نفس البيانو في ذلك الركن الجحيمي في عتمة طويلة وليل داكن لا يمتد خلاله سوى ضوء قمر ينسدل من تلك النافذة المنتصفة لموضع محمد وغرفة الجلوس! يا الهي.. نصف مشهد من ذاك ونصف مشهد من ذاك بنهار وليل يحضران في آن واحد ولا يندمجا! خطا فاصل لا تراه بين المشهدين ولا تميزهم سوى بجسد سارة الذي تقع ساقه اليمنى على الجزيرة وساقة اليسرى بمنزل محمد!

وكأن نصفان يسحبا جسدها إلى الهاوية على عزف محمد الذي راقصها الشيطان بالأمس الذي لا يتوقف محمد عنه وكأنه يضع موسيقى تضيف لمرارة ما يحدث لها نكهة اخرى من الرعب.. التفتت بوجهها إلى مشهدها من الجزيرة لتنساب

بكامل جسدها نحو البئر، ارتفعت الموسيقى أكثر فأكثر لتقف سارة مراقبة هول ما تشاهده..

مهلا! أذلك الدفتر لم يدون فيه كل شيء أم أن جنونا آخر يحدث الآن؟!

أذلك جزء مفقود؟ أتلك العوبة ما! يا الهي ماذا يحدث..

لمعت عينا سارة بصدمة وهي تشاهد الحقيقة على قدمها وساقها، ذلك العالم الشاب الذي توقف أمام البئر كان يضع يده فوق كل ضلع من تلك النجمة وكأنه يمسكه بالفعل ليحيد به باتجاه معاكس فتشاهد سارة ضلع النجمة وهو ينكسر بالفعل! سارة لم تفهم كيف يفعل ذلك! ولكنها شاهدت ضلوع نجمة منقوشة فوق كل أضلاعها حروف غريبة وهي تنكسر وتذوب وتختفي فوق الغطاء بسهولة بين يدي ذلك الشاب التي شاهدته في رؤياها الماضية!

شاهدت سارة حروف متوهجة فوق الغطاء تنطفئ.. الغطاء يتم إزاحته بواسطة الشاب لينطلق العالم العجوز نحوه ويوبخه بينما يقوم الشاب بلفت نظر العالم إلى نجمه مزيفة تنشأ فوق سطح الغطاء فجأة!

ومن ثم زلزالا.. الأرض تتحرك فيسقط الفريق ويتجول كلا منهم بعينيه برعب في البحث عن الأسئلة حولهم وفي عيون بقيتهم.. وهنا يلتف العالم الشاب ناحرا واحدا تلو الآخر تاركا العالم العجوز الذي لملم ذاته بفزع خلف البئر وهو يرتعد وذلك الرجل ينتفض بجواره بعينين متجمدة فزعة من هول ما رأت، مسح الشاب الدماء عن ذراعه أمام مشهد الجثث المقطعة في عبثية ووحشية أمام عينا سارة المتوسعة بفزع ليسير بخطوات واثقة باردة ويزيح بقية الغطاء ليخرج كائن لم تر عينا المرأة مثلها من بشاعة!

ضيقت سارة عيناها بعدم استيعاب وهي ترتجف بطعنة الحقيقة لتشاهد الشاب وهو يرسم ابتسامة خبيثة على جانب وجهه ويتحرك بجانب ذلك المخلوق المفزع ليقف كليهما أمام العالم العجوز وذلك الرجل..

صرخ الرجل بفزع شديد بينما انتفض العجوز وصورة المخلوق تنعكس في زجاجات عويناته بوضوح، وهنا اقترب المخلوق لينتشل أعناقهم بين يديه ويتجول

بفم متسع لأسنان قذرة وعينان حمراء وهيئة خبيثة بين عينهم المرتعبة وقلوبهم التي لا تحتمل ليضع كلماته

«سوف أشق الأرض يوما ما لألتقط جيلكم الثالث.. وسأبعث إليهم الخطايا وأنهك فيهم القوى.. ولأرجعن بهم إلى قاع البئر.. واكتبن فوق جسده سحر الثلاث عقود و انزع جلده في كتاب لم يرى مثله من شر»

نظر نحو جد ياسر ومالك نظرة مرعبة مطولة

- أكاد أشتم أن المنتظر منك.. المميزون يخلق منهم المميزون..

نظر إليه الجد بارتعاب فأكمل المخلوق

- في جيلك الثالث مميز.. المميز المعهود

انتقل ببصره الى الرجل الآخر ليفتح عيناه بشدة وحقد ويكمل

- واسمك باسم ماضينا..

ثم ابتسم باتساع و انتصار

- و أتيك بذرة شر تنبسق من دماءك، ستكون بذرتك لي أيضا..

قالها ليدق عنق الرجل الذي أخذت قدمه تقاوم عبث الهواء بثوان معدودة بعد أن دقت عنقه لتسكن تماما وينساب جسده بحريرية من بين يدي الشيطان ليرتطم بالأرض في برودة الموت بينما تجمد العالم العجوز بيد الشيطان منتظرا أجله التالي ليبتسم المخلوق بخبث وترتعد ضحكاته بعد ذلك ثم يرفع يده بوجه مفزع تحولت ملامحه للغضب الشيطاني الناري ليقذفه في ذلك البئر بسلام حتى تسمع صوت تحطم عظامه..

ارتجفت سارة بسائر جسدها بفزع وذلك المشهد تجمد أمامها وهي تحاول فهم الكلمات التي قالها الشيطان للرجلان، أدركت أن المقصود من الجيل الثالث المميز هو مالك من قبل ولكن بما قصد كلماته للرجل الآخر!

تنقلت بحيرة بين المشهد المتجمد وهي تهمس بخذلان، لم تفهم سارة.. كل ما يخبرها به ذلك الجني الطيب هو أن تطرق الباب وكل ما فسره به ياسر أن تفتح بصيرتها فترى نوع الحقيقة.. ولكنها تفتح كل ابوابها وتبذل كل وسعها ولا شيء ينتهي، الأسئلة

تكثر كلما اقتربت من حل ما قبلها لينعقد الأمر مرة أخرى والوقت ينفذ ومالك بهالك في مكان ما الآن دون أن تصل إليه، سقطت دمعة عن عينها باستسلام والم . مش عارفة.. مش عارفة افهم

شعرت سارة بتلك الضمة.. تلك الضمة الحنونة التي نزلت بردا وسلاما على جسد انهكه الزمن والشياطين والكون الذي تعقد حولها، ضمة من غائب أتى في أكثر فزعها نزلت كقطعة من الثلج على وجنتان فردوسيتان بمذاق من السكر.. همسا للموتى الأحباء أتى بكل الحنين وكل الدفء إلى صدروقلب عطش، ضمة.. ضمة كانت بألف إجابة وألف حل وألف طريق

. بصي بقلبك..

شعرت سارة بضمة الراحل.. ضمة زوجها الحبيب ونسمات هوائية تتطاير بشعرها في طريقها وتلك الكلمة تبث إليها بهمس عميق حنون ليتلاشى من ضمها تاركا جسدها الذي سكن بطمأنينة الحضور وإرادة الحي يتجدد.. يتجدد بكل قواه بابتسامة رضا ويتقدم، طرفت بعشق و ابتسامة ساحرة تملأ وجهها المتعب لتتقدم وهي تضع يدها برقة فوق قلبها، قلبها يرشدها الآن.. قلبها يخبرها.. يخبرها أن تقف هنا.. أن تسير بذلك الاتجاه.. هو فقط يخبرها.. وهي فقط تفعل ولا تعلم لما تلاشت صورة الشيطان ومؤازرة لتسير بخطوات هادئة ثابتة نحو جثة الرجل الملقاة على الأرض، تطايرت شعراتها وهي تدقق النظر إليها بعمق ينساب فيه الدموع.. عمقا دمويا مرعب تسقط فيه بكل أطرافها عنوة ولكن لا لابد لها أن تتحدى، أخذت تتأمل الرجل و أناملها الرقيقة تستقر هنا تماما.. فوق ذلك القلب.. فوق بصيرتها.. فوق طريقها.. عقدت حاجباها فجأة وهي تقع بعينها على ذلك السلسال بعينه.. إنه نفس السلسال الذي انتقل إليها من والدها.. انه هو بعينه! نفس السلسال التي فقدته في ذلك الحادث

كيف يحدث ذلك! يا الهي كيف يحدث! ما الذي يربط حاضرنا بالماضي.. وماذا يربط الاثنان بمستقبل يخيفنا..

طرفت بغصة ومرارة وهي تنتبه.. وهي تدرك.. كيف لم تنتبه الى الشبه السحيق!

كيف لم تتذكر.. تلك السلسة ارث الجد..

الجد الذي اخبرها والدها يوما انه رحل.. مات في حرب ١٧٣

الجد مات يا أبي ولكنك كذبت.. ولا أعلم لما فعلت.. وكل ما أدركه الان سبب اجتماعي بمالك وياسر.. فجميعنا في لعنة ثلاثية تمتد بسلالة..

***

- اقذف ما في جوفك يا ياسر

أتاه الصوت من الخلف فرفع وجهه بعودة من شروده مخترقا ذلك الصوت إلى أذنه كل معايير الانتباه. التفت بعينين لامعة بضياع ليشاهد والده الذي يقف بالقرب منه وهو ينظر إليه بنظرة تمتزج بين الحنين والحزم..

دهرا مضى.. دهرا من الغياب مضى..

وكل عام انقضى طيلة ذلك الدهر تناسى فيه ياسر شيئا من تلك الملامح..

وجهه لم يتغير.. وتلك الهالة الصفراء التي أصبحت تمتزج بلون بشرته لم تختف أيضا وكل ذلك هو ما يتذكره ياسر..

الغائب يعود ويقف أمامك فجأة من الزمن البعيد.. عودة مخيفة ولكنها تنتقل بك بكل الشغف بين حلاوة لا تعلم من أين خرجت داخلك.

طرف ياسر بعينه بحيرة وهو يلتف بجسده ليصبح الاثنان متقابلان.. انه سالم.. سالم والد مالك وياسر فقط

- إزبك يا ياسر

لمعت عين ياسر بصدمة وصمت لم تخترقه كلمات فأكمل سالم

- اطرد ما في جوفك

عقد ياسر حاجباه بصدمة وعدم فهم ليكمل سالم للمرة الثانية

- ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ))

توسعت عينا ياسر وهو يشعر بالاختناق ليفتح فمه وهو يشعر بتلك الكرة التي ترغب بالانزلاق شاقة في طريقها كل أنفاس الحياة، أخذ يجابه الموت وهو يحاول التماسك بين شهقاته وعيناه المتوسعتان وجسده الذي أخذ يلتوي وقاتل من اجل الحياة بينما تحاول يداه المرتجفتان أن تنتزع ما في بلعومه بلا فائدة في صمتا تام

من والده الذي بر اقبه ببرود ليعود بالحديث فجأة

((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ))

انسدل ياسر إلى الأمام بوهن وفقدان للقوى ليقع على المكتب وهو يقذف كمية من الدماء الغليظة شاعرا أن شيئا ما خرج معها ليملأ فمه من الداخل..

شعر بجسده الملقى على الأرض بخفة ليفتح فمه بين الدماء المبعثرة على وجهه وبدخل أنامله بهرجلة وهو يحاول أن يخرج ذلك الشيء القذر الذي يملأ فمه ويؤلمه بشدة لتبدأ سبابته بإخراج طرف حبلا صغير متمزق الشعيرات شيئا فشيئا حتى انزلق الحبل الصغير ليستقر فوق صدره

نظر ياسر بصدمة للحبل الصغير المعقود من المنتصف بثلاث عقد ليرفعه أمام ناظرة ويتأمله بخوف

-احرقه يا ياسر

اتجه ياسر بوجهه نحو والده الذي يقف بثبات ويلقي إليه التعليمات ببرود شديد دون أن يتحرك له ساكن لتنعقد حاجباه بذهول ويعود بالنظر إلى الحبل بين يديه وهنا تماما شاهد الحبل الذي بدأ بالاحتراق من تلقاء نفسه ليحرق طرف أصابعه لالقاه سريعا ليتحول أمامه إلى رماد على الأرض..

رفع ياسر وجهه إلى والده بحيرة وضياع وهو يشعر بامتزاج وتقاتل الأسئلة الضاجة داخله دون أن ينكلم ببنت كلمة، هو فقط ينظر إليه بتجمد وصمت ولا يفهم ما يجري ولكن ما أدركه ياسر جيدا انه لم يسقط فوق المكتب.. بل سقط مخترقا المكتب!

ياسر مستلقي تماما فوق الأرض وذلك المكتب الذي سقط فوقه منذ قليل لم يكن سوى مخترقا منتصف جسده أو بمعنى أدق « هالته»

ياسر ليس سوى هالة..

هالة شفافة اخترقت المكتب فقط!

نهض ياسر بصدمة ليرتفع عن الأرض ويشعر بنفسه يقف على بعد مسافة ضليلة من الأرض وكأنه يطير فوقها! عقد حاجباه بذهول وفزع لينظر إلى والده

- ايه ده!

ايه اللي بيحصل بالظبط

- متخافش.. انت لازم تلحقه

- الحق مين! أنا ميت ولا حي!

- انت حي ترزق.. وهو حي لا مكان لرزقه بينا يا ياسر

- انت بتتكلم بالغازك و انا مش عارف انت ايه ولا انا ايه!

- الشيطان متمثل بصورك وواخد جسمك وبيتم طقوسه.. و انت الروح والهالة الروحية والصلة بينهم وبين جسمك

نظر إليه ياسر بصدمة لتتوسع عيناه من هول الكلمات

- أما أنا فمش لازم تفهم.. كفاية عليك اللي هتفهمه واللي محتاج تفهمه

- انت تقصد ايه!

- انت وصلت لمقصدي يا ياسر.. انت مسحور.. زي ما أنا كمان انسحرت.. القصة اللي قربتها مكانتش كل شيء.. مكانتش كل الحقيقة، كانت نصها

نظر إليه ياسر بصدمة وتجمد ليكمل سالم..

- الجزيرة كان عليها عالمين مصريين متمرسين وعالم شاب.. واحد منهم جدك والتاني ساحر، والتالت منهم جد الكاتبة

توسعت عينا ياسر بصدمة أكبر

- تقصد ايه!

اقترب سالم ليقف أمام ياسر تماما

- الكاتبة الملحدة.. سارة.. جلال.. سليمان السايح، حفيدة سليمان السايح.. اللي جاور جدك ف رحلته وف موته كمان

كانت نظرات الصدمة والفزع تتمالك من ياسر شيئا فشيئا بينما يضع سالم كلماته بثبات

- العالم الساحر خطط لخروج الشيطان من البيرواستدرج بعثته بس الشيطان اختار اتنين.. اتنين هيأتوه بنسل مميز، مالك.. المميز.. المراهق صاحب الذكاء المرتفع واللي دمه شرب مميزات من جيل لجيل بالتوارث ويقدر يحقق غايته بقوى لا علم لي وليك بيها وسارة جلال سليمان.. بذرة سيئة.. شر هينتشر بذكاء، نسل فاسد هيوطد خططه وهيتوجه بأمره للعن البشرية

- بس سارة مسلمة!

- سارة ملحدة.. عندها طاقة كبيرة لجذب عقول الناس.. وأسوأ ذكاء ممكن يمتلكه بشري انه يقدر يجذب الناس للشر بقصد أو بدون، السيطرة والوصول للعقل البشري مش سهلة.. والوصول ليها من بشري لبشري اصعب.. وادق، السيطرة على قاع الإيمان جواك وزرع الشك من انسان افتك بكتير من سحر الجن وقوة العدو استمع إليه ياسر بألم والدموع تجتمع بعينيه بضياع

- عشان كدة اجتمعنا..

طرف سالم ليكمل

- اجتمعنوا لاهدافه.. مع كل خطينة من الجيل التالت للمختارين يزيد قوة.. واكتر خطينة توقع ابن ادم «الزنا»

نظر إليه ياسر بصدمة ليقترب إليه ويتجول بعينيه بعدم استيعاب

- الهدف هو جمع الكفر بالزنا.. اكتر خطايا ابن ادم قبح واستنكار.. تتبع الهوى.. هوى القلب يا ياسر

- بس انا عمري ما فكرت فيها بالطريقة دي!

- مش كل هوى أراده الشيطان لينا كتب، إحنا بنختار.. ومهما كان الشيطان قوي ساعات كتير اوي مبيقدرش على اختيارتنا، السحر منقول ليك.. منقول ليك دمي..

دخولي الجزيرة مكانش ممكن يمر بسلام.. والشياطين اللي اتبعوه اختاروا أسوا عقاب.. اختاروا انهم يقتلوني و أنا عايش.. زرعوا السحرف جسمي و اتحكموا فيا.. كنت معاكم ومش معاكم.. حاولت كتير اكتبلك رسالة عن اللي حصل هناك بس كنت بغيب عن الوعي كتير.. معرفتش اكتبلك غير نص الحكاية وبقيتها اتحايلت عليه عشان ميتقطعش الخيط كله وتلاقي حتى أوله وتقدر توصل، مالك كان الهدف.. الهدف اللي لازم يتسهل الدخول ليه.. وطول السنين دي كان بيتجهز..

- اشمعنا مالك!

- الشيطان بيقدر يعرف المميز.. بيقدر يشق دواخل الانسان ويعرف طبيعته والمميز ف ال١٨ بيوصل لاعلى درجة من نضج قدراته وبيفتح كل الابواب اللي عنده، وبيكون ضحية الشيطان.. ضحية هيستخدمها سرقيل لكتابة كل علوم السحر اللي مالك لوحده بس هيعرف يوصلها وهيقدر يقراها ويدونها بقدرته.. وبعد كدة هتنتشر بين الناس.. هتنتشر مع سحر اقوى واعم.. سحر «الشك»، سحر بشري اصم وابكم واكتر شرا.. بيلغي كل دين وبيعري كل انسان من ضوابطه وقيوده، تبجيل للشيطان وتخليه المنفذ الوحيد.. وممحي للأديان ووجود رب، الشك.. الشك بداية الدخول ونهاية المخرج.

- وأنا؟

- انت الخطينة.. الخطينة والمنفذ اللي طل منه الشيطان.. قشة مالك وسارة سوا، بس تحكمه فيك مكانش قوي.. لانك كنت محمي

- محمي!

- قبيلة الجن اللي سكنت الجزيرة كانت بتحميك من الطفولة.. كنت معتقد انه عايزك انت لأنك الابن الأكبر.. وهما كمان اعتقدوا كدة.. مكونتش فاهم إن المميز كان ممكن يكون طفل مشلول.. ومفهمتش غير متأخر اوي، السحر ممكنوش من التصرف بجسمك زي ماهو عايز.. بس مكنة لفترات قصيرة من الوصل بينك وبين سارة بقصد انه يلهيك بيها عن مالك.. وبقصد اغوائك وفتنك بيها، بس كان عليك الاختيار وكانت خطيلتك لازم تكون منك انت.. عشان كدة مقدرش هو يقوم بدورك

هوبس حطك على الطريق وكان عايزك تكمله..

- انا مش عارف اعمل ايه..

أمال سالم رأسه بجواره بشكل أفزع ياسر لينظر إليه ياسر بترقب وخوف

سالم بنبرة حادة مرعبة

- اخرج

• • •

الفصل السابع
(الحرب لا تنصر شيطانا)

شعرت يوما أن أطرافي قد بترت.. توقت موهبتي وضلت حروفي لأكتب عبثي بشيء لا يمت ليدي وقلبي وعقلي بشيء! سافرت طويلا الى ذلك المنحنى الذي تقف فيه الى اللامكان واللاهدف.. فعل بي الألم ما لم تفعله بي سنوات وسنوات من القراءة، سجنت.. سجنت في قبرا ما طيلة تلك الفترة فعليا فرحت اكتب كلماتي الميتة الباردة بقلب لا يشعر ولا يميز..

أنا لم اعلم أني أضع سما سيجذب أخر ثوبي إلى ذلك البئر لأقابل شيطانا! انا لم اقصد أن اسحب يدي مالك وياسر في تلك القصة، أنا نسل سيء لم يقصد أن يكون ذلك..

كنت اسأل طيلة تلك الفترة عنك.. عنك تماما

واسأل نفسي اليوم.. كم حديثا أطلقته للسماء لتسمعني..

أنا من بحثت في كل أرجاء الأرض وكان لدي كامل السماء لأنظر إليها بعين رجاء تنتظر السلام!

***

شعرت سارة بملمس الشيء الذي يعتصر جسدها بشدة ثم تلك الصفقة المرتفعة التي انفرجت عيناها معها بتأهب ليتجول بؤبؤيها يمينا ويسارا بمحاولة تمييز المكان الذي تقف فيه.. عقدت حاجبها لوهلة وهي تميز أين هي تماما..

إنها تقف بغرفة مالك بلا شك.. تلك هي الغرفة التي كانت تسمع منها صراخ مالك عندما فتحت ذلك الباب ليغيب كل شيئا بعد ذلك وتحلق إلى عوالم أخرى خرجت إليها دفعة واحدة من الماضي و أقصى الماضي..

ابتلعت ريقها بصدمة وهي تسقط عيناها نحو ما يعتصر جسدها لتشاهد تلك الجميلة الصغيرة.. طرفت بألم وتلك الغصة تطعنها..

إنها «مي» طفلتها الراحلة تحتضن جسدها ونصفها بذراعين صغيران بينما تقف سارة بثبات في موضعها في تلك الغرفة المعتمة التي يحيل فيها انعكاس ضوء القمر من النافذة فقط، سكون مهيب وكرسي مهتز على مسافة من وقوفها يجلس عليه ياسر بابتسامة صفراء بينما ينام مالك بشكل ساكن تماما فوق سريره وينتشر على ملابسه آثار من الطين تشبه البصمات!

ابتلعت ريقها وهي تسقط رأسها نحو طفلتها مرة أخرى ثم رفعتها نحو الشيء الجالس بصورة ياسر على ذلك الكرسي بتحدي شيطاني ليطرف بعينيه.

تلاشت مي كالضباب في لحظة بينما ثبتت عينا سارة إلى ذلك الكائن الحقير بلا هروب، طرفت بعينيها بتجمد

- مالقتش غير بنتي عشان تتصور بيها؟!

- انا متصورتش بيها

انا صنعتلك صورة منها

أكمل وهو يشير لجسد ياسر من الجهتين

- انا شخصيا عاجبني دة..

- مش هتعرف توصل بيه لحاجه

- مين اللي قال؟

ضحك ضحكة مفزعة ليعود بالنظر إليها بين نظرات متسعة وحشية:

- مخلوقة حقيرة معاشتش من الزمن اللي يخليها تعرف مكانها وحجمها

نهض من الكرسي ليتحرك سيرا يمينا ويسارا بشكل متكرر وهو يتحدث بنفس ابتسامته المفزعة بينما يحرك سبابته بشكل دائرة بعبث بين ذهابه و إيابه لتنطلق منها دائرة من النار تشتعل وتنطفئ بتكرار

- من كام ألف سنة سكنا الأرض.. اتكيفنا و اتعلمنا وعرفنا الزراعة والانتاج.. درسنا الأرض والكواكب وشوفنا بعنينا تطور الطبيعة والشهب والكون وهو بيتشكل، لمسنا الأولية.. عرفنا البداية.. كنا أول كل شيء.. كل البدايات..

توقف بنظرة حادة لتختفي كرة النارويسقط يده بجواره ليقف أمام الكرسي المهتز وينظر إليها مباشرة

- كانت دماءنا زاد البحر وكفايته.. فاتعاقبنا..

انطوت ابتسامة صفراء مرعبة على جانب شفتاه ليجلس من جديد ويتأرجح وهو ينظر إليها بتحدي

- سنين وسنين بنجري فيكم مجرى الدم.. بنكلمكم وبننقلكم علومنا.. علومنا اللي كنا عايزينكم تعرفوها بمزاجنا، سنين طويلة.. كنتوا فيها الفران.. المخلوق اللي بيستنجد مننا وبيستنجد بينا، كنا بننشر السحرف كل مكان.. كل شعب كان بيامن كنا بنشق صفه ونحط ايدينا على جرحه ونطيبه بعهد دم، لحد ما جيه..

اقتضبت ملامحة لتمتلئ عيناه بالغضب

- الملك المؤمن

- اسمه النبي سليمان ابن داود

نهض بغضب مفزع ليقف أمامها فارتجفت بخوف ليخرج صوته الغليظ

- لا تذكري اسمه

انتفضت بفزع ليكمل بملامحه المرعبة

- إياك أن تذكريه..

عقدت حاجباها بخوف لتلمع عيناها فارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتاه

- الغريب فيكم يا ولاد ادم انكم بتتكلموا عن الأنبيا والاديان وانتوا عاملين زي الورثة اللي خدوا ورثهم وبددوه وحرقوه ومش مصدقين انهم فلسوا

اقترب منها

- ماذا اخذتم من الأنبياء..إلى زمنك؟

قالها الشيطان لترتسم ابتسامة خبيثة أكبر على محياه وهو يتجول بعينين مفزعة في عينا سارة مر اقبا عيناها التي ارتسمت داخلها نظرة من الضياع..

شعر الشيطان بانتصار وهو يشاهد سارة التي وقفت بتجمد لتنساب دموعها باستسلام تام دون أن تستطيع نفي كلماته أو مجابهته لتتسع ابتسامته ويلتفت

بثقة وهو يسير نحو سرير ملك

- (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً)

توقف الشيطان عن السير فجأة لتتسع عيناه بصدمة وهو يستمع الى تلك الاية بصوت هادئ متزن، التفت بحقد لينظر إلى سارة التي تقف وتنظر إليه بثبات وتحدي رغم كل شيء ولكنه عاد ليبتسم بخبث ويلتفت من جديد ليسير نحو مالك بتعنت

- ((قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون.قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين، قال هذا صراط على مستقيم، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاويين))

هنا التفت سرقيل لينظر إليها بحقد وغضب ويندفع بوحشية نحوها لينقض عليها ولكنه تبخر تماما قبل أن يصل إليها بينما وقعت عيناها بفزع على جسد ياسر الملقى على الأرض في سلام..

لوهلة اعتقدت أن الشيطان رحل.. تلك الآيات أرسلته في رحلة بعيدة من جديد أوركلته نحو الجحيم الأبدي الذي يستحقه.. أخذت تتجول بعينيها في كل أرجاء الغرفة بجنون.. سكون قاتل يزيد العتمة مذاقا من الرهبة وعينان لامرأة مكلومة حدثت الشيطان منذ قليل أخذت تتجول بجنون وتلتف حولها بحثا عن اثر الوحش

***

اهتزت الغرفة فجأة ليهتز كل ما فيها وتشاهد سارة مشهد الغرفة الذي يتغير ليتلاشى كل شيء حولها ويبقى أجساد الأخوين فقط هو ما يبقى من ذلك المكان لتميز تلك الجدران الصخرية التي أخذت تتكون حولهم بين نظرة الفزع وعدم الفهم التي تملكت من عيناها الفردوسيتان، أخذت تلتف حول ذاتها وتشاهد مالك الذي يستند على جدار صخري في وضع الجلوس في حالة من الغياب وياسر الساكن على الأرض بلا أي شيء يخرج منهم بحياة أو بمقاتلة..

انطلقت عيناها للأعلى لتشاهد ذلك المخرج الدائري المضيء.. أدركت الآن تماما

أين هي، وصمت بكامل أصابعها وكل ما تبقى في ذهنها من العلم إنها تدرك وتعي.. تدرك وتعي أنها في رحلة أخرى.. في رحلة الى بئر قديم شاهدته من قبل.. بئر بدأت منه حكاية ويبدو أنها لن تنتهي إلا فيه.. اعتادت سارة الرحلات من ذلك النوع في تلك الفترة.. ولكن تلك المرة لم تكن الرحلة من الطيبين.. بل من الشيطان ذاته!

ضمت مالك إلى صدرها وهي تجلس بجانبه على الأرض، نظرت سارة بخوف حولها وهي تشاهد الظلام يخيم في المكان والمخرج يغلق ويتبقى منه فتحة صغيرة ببقعة ضوء قليل وبائس.. لتسمع ذلك الصوت الخبيث دون أن تعي مكانه بين تلك الضحكات التي انطلقت فجأة لتملأ عبث وسكون وعطن المكان..

شاهدت سارة ذلك الجسد الذي لا تميزه وسط العتمة الجالس بركن البئر على كرسي معيرا إياهم نصف وجهه وهو يتحدث، وتلك اليدان التي تمتلك شعرا مخيفا وأظافر طويله وتشبه أيادي الحيوانات نوعا ما وهي تتراقص بجانب وجه ذلك الشيء وكأنها تعزف الموسيقى.

نظر إليها بسخرية

- ابن ادم، بستغرب انتوا ازاي كُنتُم السبب في غضبه علينا! ايه المميز فيكم عشان يختاركم انتم؟!

- يمكن عشان بنرجعله.. متكبرناش على خلقه ولا اذينا غيرنا

- فعلا؟! واحدة ملحدة حتى مش مؤمنة بيه.. وواحد شهوته بتضعفه، تفتكري انا ليه اختارتك انتي بالذات وليه جمعتكم؟ قلب ابن ادم ضعفه.. لما حب ابونا يخرج آدم م الجنة خلى حوا اللي ما بينه وبين الجنة.. يبقى لما يخرج ادم بقى مش دة يبقى ذنبه ولا ذنب ابونا؟ يسامحه هو ويلعنا إحنا ليه؟

- عشان غفور رحيم للنادم والعاصي، كنت بسأل نفسي انت اخترتني ليه.. بس اللي فهمته ان ربنا هو اللي حطني في الطريق دة مش مخلوق بانس وملعون ف رحمته زيك وفكر انه هو اللي حدد يجمعني بمين وعشان ايه..

ضحك ضحكة خبيثه بسخرية

سرقيل وهو يوجه وجهه المرعب الى ساره بالكامل

-وسيله اغواء رائعة.. انا بعترف من غيرك مكنتش هعرف أوصله.. وانتي فاكرة
إزاي ممكن امتلك روح ليكم؟ الضعف.. الضعف هو المفتاح لكل روح منكم..
الضعف دة بجي عن شهوة.. عن حزن.. عن يأس.. عن جشع، وانتي كنتي نقطه
ضعف باسر.. خد قلبه واشغل تفكيره عن اخوه.. اخلق ثغرة جوا قلب مالك.. شق
فروحه واضعف جواه.. غريب الإنسان دة.. لو دخلتي روحه هتشوفي اد ايه تم
اباكها.. هوبس ميبيبلنش، مش بذمتك بقى انتم تبقوا اذيتوه اكتر مني؟
تركت مالك لتنهض بتحدي وتنظر إليه بحدة وتحدي
-وسيدنا سليمان آذاكم؟
-قولتلك متذكريش اسمه
اقتربت سارة بضع خطوات بتحدي
-ليه؟ لسه بتخاف منه؟ لسه شايف نفسك متسلسل ادامه وبتنفذ اوامره غصب
عنك، لسه ذليل محكوم.. مش عارف تنشر شرك ولا كفرك
صمتت سارة تشاهد صمت ذلك المخلوق لتستعد لحربها.. رفعت راسها إليه
بتحدي
-اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه، اشهد
أن لا إله إلا انت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وان اقترف على
نفسي سوءا أو أجره مسلم)
ولكن المخلوق لم يتغير في وضعه بل تجمد لوهلة، ابتلعت سارة ريقها لتكمل بقراءة
آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القَيُّوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
والأرض..) لم تكمل سارة بقيه الآية عندما اتسعت عيناها وتوقف لسانها قبل أن
تكملها! كانت العينان الحمراوتان تنظر بوجهها مباشرة وبداه تعتصر لسانها ونظرة
الغضب التي تشع من هيلته المروعة تتساقط معها نبضات قلبها الذي قارب على
التوقف، ضحك بابتسامة تصل زو اياها خلف أذنه الطويلة
-الغريب أن رغم ضعفكم روحكم أقوى شيء خلقه على الأرض.. أقوى حتى من
لوتا.. عمرك شوفتي ضعف يولد قوة زي دي؟!

انطفأت تلك الابتسامة لتعود نظرة الغضب من جديد ليختفي العمار بعينيه وتتحول للبياض الناصع، قذفها بقسوى لتصطدم برأسها في إحدى أركان البئر بالجدار ليتساقط الدم من مؤخرة رأسها، و اقترب من مالك الذي لفظ أخر قواه تلك اللحظة وغط في إغماءه عميقه.. عندما صدمت سارة رأسها تشبع كل شيء أمامها بالأسود، توقفت عيناها عن الرؤية.. تسمع فقط زحف ذلك الكائن على الأرض الباردة الناعمة.. تدرك انه يقترب من مالك.. انه يفعل شيئا به.. تتساقط دموعها من عيناها المفتوحتين والتي لم تعد ترى بهما شيئا، استسلمت سارة.. ولكن شيئا بها لم يستسلم!

جلس بجوار مالك ليضع يده النحيفة المقززة فوق جبينه ويكمل

- سنين وسنين بيحكمنا.. بيذل كبيرنا واصغرنا وبيحرق كل علم كنا بننقله ليكم.. ولكنه مات..

اتسعت ابتسامته لتكشف عن اسنان ضخمة متسخة

- وكل كتاب كتبناة ودفناة تحت كرسيه بقى بين ايديكم، وأشعنا بين كل بلده انه ساحر.. ساحر حكم جنسنا بسحره وعرف لغة الطيور وملك الريح بنفس الشر أكمل بغيظ

- انتقمنا.. انتقمنا..

ارتفع صوته بلغة مرعبة لتملأ المكان

- انتقمنا.. ومات سليمان

شعرت سارة بتلك النسمة التي حركت خصلة من شعرها لتسير تلك القشعريرة بجسدها وهي تسمع الهمس الذي أتاها.

سرقيل وهو يجلس بجوار سارة تماما ويهمس بخبث بجانب أذنها بين عيناها المتجمدة للفراغ وجسدها المستسلم

- عارفة ايه الأخبث والأقذر من كل سحر شيطاني عرفته الأرض؟

أكمل بضحكة متسعة: كتابك

اشر ما خرج من الإنسان.. اقذر ما كتبته النفس..

اتسعت ابتسامته بين شفتان متشققتان بسعادة

- الشك.. الشك جوا كل سلالة.. كل نسل.. كل بطن من حواء.. الشك والكفر والسحر..

والشهوة

اكمل بنبرة خبيثة منتصرا

- انتي النسل الأسوأ.. بذرة السوء.. جارتي، انتي الرحلة اللي بتجمعنا إحنا الإتنين

اكمل سرقيل طاعنا سارة للقاع

- كتاب آدمي وأد كل فكرة للرب وللحماية.. وكتب شيطانية فيها الملجأ.. والإنقاذ

حرك شفتاه (انتي صنعتي المعادلة.. وخلقتيلي أورشليم جديدة)

اتسعت عيناه بوحشية و انتصار لتمتد يداه المتسخة وتضغط على جبهة سارة بحقد مغطيا عيناها

- روحك ملك لي.. باسم كل ضعف إنساني.. لأجربن منك مجرى الدم وليلتحم عهدي بعهدك و اقبض روحك في يدي.. فأصير إلى الأرض السابعة بك.. و انتهي إلى سعير الجحيم معك..

تلك الأثناء:

يسيرين تلك الرمال الحمراء بقدمين حافيتين بين الغروب الذي يحلق بلون برتقالي يملأ السماء، مياه بحر راكدة لا يتحرك ورمال حمراء تلتصق بقدمه بسخونة. ينجول بذهول بتلك العينان يمينا ويسارا فيشاهد البحر الأحمر كشلالات من الدماء وتلك البنايات الغريبة التي تغطيها علامات الزمن ونباتات خضراوية غليظة متيبسة..

يا إلهي! أين هو. آخر ما يتذكره هو صوت والده الجهور الذي انطلق بصيغة أمر وكأنها ركلته بسرعة فائقة ليشعر بجسده الذي يتطاير ويقذف عابرا كل الجدران في لحظة.. مجرد لحظة لا يعلم وقتها ولكنها وضعته في ذلك المكان.. بل في تلك الجزيرة.. نعم.. إنها الجزيرة

إنها «اوكتاريامس»

إنها جزيرة الشيطان بعينها..

رفع وجهه بثبات ليتموج بين الرمال في كل خطوة يخطوها حتى توقف أمام ذلك الكم الرهيب من الأشجار المرتفعة، مظهر يطل إليك وكأنك سقطت بمنتصف الغابة التي لا تعلم كيف ستخرج منها والى أين ستتركك بسلام، ليست القضية فقط فيما ستعبر إليه.. بل بما يجب عليك أن تعبره فيها!

عقد حاجباه وهو يتطلع إلى ارتفاع الأشجار الغريبة بدهشة ممزوجة بالفضول والخوف معا، أدرك أن الأحجية لابد لها من حل ويتضح أن حله المنتظر يجب له من عبور متاهة.. متاهة تاريخية فظة لا يعلم أسطوريتها من و اقعها!

طرف بعينه ليعقد حاجباه بإصرار وينزلق سيرا إلى داخل الغابة، الرمال لم تقف عند ذلك الشاطئ فقط بل إنها تحيط بكل الأشجار والنخلات الشاهقة! لازالت قدماه تنغمس بين الرمال ولكن خطواته تكاد تكون مسموعة بقوة.. بل إنها مسموعة بعمق مخيف، صوت كل خطوة يدوي وكأنه يرتدي كعبا من الحديد ويطرق به فوق أرضا صلبه! لم يكن ياسر يدرك كيف لذلك الصوت أن يتعالى هكذا وهو عابر حاف القدمين يسير فوق رمال! جنونا آخر يضاف إلى كيان هو الأكثر جنونا في عينا ياسر حتى الآن..

جزيرة يستطيع ياسر تقبل أي مستحيل وأي أعجوبة وأي أسطورة فوقها، صوت الصراخ يتعالى بأصوات مرعبة وغليظة.. صرخات تشق صدرك يملأها الفزع والرعب.. صرخات أخذت إلى مصدر احدها عينا ياسر التي ارتفعت للسماء ليشاهد أكثر المشاهد رعبا في تلك الزيارة للجزيرة.

ارتفع وجه ياسر لتتوسع عيناه بصدمة وهو يشاهد ذلك الغراب الضخم غارسا قدماه في جسد مخيف.. جسد يمتد منه ذيل متعرج متقوس القامة بحجم قصير ولون رصاصي داكن وينتهي بحافرين ضخمين..

كان الغراب يحمل جسد الكائن وينزلق منه نقط ضخمة من السائل الأسود وكأنه ينزف دما يهوى إلى ارض الجزيرة بعمق فيملأ الرمال الحمراء حول ياسر لتبتلعها الرمال وتمتصها بشراهة، كانت حركة الغراب المحلق بجسد الشيطان بطيئة إلى

حد مفزع بحد ذاته، يحلق أمام نظر ياسر ببطء شديد وعسير وكأنه فيلم سينمائي يتم تصويره بتقنية التصوير البطيء، وكل ما يتحرك ببطء يظهر التفاصيل أكثر و أقوى وأسوأ!

عقد ياسر حاجباه بصدمة لتتصاعد نبضات قلبه وهو ير اقب المشهد بكل بطنه وفزعه ويشاهد الدماء التي تسقط حوله وتمتص ف الأرض بسرعة فائقة وكأن الرمال تشربها بوله عاشق بينما تتصاعد أصوات الصرخات المفزعة أكثر و أكثر، رحل الغراب بفريسته ليشاهد المشهد يتكرر بكائن آخر يختلف في شكله قليلا بجسده الممتلئ بالحراشف ولونه الأحمر والقرنان الملتويان.. وكل شيء يتكرر بعد ذلك، بطء الغراب ف الحركة.. وضوح الصورة.. الدماء المتساقطة والرمال العطشة! وذلك الصراخ المهيب يصم أذنه.

أسقط رأسه عن المشهد المريع ليعقد حاجباه بمرارة ويكمل سيره، خطوات تطرق كالحديد وأصوات مفزعة وصراخ أتى من الجحيم ليمتلئ الهواء حوله بنقمة الشيطان، رحلة من السير.. رحلة من الخوف.. رحلة يسقط فيها رأسه محاولا التجاهل لكل ما يجري، يدرك تماما ما يجري في السماء وما يتساقط جانبه ولكنه يكمل طريقه فقط.. يكمل ويكمل، كل ما يعرفه أن هناك مفقودان.. مفقودان لن يسمع لأي قوى بانتشالهم هكذا من صدره..

داخل عقل سارة:

وجدت صوتا ما ينبع داخل رأسها، صوت لم تسمعه منذ زمن.. صوت اشتاقت لتعنيفه وعقوبته.. صوتا أتى لينقذها

سمعت سارة صوت محمد الذي يتردد برأسها كالصدى البعيد

- سارة.. سارة.. قولي يا سارة.. قولي معايا

- محمد؟

- قولي يا سارة

﴿والصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا، إن إلهكم لواحد، رب السماوات والأرض ورب المشارق، إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من

كل شيطان مارد، لا يسمعون للملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب))

كانت سارة تردد الكلمات تلو الأخرى.. حقيقة لم تكن سارة من تنطقها كان لسانها ينطلق بكلمات محمد تلقائيا وكأنه هو من يتجسدها تلك اللحظة.. طرفت بعينيها بين العتمة التي تملأ المكان حولها والظلام الأبدي الذي سقطت فيه تلك اللحظات.

صوت محمد يعبر إليها ولكنها لا تشاهد سوى الظلام فقط..

- سارة.. سارة تعالي

طرفت من جديد ولازال الظلام يحيط بها، إنه الموت لا محالة يا محمد ولكن لم في الموت لا أصل إليك أيضا!

- ادخلي من الباب يا سارة

عقدت حاجباها بتعجب لتطرف وتلك الكلمة تدوي برأسها بتفكير لتومض الحياة فجأة، رفعت رأسها وهي تشاهد ذاتها تقف في ممرا مظلم طويل يرتص على جانبيه عددا من الأبواب حمراء اللون بلونا احمر مضيء بمنتصف العتمة، سكره من الذهول التقطت عقلها وهي تنظر إلى عدد الأبواب الكبير وتتذكر كلمة محمد.. انه محمد يطلب منها الدخول من الباب ولكن أي باب! لم تطول الألغاز هكذا.. ولم لا تضع اختيارات سهلة وتكف عن العبث يا زوجي فأنا مرهقة كثيرا!

طرفت بضياع لتسير بين جنبات الممر وتنظر إلى كل بابا تلو الآخر بحيرة.. حيرة انتهت.. حيرة لم تدم

سقطت عيناها بألم على ذلك الباب.. الباب بعينه.. هنا شيء مختلف.. هنا شيء فقد ذات ليلة ويحلق الآن أمامها، انه ذلك السلسال بعينه.. السلسال الذي ارتبط بعنقها طويلا حاملا صورة طفلتها والتي فقدته تلك الليلة في ذلك الحادث..

امتلأت عيناها بالدموع وهي تقترب من الباب الذي وضع عليه السلسال معلقا على حاملا معدني صغير ليتطاير برشاقة جاذبا نظرها إليه، توقفت أمام الباب لتنظر إلى السلسال بألم ثم امتدت أناملها بخفة لتنتشله بحنان وتنظر إليه بين كفها بحنين، تغير شكل الباب اللامع إلى باب آخر.. باب بني لم تنساه ساره وتعرفت عليه

بالفور.. انه باب منزل الجريمة.. باب المنزل لجريمتها.. جريمة انتزعت أحباءها.. باب منزلها في بلد الأحلام.. الباب الذي صفعها عندما دخلت ذلك اليوم.. وصفقها خارجا بعد الرحيل ليحمل بداخله رائحة وبقايا الموت

انه هو.. هو بالفعل، طرفت بهدوء لتدفعه برقة وتدخل.. ولكن ماكان ينتظرها كان عظيم.. عظيم الذكرى وعظيم البقاء بالداخل.. توقفت لتنزلق دمعتها وهي تشاهد المكان المظلم تماما وكأنها دخلت إلى ساحة عملاقة معتمة لا يظهر سوى بقعة دائرية من الضوء بمنتصفها.. بقعة تكفي لاثنان.. تكفي لزوج صالح و ابنة رائعة.. تكفي لمحمد الشطي ومي محمد الشطي..

نظرت إلى مي ومحمد الذي يجلس بجوارها وهو يفتح مصحفا كبيرا أمامه لتتجه أنظارهم إليها فابتسم محمد ابتسامته الساحرة لتنهض مي برقة طفولية وتركض بسعادة نحو سارة

-مامي- وحشتيني اوي أتأخرتي كدة ليه!

تزقرقت دمعة عن عينا سارة التي ترتجف بعدم تصديق لما يحدث وكل النيران تملأها

رفعت مي رأسها إلى والدتها التي لا تتحرك

-بابا كل يوم يقولي انك هتيجي بس مكونتش بصدقه

اعتدلت سارة بألم لتسقط مرتكزة على ركبتيها وهي تحيط طفلتها بين دموعها

-عايزاني اجي معاكم؟

ابتسمت مي بطفولة لتحرك رأسها بالنفي ببراءة

-لا.

بابا قالي إن وراكي حاجات لازم تعمليها عشان تبقي معانا.. وقالي إن ربنا هو اللي هيختارلك وقت تكوني فيه معانا خالص..

ابتسمت سارة بخفة بين دموعها لتحتضن مي بحرارة وتنطلق شهقاتها بألم

-وحشتيني يا سارة..

رفعت وجهها بين الدموع ليسقط بصرها على محمد الذي يقف بحب بمنتصف

دائرة الضوء مبتسما إليها بشوق

- محمد..

- انتي مكانك مش هنا.. أنا دخلتك عشان ترجعي

سارة وهي تنهض وقوفا ببحة

- ارجع.. ارجع فين..

- المكان اللي لازم تبقي فيه

بدأت الأرض بالاهتزاز لتنعقد ملامح محمد وتقتضب فتخللت علامات الصدمة وجهها ليصرخ بها محمد

- اهربي يا سارة.. اهربي، صوتي معاكي ياسارة.. قولي يا سارة، قولي يا سارة.. قولي

اختفى كل شيء ليعم الظلام بينما يحلق صوت محمد بإرتفاع بين كل تلك العتمة كاسرا استسلام سارة

الآن:

وضع الشيطان يده على رأسها ليغطي عينيها بيد قذرة وهو يضغط بقوة و انتصار بين استسلام سارة وسكونها

- ((ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا))

توقفت يد الكائن وهو ينظر إليها برعب، لم يعتقد لوهلة أنها ستعود إليه بعد كل ذلك لتخرج كلمات الإيمان بوجهه بعزم، نهض مبتعدا عنها وهو ينظر إليها بصدمة وفزع وحقد

أكملت سارة بقرانه سوره يس ثم قراءه دعاء

بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا تُرام ولا تُضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر دابة انت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اعوبما استعاذ به موسى، وعيسى، و إبراهيم، الذي وفّى، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن

شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغي.)

بدأ ذلك الكائن يسقط شينا فشينا، تنهار هيئته..

تعالت نبرات سارة شينا فشينا

((قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين))-

((هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق))

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

هنا انبعث صورة شفافة لشبح عجوز أخذ يكتب شينا ما على جنبات البئر فاستدار الشيطان لينظر إليه بعينين متسعة بعدم تصديق ليصرخ فيه ويندفع بشراسة نحوه، ولكن شبح العالم العجوز اختفى حيث اندفع سرقيل ليظهر بجانب آخر ويكتب بتجاهل ما يكتبه من جديد ليصرخ الشيطان ويندفع إليه محاولا الإمساك به بجنون فيعود بالاختفاء والظهور في ركن آخر بهدوء لا ينتهي..

أخذ يصرخ الشيطان بألم بصوت أجش مرعب ليأتي صوت سارة من جديد بآيات القران فيخمد العالم اجمع ويتعالى ويرتفع صوت الإيمان.. وصفوة العدل..

صرخ صرخة مدوية وبدأ جسده يتساقط الجلد ويذوب كالشمع ليأتيه النداء التالي

-سرقيل

التفت بعينين غليظة مستوحشة ليشاهد ياسر الذي اندفع راطما إياه بتلك العصا العجيبة ليشق الشيطان إلى نصفين ويتبعثر كالرماد في الهواء بين صرخة عميقة ارتطمت رأس سارة مرة أخيرة بشدة في الجدار وهي تشاهد لجزء من الثانية ذلك الكائن وهو يتساقط كرماد نحو الأرض بين صوتا جهور ثم ينتهي كل شيء ويأتي الظلام أبديا..

أخذت تزحف شينا فشينا دون أن ترى ما يحدث بعد ذلك، تزحف نحو مالك بوهن

وسلام ثم حملت ذراعاه ببطء وحاوطته بيداها وهي تهمس بأذنه قبل أن تفقد نبضات قلبها الأخيرة ببحة خافتة: خلاص.. أطمن

وكأن المشهد يتكرر.. وكأن جثة طفلتها التي وقعت بين تلك الذراعين بالأمس استبدلت بالمراهق اليوم

بالأمس ماتت طفلة كانت كل الحياة.. واليوم لم تقبل سارة أن تقدم غيرها مجددا للموت، هي من تستحقه ولم تحصل عليه ولا ينبغي لنفسا أخرى ان تتبعه بدلا منها بعد الآن

في ذلك الوقت:

عاد الضوء أخيرا ليملأ المكان، تراجع ياسر للخلف قليلا وهو ينظر إلى الباب ثم اندفع بكامل قوته ليزيح مقبض الباب ولكنه صعق بالمقبض الذي تحرك بكل سهولة!

خرج ياسر يلهث.. أخذ يركض نحو كل غرفة بالأسفل محاولا إيجادهم دون جدوى، نظر إلى الدرج الطويل وقفز فوق درجاته تلو الأخرى حتى صعد إلى الأعلى.. اتجه نحو غرفة مالك بقلب تسمع دقاته كطبول معذبه حتى الآن لا يعلم كيف عاد إلى المكتب بكامل روحه وجسده من جديد ولكنه عاد ولا متسع من الوقت لجدالات النفس المرهقة تلك.. أزاح الباب بين الأزيز المرتفع لتهب تلك النسمات الباردة التي صفعت وجهه

ولكنه وقف مصفوعا بما هو أشد.. بما هو يشاهد.. شاهد سارة التي تحيط مالك الذي بات في سكونها الخاص المتجمد، اقترب مسرعا نحوهم ليجلس على ركبتيه بصوت مرتعب

- مالك.. مالك

شاهد ياسر تلك النظرة.. تلك النظرة التي شقت قلبه نصفين.. شاهد عينا مالك التي ارتفعت إليه تحمل كل الكلمات.. كل الكلمات التي لم يحب ياسر سماعها.. رفع ياسر رأسه نحو سارة التي تميل رأسها للأسفل.. أزاح ذراعها ببطء عن مالك ليرفع رأسها.. ولكن

تلك العينان الجميلتان أصبحت متجمدة.. لم يعد أي شيء يخرج من سارة.. سوى

الموت! ماتت سارة!

نظر إليها ياسر بعينيه التي زارها الموت.. توسعت عيناه التي تساقطت منها الكلمات قبل الدموع.. ذلك الألم الذي ينبع داخل قلبه موجع جدا.. موجع بشدة.. شيء ما يقطع قلب ياسر.. انتفاضة قلبه هي ما تحرك جسده الذي ظل بوضعيته يتأمل سارة التي بصبح جسدها أكثر برودة.. شعر ياسر بالضياع.. وعدم التصديق، ولكن أمر آخر يجري خلف كل ما يراه الآن ويظن أنه آخر كل طرقه..

داخل عقل سارة:

سارة تجلس على أرض باردة، نهضت في تعجب تنظر حولها.. إنها هناك.. إنها في بيتها الذي ذرفت فيه أمومتها وعشقها من جديد.. ذلك المنزل الذي قتلت فيه عائلتها، الرؤية متضحة لجنبات المنزل تلك المرة حتى في أدق التفاصيل.. وقفت سارة لتشاهد محمد اللذي يقف حاملا ابنته مي وينظران إليها بابتسامه عذبه تحمل الحب.. تقدمت سارة اليهم بين عيناها اللامعتان.. توقفت أمامهم مباشرة بصوتها الخافت

-هتاخدوني معاكم مش كدة؟

نظر إليها محمد بابتسامة حنونة ثم هز رأسه ببطء نافيا

-لا

إحنا هنخرجك من هنا

-بس انا تعبت وعايزة أبقى معاكم!

-ومين قالك اننا مش معاكي.. إحنا هنا

وضع يده نحو قلبها بخفه فنظرت الى يده ثم أعادت النظر إليه ببحة خايفة..

-وإزاي تخافي وهو فوق.. وإزاي تخافي و انتي رجعتي ليه

طرقت بسكون وشرود وتلك الدمعة تذرف على وجنتها بهدوء وضياع فابتسم محمد..

-هتخرجي.. وهنبقى جانبك.. واوعي تسيبي فرصتك.. واوعي تيأسي من الاختبار

نظرت إليه سارة وهي تسقط دمعتها لتمسك بيد محمد الذي سار معها مبتسما

نحو باب ما، فتح الباب ليشع ذلك الضوء الذي لم تراه من قبل.. توقف وأشار لها

- هنا

نظرت إليه بخوف ثم نظرت نحو الضوء

وجهه محمد مي نحو سارة فاقتربت مي بابتسامه طفولية رقيقه نحو وجه سارة لتطبع تلك القبلة

- زي ما الأمير صحى الأميرة اللي نامت في الحكاية اللي قولتيهالي.. انا عايزة ماما تصحى

(قبلتها مي) وهي تضع تلك السلسة بكفها بخفة ليشع ذلك الضوء الذي غرقت به سارة

الآن:

هز جسدها مرارا وتكرارا وهو يتأمل عيناها المتجمدتان ويشعر بتلك البرودة بأناملها، صدمة تذبحه وهو حي ويتساقط بكل قوته ورجولته وخلاياه أمام تجمدها، حجرا ثقيلا في منتصف قلبه ولا يستطيع أن ينطق من شدة الألم.. رحلت سارة! رحلت قبل أن يخبرها بكل ما في صدره إليها.. رحلت وسكنت تماما وهو الضال المتبقي بكامل خيبته ولا يستطيع حتى إنقاذ البقية منها..

تحركت يداها وعادت نبضات خفيفه لتقفز بصدرها، لم يصدق ياسر للوهلة الأولى ما يراه.. ظل لدقائق يستجمع ما يحدث ينظر إليها بارتجافة الصدمة وعدم الاستيعاب.. حتى أتاه صوتها.. صوت سارة.. صوت سارة الذي أحياه من جديد كما قتله منذ قليل صوتا ميت أشبه بالهمس الضئيل

- ياسر..

نظر إليها بسعادة ليضمها دون أن يصدق، تلك الدموع التي أمطرتها سعادته كانت تتسلل إلى أعماقه قبل وجهه، هو لا يعلم أذلك دربا من الجنون خلق به ليشاهد حياتها بعد موت أم أن ما يحدث حقيقة.. حقيقة لا جنون فيها، لكن ما يعلمه جيدا أنه سيلتقط كل الخيوط.. سيرسم من خيوطة وحبال الشيطان حتى عودة.. عودة امرأة لقلبها ضال قبلها وبعدها.

***

نقلت سارة هي ومالك إلى المشفى، مرت أيام عديدة وشخصت حالة سارة الصحية، كانت أصابه شديدة في الرأس أثرت بشكل كبير على المخ والمضاعفات واردة، كانت سارة تختلق الأعذار لزيارة ياسر بعد استيقاظها.. أما مالك فقد تحسنت حالته الصحية والنفسية بعد تلك المحنة.. ما مر به مالك غير به شيئا.. ولكنه استمر بالعلاج النفسي، بدء بالاتصال بأمه التي ساعده حضورها كثيرا، شيئا ما تبع بمالك الذي اصبح أكثر قوة، روحا كسرت فشعت بياضا جعلها أكثر قوة.. وإرادة.. كانت زيارات ياسر لمالك لا تخلو من السخرية، تستمع ضحكات الاثنان من خارج الغرفة، بينما ظل جانب من ياسر يشعر أن قلبه فقد جزء منه.. غصة ما تنمو داخله نحو سارة التي ترفض مقابلته، أشتاق كثيرا أن يتنفسها.. اشتاق كثيرا أن يحلق بعينها.. أن يشاهدها تحتسي كوب القهوة المعتاد.. شعر ياسر يوما أن سارة تكونت من القهوة.. تدمنها رغم إنها تضر صحتك.. تخل توازن ضغط دمك ولكنها تشعرك بالسعادة.. توقظ جهازك العصبي ولكنك تتلذذ برائحتها.. القهوة مضرة بالصحة وسارة مضرة بالقلب! ولكنك تدمنها.. تدمنها حتى يقتلك غيابها فجأة فتدخل في نوبة من الانهيار الداخلي وتخذلك خلاياك وانت تتذكر سكرتها تارة ومرارتها تارات!

تلك الليلة التي فقدها بها، الليلة التي مات كل شيء داخل ياسر.. ياسر بعد سارة اقل بكثير حتى مما كان قبلها، استيقظ ليسأل الممرضات عنها.. فوجئ حينها عندما علم برحيلها المفاجئ، انهار ياسر راكضا نحو منزلها..

دق آلاف المرات دون أن يجد ردا، ذلك الهاتف الذي اخبره رنينه بخروجه عن الخدمة، ما ذلك الحارس الذي اخبره بسفر سارة وأبيها في غفوة إلى الخارج لعلاج ابنته دمره كليا

علم ياسر حينها انه فقدها للأبد.. جاءت سارة لتبعث فيه حياة ثم تأخذها وتهرب بها بعيدا تاركة منه البقايا لتتأقلم! رحلت سارة ورحل قلب ياسر ولا يعلم لما فعلت.

• • •

الفصل الثامن
(ما يتبقى كافي للحب)

بعد مرور عامين

٥ ديسمبر ٢٠١٨

الولايات المتحدة الأمريكية:

عزيزي القارئ، إليك ما أصبح عليه أبطالي..

مالك أصبح لاعب تنس متميز وقد ذهب لأمريكا ليخوض مباراة البطولة للتنس، نعم.. حالة مالك الصحية التي أعلنت نتائجها الإيجابية أيقظته، أصيب مالك بالشلل نفسيا رغم صحة أعضاءه وهو صغير ولكنه استطاع أن يتغلب على مرضه.. استطاع أن يعود.. أن يكسر ضعفه.. استطاع أن يضع الماضي بحساباته الضئيلة ليجد مستقبلا يحمل مراهقته وما يتبقى لشبابه!

أما ياسر، فقد أعلن أن يظل اعزب.. أصبحت الحياة مرة أخرى مالك.. وان كان هناك مجالا للسعادة فهي من اجل مالك فقط.. عاد من جديد بمزيد من التفوق إلى العمل، ويفكر جادا في الدراسات العليا.. ويمارس التصوير الفوتوغرافي على وجه المتعة والهواية

أما سارة؟

***

الشتاء قارس، يرتدي ياسر قميصه بسرعة بين هاتفه المستمر بالرنين، ياسر يقف في منتصف غرفة كبيرة! إنها غرفة فندق

يغلق قميصه أمام المرآة ولكن يتوقف قبل غلق الثلاث أزرار العلوية ليلتقط الهاتف فوق السرير ويجيب بانزعاج

- حاضر حاضر حاضر.. الله يخربيت إللي دخلك أم دي لعبة يا اخي، يا ابني بلبس.. يا ابويا بلبس.. بلبس!

- ما تخلص يا عم الحج ولا انت عرفت ان في مزز هتحضر البطولة فبتظبط نفسك اوعى يكون خدت حاجة من لبسي انا عاددهم على فكرة

- يلا يا جزمة من هنا.. عايز البس مش فاضي لزنك سلام سلام

أغلق ياسر الخط بوجه مالك ثم عاد ليكمل ملابسه بينما نظر مالك لهاتفه بعد غلق ياسر وضحك. توقف ياسر أمام المرآة ليمرر أصابعه بشعره في لمسة أخيرة لأناقته ثم طرف بحنين فجأة. لا يعلم لما تذكر ولكنه فعل.. شعر ياسر أن الذكرى تضربه من حيث لا يفهم. مشهد أخير قبل الرحيل جمعه بالعم جلال لا يدري لم حضر تلك اللحظة على الأخص!

تذكر عم جلال الذي يقف بحزن ناظرا خلال النافذة الزجاجية التي تكشف غرفة سارة وهو يرى اقبب نومها بهدوء، نظرة من الألم تتكور بعينيه وكأن لا حديثا ولا كلمات تخرجها أو تصفها

اقترب ياسر ليقف بجواره ونظر إليه بحزن ثم نظر إلى سارة الرقيقة على وضعيتها ليعود بعينيه في تردد للعم جلال

- أنا عارف السؤال اللي انت مكسوف تسأله

نظر إليه ياسر بصدمه فأكمل العم جلال وهو يلتفت بكامل جسده إليه

- باين ف عينيك يا ابني

- أنا..

ربت العم جلال على كتفه وهو يطرف بتفهم

- متخافش أنا مش زعلان.. أنا عايزك تسأله

نظر إليه ياسر بمزيد من الصدمة والتعجب فأكمل

- ومن غير ما تسأل

رفع العم جلال وجهه لياسر وظهرت عيناه بوضوح خلف عوينات

- ابوة كنت عارف..

كنت عارف إن ابويا اختفى على جزيرة ف رحلة بحث ومحدش عرف يدخلها ولا يخرجها ولا يدور عليهم، ولما كبرت شوية جمعت كل الكتب اللي ممكن تتوقعها

ودورت على أي خيط يفهمني اللي حصل بس كل ما كنت بسأل كنت بلاقي التكتيم.. زي ما يكونوا مش عارفين أو خايفين يعرفوا.. كان وقتها طبعا الدنيا اصعب ولا في لا كمبيوتر ولا نت ولا الوسايل اللي سهلت لكم الدنيا دي، تعبت، ولما تعبت واحد صاحبي شار عليا مشورة ندمت عليها بقية حياتي

عقد ياسر حاجباه بتركيز فتعداه العم جلال ليجلس على المقاعد الجانبية للغرفة، طرف ياسر ثم تبع العم جلال ليجلس بجواره وهو يستمع لبقية الحديث

- قالي دور ف السحر

توسعت عينا ياسر بصدمة فاكمل العم جلال

- روحت لواحدة مشهورة بالكلام دة

أخرج العم جلال منديلا ليمسح العرق عن جبينه بارتباك وتأنيب لذاته ثم عدل عوبناته لينظر لياسر ويكمل

- كنت مستهون للموضوع ومش فاهم انه بيجروراه اذى مالوش اخر الست قالتلي الموضوع المقصود مش واضح لكن قالتلي كلمة رعبتني ابتلع ريقه لينظر لياسر بخوف

- قالتلي بالحرف الواحد «فيه شيطان»، وفجأة لقيتها بتقولي «الذرية متبعة» اخفض ياسر عيناه وهو يفهم المقصد بينما أكمل العم جلال

- وقتها قومت وطنشت ومركزتش.. و اتجوزت ومر اتي ربنا كرمها وحملت نظر لياسر بألم

- وكل حاجة حصلت بسرعة.. أم سارة ماتت

طرف العم جلال بألم

- حياة.. طول فترة حملها بسارة كانت بتحكيلي عن أحلام بتجيلها وعن ناس بلشوفهم حوالين السرير وف البيت.. كانت بتحاول تفهمني إن في حاجة غلط.. بس انا مسمعتش..

وبعد ما ولدتها بأيام ماتت..

مسح العم جلال دمعة ساقطة عن عيناه بمنديله وهو ينظر للفراغ شاردا في

الذكرى

- وبعد ما مشيت حياة.. بعد ما سابتنا.. بقت سارة كل حياتي ودنيتي، كنت بحميها من الدنيا كلها.. أيام وسنين بتعدي واحنا مع بعض ومكتفي بيها مش عايزم الدنيا حاجة غيرها

كل حاجة كانت كويسة

نظر لياسر بألم

- معرفش ايه اللي حصل..

طرف ياسر ليبتسم بحنان ويربت على كتف عم جلال الذي يبكي بمواساة

- اللي حصل خلص، وسارة هتبقى كويسة.. وهتبقى دايما ف حضنك..

نظر إليه العم جلال بضعف بينما غرق ياسر فجأة في ذكرى أخرى.. عاد إلى مشهده الأخير من العالم الأسطوري، تلك الجزيرة.. بعد أن سار بين الرمال وشاهد تلك الغربان التي تحمل الشياطين في السماء، مسيرته انتهت أمام بئرا محاط بمخلوقات شاهدها من قبل.. مخلوقات التفوا حوله بمكتبه أمام والده منذ لحظات.. توقف ليتجول بعينيه في فزع بين عدد من النساء متشحات السواد مغطيات من رؤوسهم إلى أقدامهم بينما يقف ملتصقا بالبئر من الخلف ظهر رجلا يرتدي جلبابا بنيا ويلمع على رأسه الشيب دون أن يرى وجهه، ابتلع ياسر ريقه بفزع وهو يتجول بين النساء التي تحيط البئر من كل جانب ويبدو من وضعية وقوفهم انهم ينظرون إليه مباشرة حتى أتاه صوت العجوز ليخترق المشهد المظلم

- اقتل المتمرد

عقد ياسر حاجباه بصدمة بينما دوى صراخ الشياطين من جديد وتساقطت دماء المحمولون في السماء حوله مجددا فارتجف بخوف

- لا تخف.. انهم متبعي الفاسق، ونحن مكلفون بهم

- مطلوب مني اعمل ايه! أنا لازم انقذ اخويا.. وانقذ سارة

- اقترب من البئر

قالها الرجل ليلتفت النساء إلى الجانبين ثم يرتكزوا على الأرض ليحاوطوا البئر

في دائرة ويبدؤوا في كتابة ونقش حروفا ما بأناملهم الطويلة على جوانب البئر، كان مشهدهم مريع.. سوادا يتكور ويخرج يداه ليكتب بعدم اتزان شيئا لا يعرف ماهيته، أخرجه عن ذهوله للمشهد صوت الرجل من جديد

الرجل بصوت مرهب

- اقترب من البئر

رفع ياسر رأسه بصدمة ليقترب بخطوات حذرة وبطيئة من البئر شيئا فشيئا حتى توقف على مقربة قصيرة منه، شاهد ياسر تلك النجمة السداسية التي أخذت تنبت وترتسم فوق غطاء البئر من تلقاء نفسها بين أصوات التمتمات والهمسات من النساء وأصوات الصرخات التي ترتفع شيئا فشيئا للشياطين المعذبة بالسماء..

ابتلع ياسر ريقه بين هول ما يحدث في انتظار الأمر التالي من الرجل

- خذ عصاك.. إنها عصا تم عليها الاسم الأعظم لسليمان ابن داود، إن اقتربت منها أحرقتني..

عقد ياسر حاجباه بتعجب وأخذ يتجول بعينيه بين الجانبين بعدم فهم

- أي عصا!

- إنها أمامك.. وضعها أبوك على الجانب الأمامي للبئر.. هتشوفها ببصيرتك أنا لا أراها ولا ألمسها، إن رأيتها أحترق..

عقد حاجباه بصدمة وتركيز وهو ينظر حيث أخبره الرجل، طرف بعينه بلا جدوى

- ساعدني

- إن رأيتها احترقت

طرف ياسر بعينه وابتلع ريقه ليغلق عينيه لوهلة ويتنفس ببطء محاولا الاسترخاء واتزان النفس ليضع يده بهدوء فوق قلبه، فتح عيناه بخفة وهنا وقع بصره على شيء لامع يقف بكامل وضوحه عموديا على صخور البئر وكأنه ملتصق بها، طرف بضياع ليقترب أكثر ثم جثا على ركبتيه لينتشل العصا اللامعة بتوهج من الصخور، حمل العصا لينهض وهو يتفحصها بدهشة ويشاهد وميضها الذي اختفى لتصبح عصا عتيقة عادية من الخشب ملتوية القمة والرأس، طرف بقوة ليعقد حاجباه

بإصرار وينظر للبئر، تمسك بعصاه بقوة بين يديه وكأنه سيكسرها وهو يشاهد غطاء البئر يزاح من تلقاء نفسه.

لحظات امتلأ فيها ياسر بالقوة والتحدي.. و انجلى فيها بئرا شيطاني وهنا توهج ياسر فجأة ليختفي.. وكل ما يدركه بعد ذلك أنه وجد نفسه بداخل البئر ينظر إلى سارة التي تردد القرآن وشاب شفاف الهالة يهمس في أذنها وكأنه هو من يملي عليها الكلمات بينما يقف الشيطان يتأرجح بعدم اتزان ومالك ينطوي مغمض العينان فاقدا الوعي مستندا على الجدار بينما وقع بصره على رجل عجوز شبحي يقوم بكتابه أحرف وكلمات على كل جنبات البئر من الداخل ببرود بينما ينطلق الشيطان إليه بغضب دون أن يصل إليه، وهنا حسم الأمر ليندفع ياسر هو الآخر إلى الشيطان محطما آخر قوته بضربة قوية شقته إلى نصفين.. ضربة انتهى بعدها كل شيء من عالم الجحيم.

الآن:

عاد ياسر من ذكراه ليطرف مبعدا الأفكار ثم التفت ليلتقط مفاتيحه وهاتفه المحمول بهرجلة، التفت ليهم بالرحيل ولكنه توقف فجأة وكأنه نسي شيئا ما، طرف بعينه بضياع ليلتفت ويسير بهدوء نحو خزانة ملابسه، فتح الخزانة ليخرج صندوقا ما ويضعه على الأرض ليخرج شيئا ثمينا..

تلك الصورة.. تلك الذكرى..

الصورة الذكرى.. صورة سارة في أول لقاء

طرف بعينه بحنين ليعيد صندوقه إلى موضعه ويغلق خزانته ثم نظر إلى الصورة ليضعها بجيبه و انطلق..

انطلق بكل أشياؤه وذكراه التي لم ينساها.

***

خرج من الباب لتقابله تلك النقاط التي سقطت تلو الأخرى مبللة قميصه، نظر للسماء فانزلقت الأمطار بغزارة لتغمر وجهه بالكامل، أمسك ياقة قميصه الذي تبلل بغضب

- يلعن.. استغفر الله العظيم بس على دة حظ!

كان مالك على الهاتف يحدثه في نفس اللحظة

- في ايه يا أبني.. ما لك؟ ايه جاموسة خبطتك ولا ايه؟

مسح ياسر وجهه بالمنديل ليسقط الهاتف عن أذنه في هرجلة وهو يركض سريعا مناديا سيارة الأجرة المارة ولكنه اصطدم بجسد ما أحبط وصوله إلى الهدف..

في نفس الوقت:

تسير مع صديقتها التي أوقفتها لدقيقة وأخبرتها أنها ستذهب لتحضر كوبان من القهوة من ذلك المحل، أومأت إليها برقة بالموافقة فابتسمت صديقتها وأعطتها تلك المظلة

- امسكي دي يا بطة.. مش هتأخر ادي المطر اللي بتعشقيه خديلك دش بقى

-طب بس انا و اقفه كدة ف وش حد.. ولا و اقفه صح ع الرصيف؟

نظرت كريستين بحزن لصديقتها التي فقدت بصرها ثم أكملت باستطراد

-لا يا حبيبتي انتي و اقفه صح.. انا مش هتأخر عليكي ثواني

- اوك

ذهبت صديقتها لذلك المحل الجانبي تاركة سارة التي تقف على الرصيف بسكون تستمع لانهمار المطر حولها بحنين

سمعت سارة صوت المياه الذي بدأ يصطدم بالأرض.. تحسست تلك القطرة التي انزلقت على وجهها.. أدركت أن الأمطار تهطل بغزارة شديدة وقوة.. ضغطت ذلك الزر لتنتفش المظلة فوق رأسها.. انزلقت قدمها بخفة عن الرصيف بلا إرادة فتمالكت ذاتها سريعا لتعود إلى موضعها من جديد ولكنها اصطدمت بشيء ما تلك اللحظة، صدمة زادت عاثرتها للسقط على الأرض بين الأمطار وتنزاح مظلتها بالقرب منها، جلست بعينها المفتوحتين والمثبتتان بتجمد ليتضح فقدانها الرؤيه، تحسست الأرض لتبحث عن المظلة التي سقطت بصعوبة وضياع

I am sorry

لم يأتيها سوى صوت الصمت.. اعتقدت للحظة أن من اصطدم بها قد عبرها،

أمسكت أخيرا بتلك المظلة ولكن بدا ما امتدت لتستقر فوق يدها رفعت وجها نحو الشخص الذي شعرت بقرب أنفاسه. كانت أنفاسه كعرارة شمس القاهرة التي تثير الدفء بشتاء أمريكا. سمعت سارة تلك الأنفاس المتقطعة التي تصدر من ذلك الشخص. لم تشعر سارة ولو لثانية بالخوف أبدا. كل ما شعرت به سارة ذلك الإحساس الذي لا يقرأ ولا يوصف. شيئا يتحرك هناك بجانب صدرها الأيسر. إحساس مذاقه حلو ولكنه مر أيضا! فلسفة حياتيه ضخمة في عالمها البسيط الذي لا يضع أدوات تزيين ولا يرى حتى!

أتاها ذلك الصوت الذي يحمل الحنين. وتتغلل أحباله الصوتية محملة بالآلام

ياسر الذي شاهد عيناها الجميلتان المعلقة بالهواء. الذي شاهد ضوءها الذي سرق منها. دقات قلبه التي قفزت تنادي اسمها. عيناه التي تشبعت بالحنين والحب. لم يشعر بذاته سوى وهو يضع يديه فوق يدها. ويمرر إحدى أصابع يده الأخرى بطرفها حول تلك القبعة الصوفية التي تحتضن شعرها. ثم وجنتيها لتعود وتمرتحت عينيها الجميلتان

-بحبك.

أخرج تلك السلسلة من جيبه ليضعها بكفها. تحسست سارة تلك السلسة وتذكرت. تذكرت سلسالها الذي فقدته تلك الليلة عندما حملها ياسر للمشفى فسقطت بالغرفة.

وضعها ياسر بكفها. وأعاد جملته مرة أخرى

-بحبك يا سارة

سقطت دمعة عن عينة اليسرى بسلاسة لتخرج كلمته ببحة

-متسيبنيش..

قام بجذب كفها الرقيق الذي يرتعش ويرتعد بنعومة ليضعه على أيسر صدره فجرت تلك الرياح الدافئة تسري بجلدها وعروقها من ذلك الدفء الذي يخرج من قلبه ويتسللها

ابتسمت سارة ابتسامة حنونة بصوت هامس تعب من الهروب

- و أنا.. كمان، أنا كمان بحبك.. اوي

لم يكن ياسر وسارة وحدهم من يعيشون تلك اللحظة.. بل كان هناك من يشاركهم بها خلف شبكة اتصال..

مالك الذي ظل يستمع كل ذلك على الهاتف الذي سقط بجانب ياسر.. الذي تساقطت دموعه وهو يستمع كلماتهم ويعيش معهم.. ابتسم مالك بين دمعته التي سقطت تلك المرة سعادة.. ابتسم بشدة الآن.. ابتسم كل شيء..

أغلق مالك الهاتف وهو لازال مبتسما.. حياة وجب لها أن تسترد الآن وأتى بها العالم خلف كل القارات والأوطان..

- مبروك يا عم..

لمعت عين مالك بحب وتجمعت بها الدموع متخيلا سعادة ياسر

- أفرح يا ياسر..

افرح

ذرفت سارة دمعتها بين عيناها المتجمدتان لتمتزج بابتسامة حزينة تختلط كل شيء، رفعت يدها ببطء لتتحسس وجه ياسر بحنين.. طرفت بعينها وكأنها تراه لتشعر بقبلته على وجنتها بكامل دفء الصيف وكامل سلام الشتاء

- بحبك

• • •

فهرس

الفصل الأول ٦
(لقاء ماور اني) ٦

الفصل الثاني ٢٩
(زائر حضر هنا) ٢٩

الفصل الثالث ٦٧
(الفردوس ليس على الأرض ولا في الشتاء) ٦٧

الفصل الرابع ٩٠
(التي ظهرت واختفت) ٩٠

الفصل الخامس ١١٧
(حيث يمكن للشيطان اللعب) ١١٧

الفصل السادس ١٣٩
(ومات سليمان والذربة تبقى) ١٣٩

الفصل السابع ١٦٠
(الحرب لا تنصر شيطانا) ١٦٠

الفصل الثامن ١٧٨
(ما يتبقى كافي للحب) ١٧٨

اعمال اخرى للكاتبة د.رانيا احمد

الروايات الورقية الجديدة:

(وحدة وعد) ٢٠٢١

دار كتبنا

متوفرة ورقيا من خلال ويب سايت kotobna و جوميا jumia ،وخدمة bosta

(قمر التفاح) ٢٠٢١

دار the writer operation

متوفرة ورقي من خلال صفحة الفيس والويب سايت للدار ، ومتوفرة اليكتروني من خلال جوجل بوك ,جوجل بلاي

روايات الكاتبة ع الواتباد :

١.رواية عن ضلع اوجع

٢. رواية غرباء في مدينة الشيطان

٣.رواية ارض الغلا

حساب الواتباد الخاص بالكاتبة:

لمتابعة الكاتبة د.رانيا أحمد

حساب الواتباد الخاص بالكاتبة:
https://www.wattpad.com/user/RaniaAhmad844...

الصفحة الخاصة بأعمال الكاتبة على الفيس بوك:
https://www.facebook.com/RaniaAhmad0/

الصفحة الشخصية الخاصة بالكاتبة على الفيس بوك
:
https://www.facebook.com/profile.php?id=100008663446818

h

ا

تحياتي&